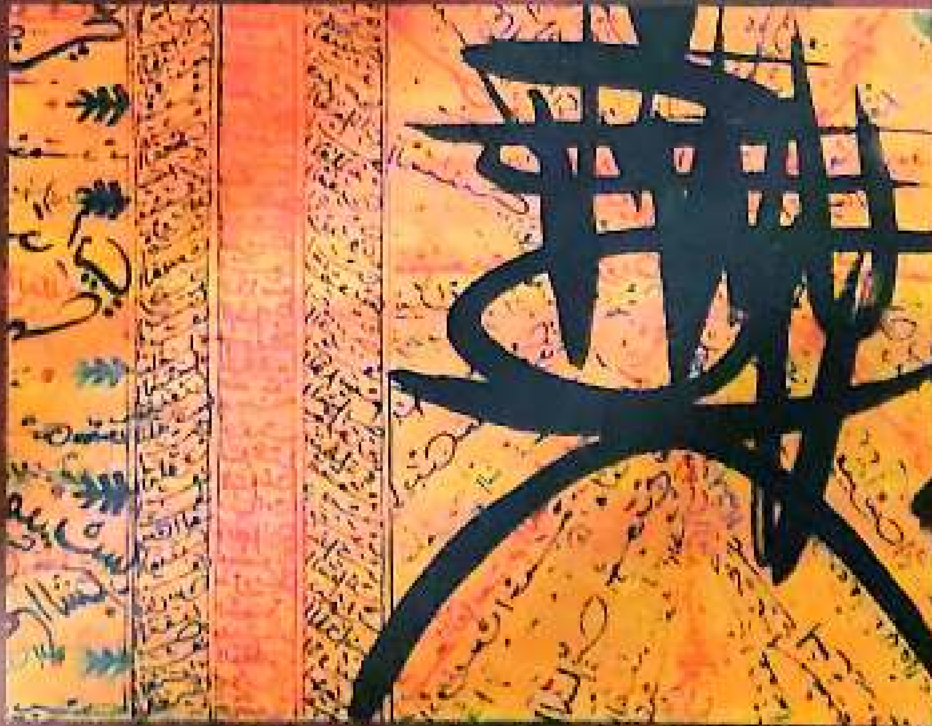
آية الله السيّد عبد المحسن فضل الله (قده)

السراب

شعر



دار الهادي





بين يدي هذا الديوان

لم يكن الشعر بعض زاده، كان إحدى غنائم عمر كثير العطاء قليل المغانم، لم يستغرق في سرابه، إلاَّ على مذهب اقتفاء أثر نفسه، في مسرح اتَّسع لكل تلك الأغراض والهمسات والنفثات، فامتدَّ على أطرافها، يوغل في المجهول، أو يستنبط المستقبل من الحاضر، أو يتأبط صفحات الماضي، ليكتب عليها حكاية غده بحبر يومه.

هكذا هو، يسرف في التجربة، يلقي بها على وجه حياة لم تكن طويلة بأيِّ حال، أو ينشرها في زوايا نفسٍ لم تظهر إلاَّ جريحةً أو شجيَّة، متحفزةً أو وثَّابة، فتخفق عن رسم أحوالها، غيرُ كلماتٍ / قصائد؛ وإنْ هي إلاَّ خيالٌ خصب سُكبَ على وجدانٍ قلق، فأفصح عن لونين متضاربين متضافرين، الحزن والأمل.

استمدَّ أمثولات شعره، من عالمٍ غنيٍّ مرهف، منسوخٍ عن فقر المادة وخوائها، ومنسوبٍ إلى ثلاثة: الخيال والرؤية والحنين، إلاَّ أنَّه بُنيَ على حافزٍ عميق للاحتجاج والتمرد... على قدرٍ جائر، أو دُنيا متقلبةٍ ناكثة، أو حكمة مهجورة، أو «واقع» قائم على الهشاشة والابتذال. بينما يُظهر حذراً مضاعفاً من قبول ما حوله وما بين يديه، هوناً وفي غير تدبّر، لئلاَّ يطوي الحوادث طيَّ المستسلم المرغم، ولكي

يحيلها إلى فؤادٍ يحكم بشريعة الحبّ والفضيلة والمثال، ويثق به وثوقه بذلك العقل المستيْقِظ على حدوده والمتغلغل في أعماقه.

في شاعريته، كلاسيكيّة فيها بعض خروج على التقليد، فالرُّوح الّتي أُطلقت من عقالها للتو مطلعَ كل قصيدة، تدور حرّة، تطبع البداية بطابع النهاية، وتجمع الأوّل بالآخر؛ لعلّها تثأر من ذلك الكبت وتلك العزلة، اللذين تبيّنهما جدران الجسد، ومن الاتساق الرتيب والنداوة الخادعة، في عالمٍ مدقعٍ متقشّف، مليء بالقساوة والجفاف، فتعبُر مفصحة متفحّمة رقيقة، تسعى إلى نيل نصيبها الوافر من الحرية والحركة، لولا أن تهدّيء من روعها نزعة التأمُّل، فتعيدها إلى تلك اللحظة القابعة بين زمني الوهم والحقيقة، وغالباً ما انتصر إلى المعرفة المغموسة بالخيال.

وإنما الشعر مرآته الصافية، وملجأ أحلامه، القصيّة أو المهيضة أو الموؤودة، ودُنياه الفريدة، إنْ لم نقل كيانه الآخر الحر المشبوب المتجدد...

إنّه، قبل ذلك ومن ورائه، رواية وجدان وسيرة ذاتٍ مفعمة، وحوارٌ دائبٌ بين العقل والنّفس، بين البصر والبصيرة، بين القلب والسمع، حَتّى لكأنّ ذلك الداخل الوقيد، لا يحسن إلاّ أنْ يفرّ عن خارجه، لولا أن يأتيه بلغةٍ هي من غير صنفِ ثرثراته الرعناء ولبست من أحاديثه الصاخبة القاسية.

أزمنة القصيدة:

أقام بالشعر علاقة فريدة بين «أضداده»، بين الانتماء إلى الحياة وبين العزلة، بين الذات وبين الآخر، بين الوطن وبين الغربة، بين اليأس وبين الرجاء، بين الانسحاب من المعترك وبين التورط فيه، بين الرجولة وبين الطفولة...

وأسس فيه لقطيعةٍ، . . . بين الحياة وبين الدُّنيا، بين الحب وبين الهوى، بين الأخوَّة وبين المحاباة، بين الصعوبة وبين الانكفاء، بين الحقيقة وبين المأرب، بين الألم وبين الندم. . .

. . وفي مظهرٍ للفرادة، تتداخل العهود، فللقصيدة زمنها الخاص، وتاريخها الَّذي لا يوافي تعاقب السنينِ وجريان العمر، تارة يكشف عن يافعٍ في إهاب كهل، وأخرى عن هَرِمٍ في لبوسِ الشباب، لكأنَّما يصهر العمر في قبضة مغلقة وبوتقة واحدة، فيحيله إلى أحجية كتيمة السر، تحترف لغة السنين، . . . تصيغها من جديد، لئلاً تقع فيها على علامات فارقة، خلا حنين مهموس أو ذكرى عذبة، أو عشقٍ أبديّ غير متطلب. . .

قصيدته هي ميلاده المتجدد، أو خاتمته المتكرِّرة، لا تتميز بين معالمها وأشيائها الصبي من الشَّيخ، ولا الهجرة من الوطن ولا الغد من الأمس. . . بينما يستجمع رنَّة الأسى ونغم الحسرة في كلّ بيت وتحت كلّ قافية؛ تضيّع كلماته تواريخها، فتتلوَّن بألوانٍ متقاربة، وتكتنز طاقة الأحاسيس نفسها، ثمَّ تتدفق في مجراها الوحيد، المرسوم بخبرات وجدٍ وألمٍ وسعادة، لا تتغير، مهما تعددت الحوادث ويَعُدَ شوط العمر أو قربَ.

ها هو ابن العشرين، يطوي شبابه ويرثي أمسه!

طـويـتُ الـشـبـابَ بـكـفِّ الـصِـبـا   وكـمْ لَـفَّـنـي الـلـهـوُ فـي بُـردِهِ
فـلا الأمـسُ يَـرجـع فـي زهـوهِ   ولا الـيـومُ يـقـوى عـلـى ردِّه
تـغـاريـدُ أشـبـاح طـيـفٍ مـضـى   طـويـتُ الأمـانـيَ مـن بَـعْـدِهِ
دعـيـه فـأحـلامـه قـد مـضـتْ   دعـيـهِ يـمـوتُ عـلـى بُـعْـدِهِ

ويُردف على نغمة الحزن إيَّاها، ابنُ الأربعين، يخاطب اللَّيل وقد قرَّح أجفانَه:

أرَّقتَ جفنيَ وقد عمَّ الجميعَ كرًى وأوحشَ القلبَ إغرائي وهجراني
كـأنَّـمـا أنـا والآلام قـد ولـدا في ساعةِ العقم من خيرٍ وإحسانِ
وما أتَّزرتُ بما يُزري ولا رَشَحَتْ نفسي بعاهةِ هذا العالمِ الفاني
وقد تعاقب محموماً على صلفٍ ثمَّ استدار بما يأباه وجداني
حالان منه فلم أركن بواحدةٍ سِيَّان عنديَ والآني وجافاني

ويطول به الأمس، وهو يخطو في درب زمانه، يُخلِّف وراءه عتبة عقده الخامس، دون أن نقع على إيقاع مختلف، أو نلمح علامة فارقة، تميِّز ميعة الصبا عن ذروة الرجولة، فالذكرى هي الذكرى، والآمال هي الآمال، والنَّفس لم يزدها تعاقب العهود إلاَّ حيرة وابتعاداً... وأحاديث مكتومة وخيبة...

ذكرياتٌ تجنُّ في أمنياتي بين ماضٍ من الزَّمان وآتي
كمْ حديثٍ يئنُّ حولَ يَراعي وهو يشكو من صمتهِ وأناتي
ليتني كنتُ والزَّمان فتيّاً مانحاً صفوَهُ لخيرِ لداتي
تَعِبَتْ آيةُ النَّهار ولكنْ زادها اللَّيلُ جامحُ النفثاتِ
ليس يدري متى يلين به الشوط لتلوي العنانَ كفُّ الأباةِ

الحزن والوجد:

لكنْ من أين ينبت كل هذا الحزن، ولِمَ تزفر تلك النَّفس آهاتها في سخط مضمرٍ على الدُّنيا، وخصومة مع الحياة؟! وكيف يرثي ذلك المكافح المجدُّ أمانيه الكبار، رثاء العاجز العاثر، رغم اقتحامه المجد، وبلوغه أمراً من علاه؟! ولماذا يخْلُد إلى هذا الحلف بين حروفه وبين دموعه، ويمزج حبر يراعه بدماء قلبه، ويربط بين الشوق والشكوى، ويردف بالخشية من الآتي على الأسف مِمَّا فات، وليس في ظاهر عيشه إلاَّ إقبالاً معتدلاً على الحياة، وتفاؤلاً قد يفيض أحياناً فيستأنس به مَنْ حوله، وصبراً يتهادى على لجَّةٍ من الإيمان عميقة.

... إنَّما تلاقت في عمارة معانيه قُوَّة الحكمة برهافة العاطفة، لتقيم أمثولةً إنسانية متدفقة، ... فأيٌّ استعرض تعبيراتها وصورها، ظنَّها سيرة وجده الشخصي، وشطراً من ألمه الخاص. أمَّا وجه هذه الأمثولة الآخر فالبحث الدؤوب عن حقيقة من غير جنس الحقائق الذائعة، نادرة قياسيَّة، لا تطفو على سطح، ولا تُطْلَبُ هوناً، أو يبهظ العمرُ في سبيلها. لقد استقرَّت رمزاً شائقاً بقدر ما هو مستعصٍ، على ملتقى دروب حياته، تتقلَّبُ هذه، وتثبت هي ـ أعلى مراداً ـ ويعيش هو على حنينه الغامض إليها، وجداً خالصاً أو ألماً مكتوباً.

من هنا الشعر في مذهبه، مغامرة داخلية، يغوص معها في الذات، ... يسبر غورها، يعيد اكتشافها، ... ينفذ غير متهيب في كهوفها وغياهبها، فيقف على مفارقاتها؛ كنوزها الدفينة، أو مباذلها المبثوثة؛ ويستطلع أكثر فأكثر ألوان طيفها، وأطياف ناسها الَّذين يمرون، فتقيم ثلَّة وترتحل زمر...

أمَّا الألم، فجزءٌ من هذه الرحلة إلى مركز الذات، إنَّه ليس من ذلك الصنف الَّذي يستبد فيُغْضِب، أو يستغرق ثمَّ يتلاشى مسرعاً، أو يعرض على نازلة الضعف والفشل والهوان. هو الحسُّ الموازي لأعمق نقطةٍ في الوجدان، وأصدق لحظة في الضمير، يتراءى لكلِّ فرد، لكنَّه ينكشف لحفنةٍ قليلة، تأبَّت على ضجيج العبث الهادر، وتركت بعض أسماعها، لهمس الحياة الشجي.

ألمه إذاً، رمزٌ لعلاقة ملتبسة مع الزمن / الدَّهر، إنَّما مستقرة غير متردِّدة، لا يتفق لها الإقبال مرَّة والإدبار أخرى، أو يصدق عليها السرور حيناً، والتكدير أحياناً؛ هي وراء ذلك وأبعد منه، نظرة إلى الحياة، وفلسفة موجَّهة إلى الزمن، وانطباع صادر عن موقف متحفِّظ فاترٍ من شروط الوجود الآيلة إلى الانحياز عن ميزان الاستقامة، ومن محطة الانتظار الطويلة الرتيبة، قياساً إلى عالم ملكوتي مأمول.

هاكَ بعض تردُّدات أغنية الآهة والألم:

يا سميري وألفُ شيءٍ يغنّي فاستمعني فلستُ أسأمُ لحني
وإذا الأفقُ زفَّ نحو التمنّي بشباتِ النُّجوم فِي كلِّ فنِّ
أعربتْ آهاتي تحدّثُ عنّي إنَّ في الآه منبةَ المتمنّي
منكِ رضوى ومنكِ جنّةُ عدنٍ منك لحنُ الحياةِ في كلِّ أذنِ

بيد أنَّ للأمور تقلُّبٌ يترك الحياة بين أيديها فريسةً للخيبة:

يا سميريَ وما رأيتُ انتصارا بيدَ أنَّ الأمورَ تبقى حوارا
إنْ تمادَتْ تفاقمتْ أضرارا وطَغتْ أنفسٌ تَؤجّجُ نارا
وغدا قائمُ الحياةِ دمارا وأعدنا الأمور فيه اجترارا

لضعيفٍ مخافةَ التبديدِ
دارَ في أفقهِ بلا تدبيرِ

ثمَّ إنَّ اتخاذه التأمُّل طريقة في الاتصال بالحياة، مالَ به إلى الإيقاع بين نفسه وبين المادة «توقاً إلى النُّور»، وأورثه استخفافاً ظاهراً، لا يخلو من سخطٍ «بميدان هذا الكون»، «الَّذي ضاع إشعاعه» وصفاؤه بين يدي «كاسح الناب»، الَّذي يظهر الأحسن ثمَّ «يحيى بطبع الثعلب»...

إيهِ يا نفسُ دعيني والسنا صرحِ هذا الكون ميدانُ غبيْ
ضائعٌ إشعاعه في المنحنى ما تبنّى خافقٌ طُهرَ صبيْ
فاسقني كأسَ غبيٍّ علَّما يعذبُ الوِرْدُ ويصفو مشربيْ
ذا زمانٌ جُنَّ مِمَّا يحتويْ ليست مِمَّا يحتوي من مهربِ
من تُرى ينصفنا مِمَّا جنى كاسحُ الناب حديد المخلبِ
يرسم الهديَ يُريكَ الأحسنا ثمَّ يحياه بطبعِ الثعلبِ

ويفضي تآلف النَّفس والرُّوح على اختيارهما الصعب، إلى الإتقال

على جسدٍ أراده اختياراً هيِّناً، واستحبَّ الأدنى، لكنَّها، أي الرُّوح، استساغت «مكفهراً قاتماً ورنت تبغي مقام الشهب»، فيخاطبها:

فاجنحي إن شئتِ عنِّي إنْ دنا | زمنُ اللهو وليلُ الطربِ
واذرفي دمعكَ آلاماً ولا | ترهقيني بقلوبٍ قُلَّبِ
كمْ صحبناكِ على أنَّ الصفا | مَلِكٌ بزهوٍ بثوبٍ قشبِ
فإذا الحقُّ تَقاكِ العلقما | وإذا الصدقُ حكايا الكذبِ

هجرتاه وغربته:

لقد أعتق بالشعر نفسه من هجرتيه ومن غربته، حَتَّى لكأنَّ زمنه، مُثْبَت على تقاطعات تلك الأحداث الكبيرة وموسوم بها، هاجر إلى النجف الأشرف ففاضت قريحته بما يربو عن ثلث ما في هذا الديوان، ثُمَّ هاجر إلى الوطن، فاندلعت في عروقه من جديد نيران الغربة والنأي، على غير دأب العائدين، فغربته مديدة، وحنينه دائمٌ أنَّى كان المقام، غربته هي نفسها الوحدة، والتفرُّد، والمسافة الَّتي تفصله عن أدنى المقرَّبين، وتَفَرُّقُ أمره عن بعض شؤون خلَّانه، تفرُّق الجدِّ عن اللعب، والحزم عن العبث، وربَّما كان لتقدُّم مراده عن مراد كثير مِمَّن حوله، أثره الموجع فإذْ يقيس حاله إلى حالهم، يرثي زمانه، ويأسف لتبدد وقته وضياع جهده، . . .

أُقَطِّعُ وقتيَ بمثلِ اللعبْ | وأنظر حولِيَ الَّذي لا أُحبْ
وأنظر حولي الَّذي شأنهُ | إلى كلِّ مخزيةٍ يقتربْ
وأنظر فيهمْ نذيرَ البوار | فيُعجِمُ منِّي الفصيحُ الذربْ
وتلتفُّ حولهم فتيةٌ | تخالُ البذاء حديثَ الأدبْ

ومع أردأ طبقات قومه، أولئك الَّذين حملوا القليل من الشمائل الَّتي تبعث فيه شعوراً بالرضى والامتلاء، يعود إلى أعماقه مجدداً،

عَلَّهُ يزيل أسباب المرارة والخيبة، فيشقُّ دربه الخاص، ويعتزل بالحسّ والوجدان، أمثلةً سائرة وطرقاً معروفة، إنّما محفوفة بحوادث يراها هو، حافلة بالمهالك، ولو ظنَّ أمانها قومٌ الجأته الأحوال إلى مقاسمتهم ناديهم.

يستحثُّ ذلك أيضاً حواره الداخلي، وهذه المرّة، حوار المعرفة والعاطفة، المحفوف بجدل القيمة والمعنى، وجدل الأداة والمراد، ويستدعي، كذلك في نفسه درجات قصوى للرهافة والحساسية، ليناديَ بنداء الغربة ، الّتي يعلنها في أتونِ «محنة الحيارى التائهين»، بِمَن تنكّبوا سبيل البراءة، وأعرضوا عن الحب بل وضعوا سهمه في قوس التحدي والغواية والغرض...

يا غريباً عاشَ للغربةِ عقلاً وفؤادا
أحكمتْ محنتكَ الكبرى فما أعددتَ زادا
سهراً تستلهمُ الحبَّ لتحياهُ ارتيادا
كُلَّما زادَ اقتراباً زادهُ الحقُّ ابتعادا
ما لعينيَّ وقد أرهقتا تهوى السُّهَادا
عشتُ والنّاس سواءً وتباينّا مرادا
واستمرَّ الشوط مغموراً على رغمي عنادا

حنينٌ الى الأخوّة،

وفي خضمِّ غربته، يستفيق حنينه إلى مهجره الأوّل، المتّحد في الذاكرة والقلب، بشوقه إلى أخوّةٍ خالصة، ورفقاء درب. هم أثمن ما أورثه له، ذلك الزمن الشيّق، والحقبة الخصبة، يوم ارتوى من منابع الجد، فاستبدل علومه بشبابه، وأقام على نموذج من العيش والسلوك، بسط سلطانه على كلّ حياته...

وإنْ حملتْ نَفسِي صواخبَ عيشها | فإنّي بكوفانٍ أرى جنّةَ الخُلدِ
فكمْ ساجَلَتْني فيهِ نفسٌ زكيّةٌ | جهابذةٌ كلُّ الصعاب لها تخضي
تَرى الحبَّ فيها باقياً ويُديمُه | خلائقُ سُمحٍ جائداتٍ بما تُرضي
تُعاقِرُنا كأساً من العلمِ صافياً | تحصّنه التقوى من الزيف والغمضِ
أولئكَ أخوانُ الصفا قد فقدتُهمْ | وكلُّ معينٍ بعد ذاكَ إلى رفضِ

لكنّها أخوّةٌ صادقة، صريحة مبادرة، تجدُ لها بين القلوب صفحةً بيضاء، ومساحةً تصلح في آن للعتاب والصفح؛ لا يجري فيها الإنكار والمساءلة، في مجرى ما اعتاد عليه الخلّان من أخذٍ ورد وتنازع، سرعان ما يؤول إلى وئام هازل، أو اتفاقٍ مبتذل، فإن هي إلاّ قواعد ومبادىء اجتمعت عليها الأفئدة، فباتت الفيصَل والمحتكَم.

قد يسألهم عن وصال الدُّنيا، ويعيب عليهم الضرب في «حزونها وجبالها»، طلباً لما لا يُرجى وِصالُه، ولا يُستحب، لولا تمنّعه، فتزنى على ذل؛ تحالف اللئيم، بينما تشدُّ على الكريم قيودها وحبالها، أمّا هو فقد طلّقها يوم ابتلي بخصالها وخَبِرَ خباياها. فإنّما هي إلاّ:

كالظِّلِّ يتبعهُ الفتى | منذ استظلَّ ظلالها
كالغيدِ أبدتْ للعشيِّ | صفاءَها وهِلالَها
فلذا ترى من حُبِّهم | قد ألبسُوا إذلالَها

.. وقد يظهر في الأخوّةِ الإشفاق على الآمال، آمالٍ ترقُّ مع النسيم وتشعُّ مع الصباح، من آنْ يتحطّم كاسها، أو ترفرف مبتعدة، أو تهزل ذبالتها، كشمسٍ آلت إلى الغروب، فقد عقد الظنون على من يصطفي في أن يكون عوناً للخطوب، وسلوةً عمن مضى، لكنْ إلى منالٍ عزيزٍ وفي مركبٍ صعب وإلى غايته العلى والتقوى:

القلبُ يسرعُ في الوجيبِ | ويدُقُّ دقاتِ الطروبْ

ويسطر الآمالَ دامية الجراحِ على الكثبِ
متقطِّعَ الخفقاتِ في شوقٍ وفي ولهٍ عجيبِ
متسائلاً مثلي غريبٌ فالسَّلامُ على الغريبِ
أملٌ تحطَّم كأسُهُ وكأنَّه في كفِّ كوبِ
أملٌ عليكَ عقدتُهُ أملُ المحبِّ إلى الحبيبِ
لا تخلفَنْ ظنِّي عليَّ تكونُ عوناً للخطوبِ
أأخيَّ من وحي الإخا صوَّرتُ حبِّي في نسيبي
أوصيكَ من تقوى الإلٰه وتلك مفخرة اللبيبِ...

الخطاب المهمل... الإبهام والمواربة:

تآخى لديه الرمز مع اللغة، حيث الغموض الَّذي لا يبعث على الارتياب، والوضوح الَّذي يترك أمكنةً للسِّر، أمَّا أبهى ما في شعره، فتلك الحساسيَّة الخاصة، الَّتي ملأت بناءَهُ التقليدي الفاخر، المثقل بصور وأشكال معنى تمتُّ إلى ضروب الحداثة بأكثر من سبب؛ وذلك العالم المستقل المتفرِّد، الَّذي يستقي منه أمثولات شعره، ثمَّ يندفع بها ويدور حولها، دون تردُّد أو تؤده، ودون أن يسطو عليها تعاقب المراحل، فلا تعلم إنْ كانت مستنزلة من خياله أو واقعه، أمْ أنَّها صنيعة الشعر، ووليدته الخالصة.

.. تتعدَّد أغراضه وتتفرَّع، لكنَّها تبقى معقودة انعقاداً على منابت روحه وعناصر نفسه، تكاد تجدها جميعها محتشدةً في قصيدة واحدة، في تجاور لا يخلو من دلالة؛ لكأنَّه يطلب قَصَدهُ الواحد بأكثر من طريق، وقصده الواحد أنْ يرتفع «بالرُّوح إلى سؤددها» وأن يجعلَ من غاياتها ذات الرتبة المعنوية السامية، ممراً إلى الوجدان والقلب. فمهما تفرَّقت أغراضه بين الحب، والحرية، والعائلة، والدِّين، والولاية، والإقدام، والثورة، والظلم، والعدالة، و... فلسطين... فإنَّها تعود

فإنَّها تعود إلى نجوى الذات كما انبثقت عنها، ولو انتمت ـ أحياناً ـ إلى رسالة أخلاقية مستترة، وثيقة الصلة بوعيه الداخلي للفضيلة والكمال وإنسانيَّة القيم، من غير أن يعثر عليها في ظاهر القول ومباشرِه.

فهناك قدر من الإبهام والموارية في خطابه الشعري، ينمُّ عن رغبةٍ في أن لا ينسب المعنى إلى مصدرٍ سافر، وليرسم بريشة الغموض هذه خطوط عالمٍ متوارٍ يثير الفضول، ويبعث رغبة ملحة بالاكتشاف. والقصيدة الَّتي تبدأ بعد البداية، وتنتهي قبل النهاية، تبدو على وعدٍ مع خاتمةٍ لم تأتِ، وبداية سقطت ثمَّ لم تسترجع؛ فلعلَّه يطلب العذر عن زجِّ القارىء في قضيَّته الخاصة، وألمه الفردي، فيوشك أنْ يسلمَهُ زمام كلماتِه، لكنَّه يترك له في مساحة الإيماءات تلك، مقعداً داخل مركبهِ الشعري، وخياراً بالاندماج في تياره بل الغوص فيه، مع حقوق كثيرة، بإعادة تركيب الصورة كيف شاء، دونما تفريط بعناصرها الأصليَّة.

إتحاد سياقين:

لكنَّ هذا الخطاب يميل إلى قدرٍ أكبر من التصريحِ، وإلى وتيرة من الغضب تخفي التموجات الرقيقة الَّتي تطبع نبرات حديث الوجد الخاص، فيما لو آل الحال إلى الحديث العام وشؤون الجماعة وشجونها.

هنا يتسع مسرحه ليظهر فيه مشهد الغضب والسخط، الحرُّ الواضحُ المعلن، على حاضرٍ فقد ملامح صورته الزاهية، بينما يقيسه على أمس «انمحت فيه كل معالم الفردية، وكل أنا شريرة» هو يقول ذلك، ويبثّ أحلاماً وأحلاماً، تعثر عليها مبثوثة ومنتشرة، بين ثنايا عالمه المكنون، وقد بناه طيفاً طيفاً داخل حدودٍ، أضلاعها العقل والضمير والنَّفس والقلب، فكان أشواقاً حائرة، تفتتن بكل ما هو جوهري، وذي قيمة، وفي الآن عينه جاد ورشيق. لكنَّ أطيافه تتكسر على تخومِ مجرى

الحياة، فيُطوى بها عالمه، وتحوّله رحلة العمر رويداً رويداً إلى داره، لا تتجلّى إلاّ له، فيما تستعصي على الكثير ممَّن حوله، ممَّن دونهم، وتوشّم فيهم شراكة العمر.

وما وراء رؤياه هذه، لا يقيم إلاّ الشكّ والتردُّد، لأنه يقينه الوحيد، والحقيقة المنبثّة الّتي يستمدُّ منها المعنى، هي بكلمة أخرى، شرطه اليتيم لإعلان الرِّضى، ومهادنة الدُّنيا، والقبول بالحاضر، ودون ذلك انزلاق أترابه، فيما هم فيه «بطورٍ فيه أطوارٌ»...

تغطرسَ فيه بهنازٌ وأغلمَ فيه خزّازُ
وأعشى بعدما سطعتْ بنادي الصحبِ أنوارُ

أمّا هو، الذي لا «يرى في غير الحق مصباحه»، فيطلقُها حسرة:

بربِّكَ لا تغنّيني وقد شقّتْ بنا الدارُ
فلا أمسي هو الأمسُ ولا المزمارُ مزمارُ
فمذْ أقزامهُ نشطتْ وزاغتْ عنهُ أبصارُ
هجرتُ الكلَّ مع أملي بأنْ يستصفي أحرارُ

ويسكنه هاجسُ الحقِّ والحقيقة، لا يغادر قصيدةً من قصائده، هو الهاجس نفسه الذي يملي عليه خطاباً عالي النبرة، اختلط فيه الأسف بالأسى، والعتبُ بالغضب، وقد أغفل في كثيرٍ من الأحيان عنوته الموجّه إليه، لكنّه إذ أفصح في مواضع نادرة، فإنّ قصْدَهُ هو الجماعة والمجتمع، يسدِّد إليهما سهم معانيه، المتكاثرة والمتناسلة من أقانيم ثلاثة: الهدى، الحق والكبرياء، فيما ينوّه بوعي مضمر إلى علاقتين، واحدة تربط بين الفساد والتخاذل والهزيمة، وأخرى تجمع بين الصلاح والفوز. هذا الوعي، أبكر به إلى تواصل عاطفيّ جيّاش مع فلسطين، ربّما لم يكن معهوداً إلى هذا الحد، في بيئة منطوية بعض الشيء ومنكفئة عمّا هو خارج اهتمامها الموروث. وسيعود بعد عقدٍ أو عقدين

من الزمن، إلى تحويل كلماته الثائرة تلك إلى عقيدة حياة، وجدت طريقها إلى التطبيق في إطار تجربة شخصيّة عامة، قد تكون ملحميّة بحسب البعض، لكنّها تتطابق على الأقل مع وجدانٍ متدفقٍ إنّما عفوي، غنيٍّ كما أروقة شعره، لكنّه يقيم صلةً بسيطةً بين الواقع والمثال، وصلةً أخرى بين الذات والغاية.

فبعض ما يكشف عنه هذا الديوان، إتحاد السياقين لديه، سياق تجربته كفرد، وسياق تجربته كمؤثّر في الجماعة، ورهافة الحس الّتي تجعل منه محبّاً رقيقاً، وأباً عطوفاً، وصديقاً مرهفاً، ورهينة أحزانٍ وآلام دائمةٍ خاصّة، هي الّتي تجيِّش عواطفه إزاء ما يعصف بقومه، فيقابلُه بمشاعر لا يصبر على إعلانها، غاضبةً متذمِّرةً، وثائرة. . .

فأنظر نداءه المبكِّر:

ألا صحوةٌ من ضميرِ الإبا تردُّ لنا عزَّنا المنتلبْ
ألا ترعوي أمّتي للهدى وتطمسُ أحقادها في النوبْ
أترضى بضيم وهذي الحياة بأسباط عاديةٍ تلتهبْ
ولا تنتضي صارماً للحتوف بعزمٍ أبيٍّ وجيشٍ لجبْ
ووجهُ السّلام الّذي تنتحي إلى عاصفٍ ماحقٍ ينقلبْ
أيحيىٰ السّلامُ على أرضنا وعندهُمُ حاقداً ينصلبْ
تضور حتّى غدا حانقاً يلوِّحُ في حدِّه المنتلِبْ
سلامٌ على السلم إنْ لم يكنْ على المجدِ إيوانُهُ منتصبْ

ونداءٌ آخر:

يا أخا النجدةِ هل يُحييكَ لحنُ من فؤادٍ لعلى الثأرِ يحنُّ
يُغمضُ الطرفَ على أحقاده بسوى السّيفِ على الهام يضنُّ
أبداً يبعثُ من آلامهِ حمماً تأبى عليهِ لا تكنُّ
فاسلكوا الدربَ كما آباؤكم لا يخبْ منكمْ لدى الهيجاء ظنُّ

... إيه صهيون إذا لم ترعوي لا غفا منكِ على النعماءِ جفنُ
إن تناسى أصلُنا أحقادكم سوفَ لا ينسى مدى الأيّامِ إبنُ

ويربط بين ألميه، الخاص والعام، بين ليليه، ليله وليل أمّته:

جفوتُك أيّاماً تطاولَ عهدُهَا ولم تنثني عن غيِّها أنملاً عشرا
تُجنّبني عَن كلِّ ما أبغي قصدَهُ بفعلةِ مغبونٍ وطَالبةٍ وترا
... وما خُنتَ خُلاّناً وإنْ كَانَ ما احتوى عليه فؤداي الغرُّ جرَّعني المُرَّا
فعاشَ قسيماً بين يأسٍ ووحشةٍ من النّاس أقصى الخير لو يملك الشّرا
فقايضني دهري بكلِّ مثيرةٍ ولم يكتفِ هجراً فأتبعها تترا
.. قفي في مهبِّ العاصفات وأعلني بأنَّكِ أعلى من زعانِفِهمْ قدرا
.. أذاقوكمُ خزيا فيا ويل هالكٍ بأنْ يملأ الدُّنيا بآهاته حَرًّا
فهذي فلسطينٌ تئنُّ جراحُها وتَرصدُ في أطلالها القتل والأسرا
وأنتمْ على ما أنتمُ من تفرّقٍ وأحزابكم شتّى وأفكاركم أزرى
فلا خير من عيشٍ يسرُّ عدوكم فموتوا أباةَ الضيم أو فادركوا الوترا
فهذا ندائي يستحثُّ أباتكم بأن يعزموا أمراً يكون لكم ذخرا

... كأنّه حديث اليوم!

اخيراً...

لعلَّ الشاعر (قده) أراد لهذا الديوان، أن يكون فحسب، رواية نفس وسيرة ذات، ورسالته الداخلية الّتي يتبادلها العقل والرُّوح، فلم يعتنِ بنشرها، عنايته بما نشر في حقولٍ أخرى، ولم يقدِّم نفسه البتة شاعر صناعة، أو يرَ في قصائده، «نغماً محترفاً ولا مزمارَ مأجور»، فأسقط من أغراضها ما يمسُّ تدفقها ويعيق انسياب سليقتها، فغاب شعر المناسبة والمديح والهجاء والرثاء، بينما يتقارب زمن القصيدة ويتباعد، على وتيرة متقافزة غير منتظمة، كُلَّما آنسَ من نفسه الإقبال، أو لاحت له منها الحماسة.

أردناها بعد ارتحاله، كما أرادها، على ما هي عليه دون تدخلٍ ذي معنى، حَتَّى بمجرد إعادة ترتيبٍ للسياق، فسارت مع الزمن، ودرجت مع تعاقب تواريخ النظم، بدءاً من قصائده الأولى قصائد الصبا والشباب، وانتهاءً بما سطّره في فراش مرضه.

في أولى قصائده شاعرية رقيقة، لكنْ لا تؤازرها متانة قصائده التالية، وبعد التردُّد بين نشرها وعدمه، حسمتِ الأمر كلمات خطَّها حول ما عثر عليه من شعر الطفولة؛ يقول:

«في هذا اليوم... يوم الثلاثاء من (...) ١٤٠٢هـ، وقفتُ على دفتر ولعلّها الوقفةُ العاشرة، وقفتُ إزاءه أستيعد ما فيه، وما فيه شعرُ الطفولة، ينتسبُ إلى ما دون العشرين.

(...) مع كل ورقةٍ أقف لأهم بإعدامها، لأوئدها في مطاوي الغيب ولا أبقي منها إلاّ القليل...

هممتُ بذلك مراراً... لكنْ لم أجرؤ...

فالذكريات عزيزة، وإنْ تضاءلت، هي لوحةٌ صادقةٌ عن السيرة الذاتية لنمو الإنسان... ولقد اخترت منها ما اخترت وأبقيتُها كما سُطِّرتْ، لتحمل من جمال الحقيقة ما يغنيها عن رتوشِ الفنان، كي لا ترتعش عندما تنساب، فتضلّل الآخرين».

بيروت ٦ محرّم ١٤٢٣هـ

٢٠ آذار ٢٠٠٢م

عبد الحليم فضل الله



نبذة عن سيرة صاحب الديوان

هو *آية الله السيِّد عبد المحسن بن السيد صدر الدِّين بن السيِّد محمَّد بن السيِّد محيي الدِّين فضل الله*، عالم فقيه، أصولي، أديب مرهف وشاعرٌ وجداني، عُرِف بالتقى والورع والزهد، دون أن يذهب في ذلك مذهب الرُّكون إلى الدعة والانزواء عن الحياة العامَّة، بل باشرها بهمة، حملته في كهولته إلى أن يركب مركب الجهاد الصعب، فصاغ بإرادة ووعي ملحمته النادرة بين أقرانه، في مواجهة الاحتلال.

نسبه:

ينتسب إلى عائلة آل فضل الله الَّتي تنتهي سلسلة نسبها إلى الحسن المثنَّى ابن الإمام السبط أبي محمَّد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام ومن جهة الأم إلى فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام زوجة الحسن المثنَّى.

وقد عرفت هذه العائلة على مرِّ تاريخها ثلَّة من العلماء، منهم على سبيل المثال السيِّد محيي الدِّين (قده) الَّذي عاصر الشَّيخ الأنصاري (قده) وله معه مراسلة تدلُّ على علو منزلته كما ذكر السيِّد محسن الأمين (قده) في أعيانه، ويعود تاريخ هذه العائلة في قرية عيناثا من جبل عامل إلى القرن الخامس عشر الميلادي والتاسع الهجري.

والده:

الحجّة السيّد صدر الدّين (قده)، كان من فقهاء جبل عامل، ذو روحانيَّة مؤثرة تركت بصماتها في جيله وما بعده، وواحدٌ من قلائل تعدَّت اهتماماته الفقه لتشمل الفلسفة الإسلامية، يحمل خمس إجازات من مراجع زمانه، من الشَّيخ الغروي النائيني، والآغا ضياء الدِّين العراقي، والسيِّد أبو الحسن الأصفهاني والشَّيخ كاظم اليزدي، والشَّيخ محمَّد حسين كاشف الغطاء (رضوان الله عليهم)، كُلُّها تشهد بأنَّه «أحرز ملكتي العدالة والاجتهاد المطلق، وحصل على علمي الفقه والأصول وعلم المعقول»، سكن قرية عيناثا؛ من مواقفه في الثلاثينيات فتواه المشهورة في المنطقة بحرمة بيع الأراضي لليهود، توفي سنة ١٣٦٠هـ ودفن في قريته.

والدته:

الحاجة فاطمة شمس الدِّين كريمة الشَّيخ علي شمس الدِّين الشاعر والأديب المعروف، ابن الشَّيخ مهدي صاحب المدرسة المشهورة باسمه، والَّتي يذكرها السيِّد الأمين في أعيانه.

ولادته ونشاته:

ولد في النجف الأشرف وبحسب بعض القرائن سنة ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م، ذلك أنَّ والده استقر في بلدته عيناثا بعد تركه النجف سنة ١٣٥١هـ وعمره حينذاك وكما تقول والدته سنة أو تزيد قليلاً، عاش اليتم والفقر في طفولته.

وقد وجدت على ورقة بخطه محاولة منه لرواية سيرته الذاتية ننقلها كما هي:

قال (قده) مترجماً نفسه: «ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٥٠هـ ١٩٣٢م، وعاد به والده إلى بلدته عيناثا، وعمره على

رواية والدته أربعة أشهر، توفي والده وله من العمر تسع سنوات. بعد أشهر قليلة من وفاة والده تولّد فيه إحساس، كان يدرك أنّه يفوق عمره، إحساس ملح للخروج من قريته، لم يملك تعليلاً له أو يحدد له هدفاً.

وهو في هذا الشعور الضاغط، دخل «المكتب»[1] لتعلم القراءة والكتاب وقراءة القرآن الكريم، وكان المعلم فيه امرأة متقدِّمة في السن من عائلته لها مراس طويل في تعليم الكتاب الكريم، قرأ عليها والده ومن تقدمه.

في بداية دخوله، كان يسهر الساعات الطوال يقرأ على مصباح زيت لحفظ الدرس المطلوب منه صبيحة تلك اللّيلة، وسرعان ما نال ثقة الشّيخة، وأصبحت، تعتمد عليه «بالتسميع» لزملائه أمّا هو فتكتفي منه بإخباره لها أنّه حافظ لدرسه.

ولم يطل مقامه عندها أكثر من ثلاثة أشهر، ختم فيها القرآن الكريم، ليدخل «مكتباً» آخر لتعليم الخط، وكان المعلم فيه من سادة آل جعفر، جميل الخط، أديباً شاعراً ساخراً ناقداً منطوياً، شديداً على طلّابه، سلط اللّسان في تأنيبه، وهذا أهون ما يعامل به المتخلّفين من طلّابه، ومن حسن الحظ أنّ خطّ الفتى كان يقارب خطه، فنال رضاه في مدة لا تزيد على الستة أشهر، وكما جرت العادة عند انتهاء تعلم القراءة والكتابة، خرج المعلم مع لفيف من زملائه بأهازيج وأناشيد، معلماً إيّاه وزملاءه أبياتاً من الشعر يُرَحب بها عند الوصول إلى داره، ولا يزال يحفظ منها هذه الأبيات:

أهــلاً بــأيــمــن مــقــدمٍ أبــراجُ طــالِــعِــهِ الــسّــعــودْ

---

(١) الكُتّاب.

عـمَّ الـسـرورُ وجـودكُـم   فـكـأنّـهُ فـي الـنَّـاسِ عـيـدْ
هـذي مـآثـرُ فـضـلـكـم   عـدد الـكـواكـب أو تـزيـدْ

وعند انتهائه من تعلم الخط، دخل المدرسة الرسمية في بنت جبيل، بقي فيها ثلاث سنوات، تحددت فيها أبعاد ذلك الشعور، وتولد فيه شوق ملح ليعد نفسه إلى النجف الأشرف لطلب العلم الدّيني، مرتسماً خطى أبيه وأجداده، فخرج من المدرسة وله من العمر خمس عشرة سنة، وما أن بلغ السادسة عشرة حَتَّى توجه إلى النجف الأشرف بعد أن لاقى معارضة شديدة، أشار إليها في قصيدة «صفحة من حياتي» وهي مثبتة في ديوانه، مطلعها:

صـارعـتُ دهـري ولـمـا   صـرعـتُـهُ بـاقـتـدار

إلى أن يقول مشيراً إلى تلك المعارضة:

طـلـبـتُ مـجـداً وعـمـريْ   سـتٌ وعـشـرُ سـنـيـنِ
ولـيـس لـي مـن كـفـيـلٍ   سـوى زمـانٍ خـؤونِ
قـصـدتُ أرضَ الأمـانـي   لـرحـبِ ركـنٍ مـكـيـنِ
لـصـنـو طـهَ عـلـيٍّ   ومـعـدنِ الـتـأمـيـنِ
فـقـام حـولـي ضـجـيـجٌ   مـن مـشـفـقٍ يـثـنـيـنـي
وحـاسـدٍ فـي فـعـلـه   مـحـاولاً يـغـريـنـي
فـمـا أبـهـت ولـكـن   خـطـوت خـطـو رصـيـنِ

ويتابع (قده): «أجل توجَّه إلى النجف الأشرف بصبحة ابن عمِّه [المقدَّس] السيِّد عبد اللطيف فضل الله الَّذي يكبره سناً، وذلك بالسيارة عن طريق حلب في ٢٢ صفر سنة ١٣٦٦ هجرية، فوصل النجف في أوائل ربيع أوَّل من تلك السنة، وابتدأ بدراسة المقدِّمات والسطوح على يد ابن عمِّه آية الله السيِّد عبد الرؤوف فضل الله (قده)، ابتداءً من القطر وانتهاءً بالرَّسائل والمكاسب، وحضر قسماً من شرح منظومة

السبزواري[1] في الفلسفة على يد الشَّيخ محمد تقي صادق (قده)، ومن أساتذته خارجاً في بعض أبواب الفقه المراجع: السيِّد علي الفاني، والشَّيخ عبّاس الرميثي، والسيِّد محسن الحكيم برهة قصيرة، وكان الحضور المستمر والفائدة التامة على يد أستاذه السيِّد أبو القاسم الخوئي فقهاً وأصولاً في مدة تنوف على العقدين من الزمن».

[حَتَّى هنا ما وجد على وريقات بخطه]، وهي تدلُّ على نبوغه المبكر وعلى صدق المقولة الَّتي تردَّدت بين أهله وهي أنَّ والده كان يتنبأ له بمستقبلٍ علمي زاهر فيناديه رغم صغر سنه بالعلَّامة ولمَّا يبلغ التاسعة من عمره.

في النجف الأشرف:

وصل النجف الأشرف عام ١٣٦٦هـ و(١٩٤٧م)، في وقت كان عدد العاملين فيها دون العشرين لبنانياً، تغلُبُ عليهم الفضيلة والتحصيل، فكان تعامله وانخراطه في جو من هم أكبر منه، وكما كان يقول: «وصلت وانخرطت في جو علمي متحرك، آخذ منه وأعطي».

فقد عاصر في هذه المرحلة إضافة إلى ابن عمِّه المقدَّس السيِّد عبد الرؤوف وشقيقه المقدَّس السيِّد محمَّد سعيد فضل الله الشَّيخ محمد تقي الفقيه (قده) والسيِّد حسين مكي (قده) وغيرهم من هذا الجيل، ومن المراجع السيِّد عبد الهادي الشيرازي (قده) الَّذي قلَّده قبل بزوغ نجمه العلمي، والسيِّد محمود الشهرودي (قده) والسيِّد محسن الحكيم (قده)، والسيِّد أبو القاسم الخوئي (قده) الَّذي كانت جلُّ دراسته عليه، وغيرهم من الطبقة الأولى الَّتي كانت تزدهر بهم مدينة النجف، وقد تركت هذه البيئة الأثر الإيجابي في تنشئته العلميَّة.

---

(١) ومِمَّا يذكر هنا.. عند ذهابه من جبل عامل إلى النجف الأشرف عام ١٣٦٦هـ أنه دخل على السيِّد الشيرازي في قمة مرجعيته وعندما تعرَّف عليه رحب به ترحيباً خاصاً باعتبار أنَّه قرين والده السيِّد صدر الدِّين حَتَّى أنَّه ذكر أنَّهما سكنا في أوَّل حياتهما في منزل واحد.

ومن حين انتقاله إلى النجف، أكبَّ على تحصيل علومه، انكباباً شغله عن تعاطي أنشطة جانبيَّة، لم يشجِّعه عليها تقدّمه بين زملاء له، بل حاذر على طموحه العلمي من الانجراف المبكر في أمواج الحياة، ولم يثنه عن انقطاعه هذا ضيق ذات اليد، إنْ لم يكن سبباً لها.

كان للتحصيل العلمي عنده، آدابٌ كثيرة، تتفق مع التفرغ النفسي والذهني الّذي أراده، بحيث لا تشوبه شائبة من شأنٍ خاص أو غرضٍ عام، تكسر انصرافه إلى مباحثه وكتبه وكتاباته، فالوقت بحسب ما دأب على ترداده لجلسائه ومحيطيه، «كالسَّيف إن لم تقطعه قطعك»، فتابع دروساً إضافية في أيّام عطله، ولم يغادر العراق طوال ٢٣ سنة إلاّ مرتين، فصلت بينهما سبع عشرة سنة.

ومنذ بداية ترعرعه العلمي، اتخذ سبيل المشقة في دراسته، ونسب إليه، أنّه في بعض عهوده، كان يقضي سحابة يومه، سبع عشرة ساعة أو يزيد، لا تشغله عن مباحثه، إلاّ فترات العبادة، فيما تنتابه الدهشة، «مِمَّن يجد وقتاً للأحاديث غير المفيدة، بعد مجلس الدرس، وقبل تحرير ما سمع»، وهو الّذي تشدَّد إلى حدّ منع تلامذته، عن مراجعته في مسألة، أو التوجّه إليه بطلبٍ أو استفسار، في «أيّام التحصيل»، مرجئاً إيّاهم إلى «أيّام التعطيل».

وفي مجرى انهماكه هذا، ومع بزوغ نجمه، رفض عرضاً للوكالة في بعض نواحي العراق، من المرجع الكبير السيِّد محسن الحكيم (قده)، وكان يعرفه عن كثب، معتذراً بضيق الوقت، فما كان من السيِّد الحكيم إلاّ أن قال: «اتركوه، إنّه عاشق للعلم وله مستقبل زاهر».

حاز مرتبة الاجتهاد في مرحلة مبكِّرة من حياته، كما تنطق بذلك كتاباته العلميَّة، الفقهية والأصولية، بحيث أصبح في وقت قياسي، من الوجوه البارزة في النجف، ويعرف ذلك كلّ من واكبه، أو تتلمذ على يديه، كما يشهد به معاصروه.

لقد شاعت هذه الثقة العلميَّة والرُّوحيَّة الَّتي تمتَّع بها، في أوساط نجفيَّة مختلفة فتوجَّهت إليه أنظار بعض أهلها، وخصوصاً في الحيّ الَّذي أقام به، وترك فيه الأثر الطيب. وقد التزم الصَّلاة في مسجده بدعوة من أبناء المحلَّة، وبات معتمداً، في قضاياهم الشرعيَّة، وهي خطوة غير معهودة في مدينة عرفت بعلمائها وازدحمت بهم. ويحكى عن وجهاء نجفيّين، إلحاحهم عليه بالبقاء الدائم في النجف، طمعاً بتبوئه فيها، منزلة مرموقة، تضعه في «مصافّ طبقتها الأولى».

عاصر بدايات الحركة الإسلامية في العراق عند تأسيس «جماعة العلماء» الَّتي قامت في وجه المد الشيوعي، وانتسب إليها بعض رفقاء دربه. لم ينخرط فيها مباشرة، رغبة باستقلالية مقصودة، لكنَّه لم يخف دعمه لكلِّ عمل إسلامي يؤدِّي إلى «قيام دولة إسلامية ينشدها كلّ عامل في سبيل الله» على ما يعبِّر.

شكَّلت النجف الأشرف، محطة أساسية من حياته، وقد مكث فيها زهاء ثلاثة وعشرين عاماً، كرَّسها لبناء خصوصية علمية، تطورت به ليغدو محلاً لثقة كبار علمائها، فمارس في حوزتها تدريس كتابي الرَّسائل والمكاسب، ولم يكن قد تخطى بعد أواسط عقده الثالث، وأنجز حينها تقرير وتحرير مباحث الخارج، الَّتي استعان بها كثير من زملائه، فيما اعتاد آخرون على مراجعته، في شؤون الدراسة، واستيضاح ما خفي منها.

في لبنان:

طالت إقامته قُدِّسَ سرُّه في النجف الأشرف، وتوغَّل في دروبها عالماً ومتعلِّماً، ولم يكن قد رسم بعد خطى عودته إلى الوطن، يحدوه طموحٌ لم يراود أحلام الكثيرين؛ فالعودة إنَّما تقطع عليه ذلك الانغماس الفريد، في بيئة علميَّة عشق غناها، وأحبَّ وعودها، وتوسَّم منها رتبة، ربَّما حاز منها درجة، لكنَّها لم تملأ بعد قلب ذلك الشغوف منذ الصغر،

بأن يستأنف مجد آبائه، أو يدرك غرضاً رسمته مخيِّلة الصبا، فلم تستدرجه السهولة أو يغْريه العرض القريب، فأطال إلى قصده السبيل.

هذا الطموح المترف، زيَّنَ له التمنُّع، وأحبطه عن اغتنام الفرصِ السانحة، مع أنّ إقامته في النجف، حتَّمتْ عليه، أن يعاني ضنك الحياة ومشقة في العيش، قد تكون في واحدة من هاتيك العروض الَّتي رفضها، مندوحة منها.

قاوم رغبات عديدة حملها لبنانيون إليه، تطلبه للعودة، فيكون بينهم العَالم والمرشد، بعد أن شاع بروزه العلمي، واحدة من أهالي تل الزعتر وثانية من أبناء برج حمود، وأخرى من قرى عاملية، وغيرها... وعندما أوفدت إليه إحدى ضواحي بيروت، جماعة من أهلها، رفض واعتذر، متعلِّلاً بأن «الثمرة لا تقطف قبل يناعها».

وكذلك هو حاله، حَتَّى وصلته تلك الرِّسالة، الَّتي وقعت في نفسه موقع الحيرة، وأصابت ضميره الدِّيني بحرج، وقد صيغت بلغة التوسُّل، وطُبعت بلهجة الاستصراخ والرجاء، «أن أنقذ دين جدِّك»، وتولَّ قوماً، سفينتهم «بلا ربان، يتهددها موج الانحراف وحبائل الفتنة»؛ فتردَّد فيئة بين طموحه المتوقِّد، وما ظنَّه تكليفاً شرعيّاً حاسماً، ليتغلب هذا التكليف، فقرر إجابة الدعوة، متخذاً أحد أكثر قرارات حياته إيلاماً... مغادرة النجف الأشرف الَّذي ظلَّ عالقاً في وجدانه، فيمَّم شطر وطنه قاصداً بلدة خربة سلم اللبنانية العاملية عام ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م، وهي الَّتي أرسلت إليه رسالتها «الذكيَّة» كما كان يقول، حاملةً معها سبعة وثلاثين توقيعاً من وجهائها.

وخربة سلم بلدة جميلة من أعمال قضاء بنت جبيل، تبعد عن العاصمة بيروت، ١٠٠كلم تقريباً، وتفصلها كيلومترات قليلة، عن الحدود الجنوبية مع فلسطين المحتلة.

باكورة نشاطه في جبل عامل:

عاد قُدِّسَ سرُّه إلى جبل عامل، وفي جعبته برنامج عملٍ شامل، تجد مقتطفات منه في مدوَّناته، تحدَّدَتْ في هذا البرنامج أولويات وخطوط عريضة، تنمُّ عن وعيٍ مبكِّر، بأهميَّة العمل العام، وعن عقل متنوِّر منظَّم، يولي عنايةً إيجابيةً بمحيطه، إزاء نمط تقليدي، غير متفاعل هيمن على المجتمع الدِّيني آنذاك.

وفي أوراقه المتناثرة، ملامح إحساسٍ بارز، بضرورة بلورة اتجاه علمائي فاعل، دعا إليه منذ بداية سبعينيات القرن الماضي، وفي مذكراته وإفاداته أيضاً، حوارات عديدة حول أفكار في هذا المضمون، جمعته إلى أقرانٍ له، تَمَثَّلَ معظمها، فيما ذكَره، بأمرين:

الأول: مقاسمته الطبقات الشعبيَّة همومها، ومشاركتها فيها مشاركة، تصل حدَّ الانخراط الكامل، ولطلما ردَّد دعوة للعلماء والقيادات، بأن «تنزل من برجها العاجي».

الثاني: الاهتمام باللَّون الإسلامي للعمل، وفي بعض كتاباته المتفرقة، نماذج تطابق بعض ما هو معمول ومتَّبع في النشاط الإسلامي أيَّامنا الحاضرة.

بداية السبعينيات، باشر عملية واسعة في محيطه، لنشر الوعي الإسلامي في صفوف الفئات الشابة، ودخل في نقاشات هادفة مع الشريحة المثقَّفة، لكنَّ انتشار الأيديولوجيات اليسارية، وتصاعد المدِّ القومي آنذاك، أحبط آماله الَّتي عَقَدها على «الجيل المثقف»، في أن ينال مساندته ويكونَ إلى صفِّه، ومع ذلك أصرَّ على المحاولة، فحرَّض أولئك، على التحلِّي بروح نقدية، تنأىٰ بهم عن الاستسلام الأعمى، «لما يزودونه من أفكار، بعضها جاهز مستورد»، فيما يتنكَّبون طريق الموضوعية والتجرد في النقد، لو اتصل الأمر بالدِّين والتراث الخاص.

بعد ذلك، انصرف إلى الجيل الطالع، يولي عناية خاصة، باليافعين مِمَّن لم يجوزوا بعد إلى سني الشباب؛ فاجتذبهم إلى مجلسه، وتحمَّل صنوف عبثهم وشقاوتهم، واحتضنهم أيَّما احتضان،... أثمر ذلك بعد زمن، ثلَّةً من العاملين معروفة، كان لبعضها شأنٌ مشهود، أو عُرفت له الرِّيادة، على صعد إسلامية مختلفة، ثقافية ودينيَّة وسياسيَّة.. وجهادية في أوقات لاحقة.

شهد منزله في المراحل الأولى لظهور المدّ الإسلامي في لبنان في النصف الأول من عقد السبعينيات، لقاءات عدَّة مهمة، جمعته إلى علماء عاملين مِمَّن آلت إليهم القيادة الرُّوحيَّة والسياسيَّة، في آونة أخرى، وقد أثبتت مساهماته فيها، مواكبته الجادَّة للإرهاصات الأولى للصعود الشِّيعي، ولبدايات ترسُّخ التيار الدِّيني فيه. ولطالما تكرَّرت في هذه الاجتماعات، بحسب ما أورد في مذكراته، آراؤه عن أهمية: «الدقة في تحديد الأهداف، واختيار القيادة، وتوحيد الجهود، ونبذ الأنا»... واعتبار ذلك من أركان النجاح والاستمرار؛ وربَّما كان لحزمه في التقيّد بمعايير واضحة، ما باعد بينه وبين الانخراط المباشر، في أطر العمل وتنظيماته، الَّتي بدأت بالبروز آنذاك، رغم عدم معارضته لها، ومحضها التأييد في كثير من الأحيان.

عاصر أحداثاً عدَّة منذ دخوله إلى لبنان، منها ما كان له رأي فيها، أو نصيحة أو توجيه، ومنها ما أعرض عنه، لتعارضه مع قناعاته المبدئيَّة. أول ما صادفه في هذا الصدد، انقسام الساحة الشِّيعيَّة عام ١٩٦٩ حول تأسيس المجلس الإسلامي الشِّيعي الأعلى، حين توزَّعت الآراء بين مؤيد ومعارض وشاجب، فعرض وساطته، إنَّما قبل أن يفاجأ، بأنَّ ما ظنَّه تباينات جوهريَّة، هو جزء من مناورات سياسيَّة، لم يتوقع «لروحانيِّين الانخراط فيها».

وفي السبعينيات أيضاً، بادر إلى اقتراح صيغ أخرى للعمل العلمائي، منها تشكيل مجلس مستقل للعلماء المسلمين، وتأسيس بيت مال موحَّد للمسلمين، تجمع فيه الحقوق الشرعية، وتشرف عليه «لجنة موثوقة»، من أجل تحرير العلماء وطلَّاب العلوم الدِّينيَّة من تبعات تدبُّر أمور المعيشة، فيما كان أول الشاجبين والمعارضين لربط المؤسسة العلمائيَّة بالسلطة السياسيَّة الرسميَّة.

ولم تكن تجربته تلك حَتَّى ذلك الحين، بمنأى عن الصعاب، فقد حالت الحزبيَّة الضيِّقة، أو الفرديَّة المغرقة، دون «استغلال النخبة لأغراض شعبيَّة»، ويذكُر أنَّه قاد بنفسه عام ١٩٧٢، حملة لتهيئة أسباب الصمود في بعض مناطق الجنوب المهدَّد آنذاك بعدوان صهيوني متواصل، منها إعداد ملاجىء آمنة للمدنيِّين، وقد عبَّأ لذلك رهطاً من الشباب الناشط في حينه، لكن مالكي زمام تلك المرحلة «كانوا أوَّل من أعاقها»، وهم من باشرهم بالرهان، أن ينتقلوا من الصراعات النظرية العقيمة، إلى النضال الميداني المثمر.

ومِمَّا يذكره قُدِّسَ سرُّه أيضاً، أنَّه باشر اتصالات واسعة للإعداد لتحركٍ واسع يطالب برفع الحرمان عن جبل عامل، ويدعو إلى معالجة أوجه القصور المزمن، الَّتي تصيب فيما تصيب القدرة على «الثبات والبقاء في الأرض»، ربَّما كان ذلك في أعقاب اجتياح ١٩٧٢، وقد أحسَّ لمبادرته وقعاً فاتراً، في أسماع من حملها إليهم في بيروت، لكن لم يُضِرْهُ، وإن أدهشه، أنَّ ما طرحه نُفِّذَ فعلاً دونما تنسيق معه.

هذا الاتجاه الرُّوحي العامل، الَّذي تحلَّىٰ به، حتَّم عليه الآونة تلك، الابتعاد عن الأضواء، وتحاشي المنافسة، فقد غَلبَ عليه حبُّ السَّلامة في أمر الآخرة، ما دامت أيُّ منافسة في عرفه، شأناً من شؤون الدُّنيا. ولطالما آذته أحوالٌ من «التزاحم غير المشروع»، وأودت به إلى

انكفاء نسبي موسوم بالأسفِ والحرقة وافتقاد المندوحة، وأكثر ماعاب على بعض «أبناء العلم» إقبالهم على الدُّنيا، وإيغالهم في دروبها، وطلبهم مغانمها بكلِّ يد، وقد أضرَّت به ضروب المزاحمة تلك أيّما ضرر، وألقت في سبيله، عوائق وعثرات، آثر أن يحيد عنها، فلا يتمادى في خصومة أو يخوض في نزاع، على مكانةٍ أو رتبةٍ أو منفعةٍ مهما كانت، كي لا ينحاز إلى فئات المتنازعين، أو يُذكر بينهم. وفي أحاديثه، روايات مغفلة عن مرارات العلاقة مع أبناء طبقته، طبعاً . . خلا أولئك الَّذين لم يفسد خلاف الرأي وُدَّهم، وعَقَدَ على أخوّتهم العزم، أبد العمر. لكنْ لم تنهزم فيه رغبة كامنة، في الانخراط بمجرى الحياة العامَّة، حال دونها ظروف غير مؤاتية، حَتَّى أعادها فجر الثورة الإسلامية في إيران إلى توثب البدايات. .

الثورة الإسلامية في إيران، وفلسطين:

خلَّفت الثورة الإسلامية في إيران، عميقَ الأثر في وجدانه، لكأنَّه على وعدٍ مسبق معها، أو أنَّها جاءت على طبقٍ ما ارتسم في سريرته، ودار في خلده، في أن «يستعيد الإسلام مجده، وتعرف الأمَّة هويتها ومكانتها»، فتابع أحداثها بلهفة وشغف، وعرف فيها إثر انتصارها، نموذجاً يحتذى، يصحُّ القياس عليه لا المطارحة فيه؛ وهذا ما تمثَّله وجمع خيوطه في مواجهته اللاحقة مع الاحتلال الصهيوني لجنوب لبنان. وقد أيّد بقُوَّة منذ اللحظات الأولى، ومن موقعه الفقهي المعروف، قيادة الإمام الخميني (قده)، وتصدِّي الفقيه العادل لإمامة الأمَّة، وقد عُرف عن مجالسه، أنَّها كانت محلاًّ للدفاع عن الثورة الإسلامية، والمحاججة في أحقِّيتها وشرعيتها؛ إزاء أوساط دينيَّة تنكَّرت للثورة بعد انتصارها، بل استهجنت أن تقوم قائمة الدولة الإسلامية، فتتصدى لأفعال السلطة، وتمارس كل صلاحيات الحاكم، في الإصلاح والجهاد وبناءِ الشأن العام.

ولم تكن مساهمته المتقدّمة والرائدة في مواجهة الاحتلال، إلّا الصيغة الأخرى، لهذا الموقف المبدئي الفكري ـ العقائدي ـ الفقهي، الّذي التزمه دائماً، بل أعلنه قبل عقود. وفي قصاصةٍ صغيرة، عُثِر عليها بين أوراقه، يعود تاريخها إلى العام ١٩٦٩، ملامح مبكرة لهذا الموقف.

سُئل: ما رأيكم في التحركات الفدائية (الفسلطينية)؟ وما رأي الدِّين بذلك؟

فأجاب: *«برأيي، إنّها تدقّ بعنف أبواب التاريخ، وأخالها ستكلّل في يوم بالعزّ والنصر، وما حركة الفدائيِّين إلاّ جزءٌ من كلّ»، والسؤال عن موقف الدِّين من قضية فلسطين، لممَّا يبعث في نفسي الاستغراب! ألم تصبح فلسطين جزءاً من كيان كلّ مسلم، ومتى كان ديننا يُسلم يدَ المذلّة؟! فيما هو يعمل للعدل ويتحفّظ عليه، ولصيانة العقيدة والكرامة، وكلمة أعظم قائد من قادة المسلمين (الإمام علي عليه السلام) لم تزل تدفع الأجيال للعمل على صون الكرامة بكلّ جهد «ما غُزيَ قومٌ في عقر دارهم إلّا وذلّوا»... فهل نحن حقاً مسلمون... هنا يكمن الداء وسرُّ الهزيمة...».*

في مواجهة العدو، سنواتِ الاحتلال:

منذ بداية العدوان الصهيوني على لبنان عام ١٩٨٢، كان للمقدّس السيِّد عبد المحسن فضل الله، مواقف فقهيَّة ظهرت آثارها بشكلٍ أو بآخر على مسار الوقائع. فأثناء حصار بيروت، عامذاك، أفاد قيادات وفدت إليه للمشورة، حول خيارات المواجهة فيما لو اجتاحت القوات الإسرائيلية الضاحية الجنوبية، أفادها بحتمية المواجهة، لكن مع رسم تحالفات ميدانية مأمونة وذات معنى، وبأسلوب يسمح بادِّخار وتعبئة جزء من الطاقات الجهادية للمرحلة التالية... ربَّما لأنّه من أوائل من وعوا أهمية تنظيم حرب كر وفر طويلة الأمد ضد الاحتلال...

وبعد استقرار الغزاة في المناطق الجنوبية، آثر الإقامة الدائمة في جبل عامل المحتل، على خلاف ما دأب عليه في سنواته السابقة، بعد أنْ اقتطعت الإقامة في بيروت شطراً من وقته، وقد صرَّح بأنَّ ذلك «رضوخٌ لتكليفٍ شرعي، يملي عليه البقاء».

عام ١٩٨٣ رعى، في دارته، لقاءاتٍ علمائية موسعة، بحثت في سبل تصعيد المواجهة الشعبيَّة، أهمها إثر اعتقال الشيْخ الشهيد راغب حرب في آذار ١٩٨٣، وبعد استشهاده عام ١٩٨٤، كما قدَّم مساندة مباشرة للعلماء الَّذين تعرَّضوا لقمع الاحتلال ومضايقاته. ويَذْكُرُ متابعو تلك المرحلة، أنَّ منزله في خربة سلم، أصبح محلاً دائماً، تتقاطر إليه القيادات الدِّينيَّة والمحليَّة للتداول في شؤون المواجهة والتخطيط للتحركات الشعبية. ومع تصاعد وتيرة الانتفاضات والمقاومة، بات «السيِّد» أباً روحياً، ومصدراً شرعيّاً للفتوى، لكثيرٍ من المنضوين تحت لواء المقاومة، الَّتي لم تكن قد أدركت بعد، شكلها النظامي التام الَّذي عرفته فيما بعد.

امتدت خطوط القتال مع العدو، وازدادت معها ضراوة القمع والإرهاب، وفي أقصى صُوَرِهِ ما أسماه الاحتلال «القبضة الحديدية»، فاتسعت بالمقابل دائرة المجاهدين المتحلِّقين حوله، يتخذون من حماه ملجأ ومحطة، بل انَّ غالبية مجموعات المقاومة، الَّتي عَبرت إلى الجنوب المحتل، وخصوصاً إلى جنوب نهر الليطاني، عرفت دارته، وأقامت فيها لفترة من الزمن طالت أو قصرت، أو اتخذتها مقراً مؤقتاً.

لقد تجاوز قُدِّس سرُّه، في ارتباطه بالمقاومة، حدوداً، توقف عندها كثيرون من علماء جيله، فلم يتطبع بروحٍ محافظة، آلت بأقرانٍ له إلى التردُّد عن الاندماج بالمدِّ الثوري المتصاعد، وإلى التزام تأويلات دينيَّة حرفيَّة، تقصُر عن مسايرةِ الأحداث، وسبر غور المرحلة أو

مواكبتها، فضلاً عن المساهمة في قيادتها، فقد جمع إلى حكمته المعروفة، جرأة وإقداماً، حملته إلى رفض الأعراف الّتي أبطأت تفاعل معاصرين له مع متطلبات تلك الحقبة، واستيعاب تغيراتها.

وتروي القيادات الميدانية للمقاومة، في تلك المرحلة بكثيرٍ من الوجد، حكاياتها عن هذه العلاقة، المجبولة بالعاطفة والأبوّة الّتي ربطت السيِّد بهم، وقد زادتها المعاناة ترسّخاً وتوثّقاً، وبحسب أحد الناشطين البارزين آنذاك؛ فإنَّ الدعم الشرعي والمعنوي الَّذي منحه «السيِّد» للمقاومين «كان منقطعَ النظير قياساً إلى بيئته والرتبة العلميَّة الَّتي يحملها، ومقارنة مع ما كانوا يصادفونه في أماكن أخرى».

ويروي آخر أنَّ كثيراً من العمليات الرئيسية الَّتي تتطلب موقفاً فقهيّاً دقيقاً، لم تكن لتحصل، لولا إبراؤه الحازم لشرعيتها. ولم يقتصر على المواقف العامَّة؛ ففي أوقات حرجة أخرى، تُطلب مشورته العاجلة من أرض الميدان، فيتوقف العمل أو يتصاعد، بناءً على ما ينصح به.

أدرك العدو الدور المؤثّر لهذه الشخصيَّة، الَّتي لم تُعرف حَتَّى ذلك الحين، بغير العلم والفضيلة، فنظَّم حملة ضغط، تصاعدت مع الوقت، لتتحوَّل إلى استهداف مباشر، ترهيباً ومحاولاتِ اعتقال واغتيال وقتل.

في البداية، أرسل العدو من يشجِّعه على الرحيل، إلى العاصمة، بناءً على تسريب متعمَّد، مفاده أنَّ الاحتلال يخطط للنيل منه، ولمَّا لم يأبه، وزعت الاستخبارات الصهيونية، على مدى المناطق المحتلة، قائمة بأسماء قيادات غير مرغوب استمرارها في الإقامة فيها، وتصدَّر اسمه القائمة.

بعد ذلك، كرَّت سبحة الاعتداءات المسلَّحة، الَّتي زرعت منزله بالرصاص والقذائف والصواريخ، في سبع عشرة محاولة مباشرة

للاغتيال، يفصل بين الواحدة والأخرى أسابيع أو أيّام، وأحياناً ساعات قليلة، وفي إحداها استعملت عبوة كبيرة الحجم زرعت على ممره اليومي إلى الصَّلاة، وفي أخرى صواريخ موجهة، اخترقت سريره الخاص، أمّا آخر هذه الاعتداءات، فكانت بمروحيات حربيَّة، أصابت صواريخها الأربعة منزلاً مجاوراً.

نجا قُدِّس سرُّه من هذه المحاولات الَّتي استمرت حَتَّى جلاء الاحتلال عن هذه البقعة الجنوبية وجوارها، في حزيران ١٩٨٥، لكن زوجته، كريمة المقُدَّس آية الله السيِّد عبد الرؤوف فضل الله، أصيبت في إحداها، بعد أن دفعتها اللهفة، إلى اقتحام غرفة درسه المكشوفة على مواقع النيران، بعد لحظات من البدء بإطلاقها، كانت إصابةً بالغة، أدخلتها في غيبوبة استمرت أشهراً، لتستفيق على شلل نصفي، وجراحٍ مضنية، كابدتها طوال ثلاث سنين، قبل أن تستشهد. ومنذ إصابتها صار جهاده جزءاً من سيرته الشخصية، وبعض ملامح وجدانه وأساه الخاص. ضاعف من أسفه، أنَّها نقلت وحيدة إلى مستشفى قوات الطوارىء الدولية في الناقورة، «وهي الَّتي لم ترها الشَّمس»، وظلَّت على ذلك شهرين أو يزيد، وقد حال العدو دون عيادتها، وحَتَّى النسوة من أبناء قريتها، اللواتي قصدنها تعرَّضْن للإرهاب في الطَّريق، ورُددنَ على أعقابهنَّ.

لم تفتَّ هذه المعاناة من عضده، ولا أثر على صموده، وقوع أسرته الكبيرة، تحت طائلة الخطر الداهم، وتعرُّض بلدته للحصار، وهي الَّتي غدت تحت الاحتلال، حصناً منيعاً، يهاب الاحتلال وعملاؤه من اقتحامها، أصرَّ على موقفه بالصمود، رغم تعدد العروض الَّتي تخللت فترات الهدوء بين هجمة وأخرى، وكان رفضه لها، مثالاً آخر، على ما تحلَّى به ذلك الشَّيخ المهيب، من حزمٍ وصلابةٍ وجرأة.

فيوم أرسلت قيادة الاحتلال، من يحمل إليه رغبة وفدٍ رفيع بزيارته، وفي عداده العميل المعروف عقل هاشم، والقائد الصهيوني للمنطقة الشمالية، أرفق رفضه، بتهديدٍ مبطَّن، «بأنهم محتلون ويَسَعُهم التنقل إلى حيث يريدون، لكن من يأتي يتحمل مسؤولية نفسه».

ولم يعدِّل من برنامجه، المرتكز على البقاء، محاولات أخرى متعددة الأوجه، بينها اقتحام قُوَّة كبيرة من المخابرات العدوة، منزله، بهدف إبعاده كما عُلِمَ فيما بعد، فغادر عبر المسالك الجبلية الوعرة، إلى أحد بيوت القرية المجاورة ليعود بعد ساعات. كما لم يأبه بعرض استثنائي قدمته قيادة قوات الطوارىء الجنوبية العاملة في جنوب لبنان، بوضع طائرتين تحملان شارات الأمم المتحدة، في تصرفه، لتأمين انتقال آمن له ولعائلته إلى بيروت، بعد تصاعد الاعتداءات عليه. وخمَّنَ أنَّ في هذا العرض، رغبة إسرائيلية مضمرة.

مكث في المناطق المحتلة حَتَّى انكفاء الاحتلال عنها، إلى ما يعرف بالشريط الحدودي، وتحوّل صموده، إلى أحد الفصول البارزة، الَّتي تؤرخ لتلك المرحلة وما تلاها. وبقي على علاقته الحميمة والأبوية، بالمقاومين الَّذين تضاعفت أعدادهم، وانتظمت صفوفهم، بل إنَّ غالبية الشُّهداء الَّذين سقطوا في تلك المرحلة، عرفت ديوانه، وداومت على مجلسه.

لقد كان صموده، على ما يقدِّر مواكبوه، دعوة واضحة إلى رفع مستوى المشاركة في المقاومة، واعترافاً بسعة وجلال الدور الَّذي تقوم به، وقدسيَّة الأهداف الَّتي تسعى إليها. وقد أصرَّ إثر تحرير القسم الأكبر من الأراضي المحتلة عام ١٩٨٥، على احتضان الثلَّة المجاهدة، والانتصار الواضح لها، والدفاع عنها، في مواجهة التحريض الداخلي، والتشهير الموجَّه ضدها. بل تجاوزت أنظاره إلى المناطق الَّتي بقيت

ترزح تحت ثقل الاحتلال؛ بحث في أمر الانتقال إليها، فيما لو أدّىٰ ذلك إلى تعزيز الصمود، وتأجيج روح المقاومة.

ارتبط بعلاقات وطيدة مع القيادة السياسيَّة للمقاومة، لا سيَّما مع الشهيد السيِّد عبَّاس الموسوي (قده)، الَّذي شغل من نفسه مكانة خاصة، فيما دأب السيد الشهيد، وفي ظروف حاسمة على استطلاع آرائه، والتزود بنصائحه، والمعروف أنَّه قُدِّس سرُّه، كان من القلَّة الَّتي محظت الإطار التنظيمي للمقاومة، والحركة الإسلامية الشرعيَّة والتأييد المبكِّر، رغم التحفظ الَّذي كان سائداً في بعض الأوساط تجاهه، وقد أدَّت مواقفه الصريحة في هذا الشأن، إلى تعرُّضه لحملة مضايقات، دفعته إلى النزوح إلى بيروت.

تضافرت عليه في المرحلة الأخيرة من عمره، ضغوطات هائلة، وتعديات ظالمة، ضاعف من قسوتها، أنَّها من مقربين وأبناء جلدته ومجتمعه، وبعض مِمَّن نالوا رعايته، قبل أن تنهك سني المعاناة، ذلك الجسد المكافح، فأقعده مرض عضال، وظلَّ يردّد على ألمه الشديد، كما يعرف كل من أحاط به: «إلٰهي إنْ لم يكن بك عليَّ سخط فلا أبالي». إلى أن أسلم الرُّوح بارئها في ٢٣ شعبان ١٤١٢هـ، الموافق لـ ٢٦ شباط ١٩٩٢م، ووري في ثرىٰ بلدة خربة سلم العاملية، حيث روضته.

نشاطاته العامة:

شغل حرمان جبل عامل، قلب وعقل علَّامتنا المقدَّس، فتحولت الدعوة إلى إنمائه، ونفض غبار الإهمال عنه، لازمة في قوله وعمله. وكم بلغ منه الأسف حداً، وقت كانت ترتد نداءاته عن «آذانٍ صماء وعقولٍ معرضة»، وحين كان يقف على مفارقات بادية بين القول والفعل. مع ذلك لم يتخلَّ يوماً عن مقولته المحوريَّة، مذ وفَدَ إلى لبنان، بأنَّ الجهود كل الجهود ينبغي أن تلتقي على بناء مقومات صمود

الإنسان الجنوبي، «وربطه بأرضه»، فالمعادلة الَّتي عرفها، قامت على أنَّ تحرير ابن الجنوب، من الفاقة، يمنعه من إخلاء أرضه، ويوصد دون العدو أبواباً، تشرعها أرض خالية.

لم يكتفِ بهذا الاستنهاض الدائم للقيادات وأولي الأمر، بل جنَّد ما أوتيَ من قُوَّة، وطاقة ذاتية، فأنشأ عام ١٩٧٦ رابطة الشباب المؤمن، ثمَّ جمعية التضامن الإسلامي، الَّتي تحمل رخصة عامَّة بالنشاط على كامل الأراضي اللبنانية. وحاول من خلالها تعبئة الموارد لانطلاقة ذات خطوات محسوبة؛ نحو مشروعات ثقافية اجتماعية عديدة، فأنجز ما أنجز، (مكتبة عامة، بئر ارتوازي، تعاونيات زراعية، معاهد حرفية...)، وخطَّط لمشروعات أخرى، كبناء مساكن تعاونية، وإنشاء مستشفى... لكنَّ الظروف، حالت دون استكمالها.

أسَّس في بداية الثمانينيات حوزة علمية، طمح من خلالها، لتكوين «نواة لنهضة علمية جديدة في جبل عامل»، وقد أفرغ وسعه لإنجاحها، فاستمرت لأكثر من خمس سنوات، وانخرط فيها رهط من الطلاب الَّذين تألَّق بعضهم، وقُدِّر لهذه الحوزة مستقبل مزدهر، لولا أن منعت التطورات الأمنيَّة والسياسيَّة القاهرة، استمرارها.

ملامح من شخصيته العلمية والفقهية:

ينتمي السيِّد عبد المحسن فضل الله، إلى مدرسة مجدِّدة في الانتاج العلمي، قياساً إلى البيئة الَّتي تخرج منها، فغلبت عليها ميزة فقهيَّة مرموقة، وتلوَّنت، برغبة في إحداث تغيير ما يوافق الأُطر الحديثة. وعلى هذا المنوال كانت مقارناته في أكثر من مضمار، بين التشريع الإسلامي والتشريعات الوضعيَّة، وسعيه إلى ترميم الهوَّة بين الأدوات التقليدية المتداولة، والأسئلة المستجدَّة.

كان ذا مزاج فكري معتدل، يقف كما يظهر من كتاباتٍ متناثرة له،

بين اتجاهين متناقضين أنكرهما معاً، الجمود المطلق على التقليد والتراث، الَّذي ينفر من كلِّ فكر وافد «باعتبار أنَّ التراث لهذا الاتجاه كالجسم الواحد لا يترك بعضه دون البعض الآخر»؛ واتجاه آخر، مفارق، يدعو إلى التحرر المطلق، لأنَّ الحضارة برأي أدعيائه، «كالجسم الواحد أيضاً». ويؤيد موقفه الوسطي بين الاتجاهين، بتكامل العقل والإيمان في المسلم، كعامل في «تكوين الحضارة والتزام خط الاعتدال».

وفي كتاباته المتفرقة، ومعظمها قبل عقود، حثَّ للعلماء على العمل، والتصدِّي للشؤون العامَّة، والإقلاع عن العزلة، أو الترفع عن العامَّة، ويقترب من تحميلهم الشطر الأكبر من المسؤولية، على ما آلت إليه أحوال الأُمَّة، باعتبارهم القادة، «فبأيديهم المبادرة والخطة، وعلى كاهلهم يقع العبء الأكبر، وعليهم وحدهم ردم الهوَّة بين الأُمَّة ورجالها».

تركت حاضرة النجف الأشرف، أعظم الأثر في نفسه، وظلَّ طوال حياته على حنينه لها، وقد وهبها كما يقول، «ربع قرن من أفضل أيَّامه»، ووهبته أفضل إخوانه وخلَّانه.

مارس التدريس ردحاً من الزمن، في نطاقٍ لم ينافس شغفه بالكتابة والبحث، ومال إلى الشعر ميلاً لاحظه فيه المحيطون به، وقرض منه ما يرفعه إلى مرتبة الشُّعراء المعدودين. وفي نظمه وجدانيات غالبة تنمُّ عن ألم كامن، وتفصح عن روح حانية ساجية.

عُرِف بالتقوى والورع، وبساطة العيش ونزوع معتدل إلى الزهد، وبتحفظ، مفرط أحياناً، في إنفاق الحقوق الشرعية، فصار إلى ما دون الوسط من حياة أهل زمانه، وقد أضفى كل ذلك على شخصيته مسحة خاصة، شدَّت إليها أنظار المؤمنين، وجعلت له العديد من المريدين، مِمَّن قصدوه التماساً لعلمه، وتيمّناً بسيرته.

كان أيضاً، كثير الأناة، موفور الوقار، شديد الاهتمام بمصالح الناس، صبورٌ على الأذى، وربّما من أقرب المقرّبين إليه، وقد عرف فيه مريدوه وعارفوه، إلى هذه الفضائل، فضائل يسترجعونها كُلّما استعادوا ذكراه، وتلمسوا أثره، وربّما اختصروها؛ بالصدق حَتّى شجاعة ظاهرة، وعمق نظر حَتّى الحكمة، وصفاء سريرة حَتّى غاية الإخلاص.

مؤلفاته:

١ ـ **مستند الفقيه**: مخطوط عبارة عن بحوث فقهية استدلالية على كتاب العروة الوثقى.

٢ ـ **بلغة الطالب في شرح المكاسب**: يقع في سبعة أجزاء، أربعة منها تقرير لبحث أستاذه، الإمام الخوئي (قده)، طبع منه أربعة أجزاء، ولا زال الباقي مخطوطاً.

٣ ـ **كتاب الشركة**: بحثٌ استدلالي حول الشركة في الفقه الإسلامي الجعفري مقارناً بالتشريع الوضعي، وآراء المذاهب الإسلامية الأخرى.

٤ ـ **كتاب الوصية**: على نسق كتاب الشركة، بحثاً واستدلالاً.

٥ ـ **الإسلام وأسس التشريع ـ بحث مقارن**: وفيه بيانٌ لبعض الأصول والأسس الّتي يبتنى عليها التشريع الإسلامي مع مقارناتٍ بالتشريع المعاصر.

٦ ـ **نظرية الحكم والإدارة عند الإمام علي (ع) في عهده للأشتر**: شرح موجز للعهد الشّريف اقتطعه من كتاب الإسلام وأسس التشريع وطبعه مستقلاً تلبية لرغبة من طلّابه.

٧ ـ **ولاية الفقيه**: بحث استدلالي فقهي موسّع حول هذه المسألة

من الفقه، لم يكتمل، بل منعه المرض الَّذي ألمَّ به آخر حياته، من جمع بحوثه المتفرِّقة.

٨ ـ **دليل الفتوى**: محاولة لبيان دليل ومستند كل فتوى مبتدئاً بأوَّل أبواب الفقه، حال دون إكماله المرض.

٩ ـ **بحوث فلسفية**: مخطوط غير مكتمل، وفيه مناقشات فلسفية عقائدية تناول فيها آراء فلاسفة من الغرب، ومستشرقين.

١٠ ـ **الإسلام شكلاً ومضموناً**: كرّاس صغير طبع تحت عنوان: (من واقع الإسلام).

١١ ـ «**السراب**»: ديوان الشعر هذا، وفيه حوالى ٣٥٠٠ بيت.

هذا إضافة إلى تعليقات أصولية متفرقة وخصوصاً على الجزء الأول من كفاية الأصول للشَّيخ «الآخوند».

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يديّ القارىء، نفثات نفسٍ واعترافات وجدان

او قل

هي سرابُ عقلٍ او فائض نفس...

والنّفس ذات مزاجٍ غريب، فلا تملك ان تبتعد او تقترب، او تستقيم او تضطرب، فتركتها وما تستبيح.

لا اريد لها مقدمة، فهي كفيلة ان تترجم نفسها بنفسها، ولكل الذي اريده، ان تلقى القبول عند كلّ شاعرٍ وجدانيّ غير محترف، فتستحق ان يعيّها فكر قارىء، فيقرأ مخلصاً ويحكي ناصحاً.

عبد المحسن فضل الله

١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

الهجرة من الوطن

قصائد الصِبا والشباب



حَنِين

إيماضُ برقٍ من شعوري   فِي طيبِه طيبُ الخمورِ
أرسلْتُه كالنيِّرات   بظلمة الشهبِ الكفورِ
وسكبتُ فِيهِ عصارةً   مِن قَلْبيَ الدامِي الطهورِ
ونظمتُه أنشودةً...   تُتلى على صُحُفِ العصورِ
طير الأراك مغرداً   فِيها عَلى الغصنِ النضيرِ
أودعتُ فِيهِ عواطفي   عبَّاقةً بشذا العبيرِ

وقفي إلى جنبِ الأحبَّةِ   فِي الخمائلِ كالطيورِ
حيثُ الجداول قبَّلت   شفةَ الزهور مع الخريرِ
واستوحي مِنْها الذكرياتِ   بسالفِ الماضي الخطيرِ

لبنان كم من موقفٍ   فِيهِ لربات الخدورِ
أرسلتُ فِيهِ مدامعَ   العينين كالدرِّ النثيرِ
أودعتُ فِيهِ مواقفي   ورسمتُها فوق الصخورِ
وتركتُ فِيهِ عواطفي   ونثرتُها بَيْنَ الزهورِ
لبنانُ كَمْ مِن موقفٍ   فِيهِ لربات الخدورِ

لبنان كم من قبلةٍ رقصت على تلك الثغورِ

لبنانُ يا مهد الجمالِ ومرتع الريمِ الغريرِ
حيَّتك دجلةُ والفراتُ وطلعةُ الشعبِ البشيرِ
حيَّتك ألسنُ يعربٍ بالعلمِ والشرفِ المنيرِ

النجف الأشرف ١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م

حلوة المبسم

تحدثني حلوة المبسمِ ... حديثَ جوًى قد جرى في دمي
تقول سلوتُ معاذ الهوى ... وأخفتْ للغزٍ هُنا مبهمِ
وألقتْ على الجفن أهدابه ... ومالتْ بجسمِ الفتى المعدمِ
وألوتْ بعنقٍ كعنق الغزا ... لِ ومالت إليَّ ألا فارحمِ
تقول الجراحُ جراح الغرام ... أغثني... فهل ليَ من بلسمِ
دخلت إلى الروض أستافه ... صبيحة يومي بلا مأثمِ
فقابلني غصُنه باكياً ... وعادَ على معصمي يرتمي
ومدَّ إلى الصدر أيدي الغرام ... وقبَّل خدي وثنَّى فمي
فأحدث في الصدر رجراجةً ... وطوَّق خصري ولم يُحجمِ
وقفتُ كأنِّي جهلتُ المقامَ ... وخلتُ بأنيَ في حلم
وعدتُ أدافع بالراحتين ... غُصَيْناً بأزهاره مُلْثِمِ
فعاد يسير بكل اتئادٍ ... ولم يتَحَرَّجْ وَلَمْ يُعجِمِ
وحيَّا وودَّع بالناظرين ... قراتُ بهنَّ فَلا تندمِ
وَلَمَّا تَوارى وراء الرياض ... وغاب عن الناظر المُغْرَمِ
فتمتمتُ... سمعاً أيا خافقي ... وَيَا من هَواه بمجرى دمي

النجف الأشرف ١٣٦٩هـ - ١٩٤٩

فلتأت معتذراً

كنت وبعض الأخوة على موعدٍ مع أحد الأصدقاء في النجف الأشرف، وحيث لم نجده، وأخلف وعده، كانت هذه الأبيات:

إنّي أرتل في المقام مقالا ... حتى يكونَ مبلّغاً ورسولا

بل كي لتعلم كيف تُدلي حجةً ... بين الأحبَّة تشبه التنزيلا

لمْ لا اعتذاري يا رضيُّ فإنّني ... لمْ أجعلِ الشعرَ السليطَ مَقُولا

بل إنّهم لما خلفتَ بوعدهم ... رأوا المقامَ بوجههم مقفولا

ذمُّوا ولستُ بذكر ما قد شوهوا ... فيك الصفات وحكَّموا التأويلا

هم عصبةُ الأحرار حَقّاً إنّهم ... لكن رأيتُك فاضلًا مجهولا

إن قد ذعنت إلى الحقائق صادقاً ... فلتأتِ معتذراً لديَّ خجولا

ترجو من الفذ الكَريم سماحةً ... كلا ولا أرجو به التبجيلا

بل يشهد الجمع الغفيرُ بأنّني ... حالفتُ حَقّاً بكرة وأصيلا

واعلمْ بأنَّ العذر لا يأتي بِهِ ... إلا الذليل بفعله وضليلا

ها إن خضعتَ فإنّني لكَ جانح ... فلتلتمسني مدحةً وجميلا

أو لا فإنّي في اللّقاءِ مجَرِّب ... هذا اليراع مجَرَّداً مسلولا

النجف الأشرف ١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٩م

أنتَ عودتني الحنان إلهي

أنتَ عودتني الحنانَ إلهي
وترَبيتُ فِي خمائلِ عَطْفِكْ
كم تماديتُ أَتزَعُ الكاسَ احلاماً
واحسو المُنى بنشوة كَأسِكْ
فوق مهد الشما نصبتُ مهَادي
وعلى الأرض عدت أشدو برِفْدِكْ
وتمايلتُ أرسمُ الحبَّ الحاناً
زهيّاً على صَفِيحَةِ أمسِكْ
ورسمتُ المُنى عروسَ شبابي
باسِمَ الفجرِ من عروسةِ خُلْدِكْ

أنتَ عودتني الحنانَ إلهي
فأعِدْهُ وعطفَكَ الأبديَّا
فالأهازيجُ بالمُنى امسِ كَانت
فِي فمِ الدَّهر لحنها العلويَّا

أيّ نجوى على الرُّبى تركَتْها
غادةُ الفجرِ مَبْسَماً ومُحَيَّا
فإذا صفحةُ المُنى قَدْ تَلَاشتْ
وَسطَا اللَّيل مُدْلَهِمّاً عَلَيَّا
تِلْكَ الحانيَ الَّتي رَدَّدْتُها
أنملُ النَّاي عاد لحناً شجيّا
من زوايا الخلود أترعتُ كأسي
«ثمَّ أهرقتُها على شفتيّا»
أنا طفل الحياة قد لعب الدَّهرُ بقلبي
فعدتُ وحدي شقيّا

كم تقلَّبتُ فوق مهد شقائي
رامي الطرفِ خدنَ همٍّ وبؤسِ
فحثثت الخطى أفتِّشُ أحلامي
وتراجعت حيث يَوْمي كَأَمْسِي
واستعدتُ الخُطى أمزِّق آلامي
وأسعى إلى مَنِيَّة نفسي
أتحنَّين ربة الخلد رفقاً
وارسمي فِي شعاع خلدِك رَمْسِي
أنَّ كأس الزعاف فِي هجعة الدَّهر
خلاصُ الأبيِّ مِن كلِّ رِجْسِ

إن سألت الحياة عن أمسي الزاهي
تكفُّ الحياة عن كل همس
جفَّ كأسُ الشباب لم يبقَ إلّا
نغمةُ الحزن من اناشيدِ يأسي
هكذا زهرة الحياة تلاشت
والمُنى بين لوعة وتأسّي

هكذا هكذا لقيتُ شبابي
فوق كفّيه مِزْهَري وكتابي
ملأ الدَّهرَ بالخداع حياةْ
اهرقتْ كفُّها رحيقَ شبابي
فقطعتُ الحياةَ فِي وثْبَةِ الدَّهر
فِي لوعتي فِي اكتئابي
ورشفت الكؤوس من ألَقِ الصبحِ
ونَلْتُ الأوتارَ فِي محرابي
الهيبّ من شعلة الفجر -
- اضاءتْ فاغْرَيْتُ او صابي
يا سُلافَ الحياةِ قَدْ ملأ الأمـ
ـسُ حياتي وأُتْرِعْتُ اكوابي
ايُّ انشودة لها رَتَّلتها
لم تَرُقْ مسمعي وتخفي انتحابي

مسح الأفقَ تُربَهُ فأراني
لذّة الخلدِ في شديد عذابي

فاهرقي كأسك المليئةَ إثماً
قد خبرناه وابعدي فيه عنّي
إنّ في قعره ثمالة وعدٍ
يخلبُ اللبَّ فيه شوقُ التمني
أي أنشودة وأيُّ خداع
لم تَعُدْ في الزّمان رنةَ حزنِ
فاسدلي الستر دون آماليَ البكـ
ر وانشري أمسك الخجول وغنّي
هذهِ آهتي لَديك اقرئيها
قَدْ تراءت على رُبى كلّ فنٌ
حمَلَتْها يد الصبا كل لونٍ
لك تُنمَى بين الرِّضا والتجنّي
سلبتها قيادَها فتلهّت
ربةُ اللهو في حداثة سنّي
فاهجعي واهدأي وهاكِ غنائي
إقرئيه وحدِّثي فيه عنّي

إيه ربّي فلستُ أعشق إلّا
أن اناجيك بكرة وعشيًا

وابتعادي إليك عن مورد البغي
والجور وما يثير الأبيّا
وصراعي في لجّة اليمّ بعيداً
أصوغ الحياة شعراً نديّا
وابتعادي هُنا وفي زورقٍ
أحلامي وحيداً عن الحياة نئيّا
فلعَلّي هُناك أُشبِعُ أحلامي
في نشوة وعالماً عُلْويّا
فلعَلّي هُنا أبدد آلامي
فأحسوا الحياة كأساً شهيّا
أنت عودتني الحياة...
إلهي... فأعده وعطفك الأزليّا

النجف الأشرف ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م

خواطر وفكر

نفثاتُ اليراعِ والقلبُ معنًى
صوَّرا فكرتي.. فكنَّ خيالي
نشراه من صفحة القلب خيًا
لاً.. والنَّاسُ بعض ذاك الخيال
حكمةُ الله.. جلَّ ذلك حكمٌ
خلقَ النقص حكمة للكمالِ

أبناتِ الخيال.. حتَّى إلى مَ
أنتِ في شاغل عن الإنسان
فاطرفي فكرتي وخلِّي خيالاً
واسعديني به على التبيانِ

وأقرأي خاطراً أميل إليه
مذ عرفتُ الحياةَ شيئاً فشيئاً

أم عرفتِ الحياة حدساً ووهماً
فإذا الجهل شاخصاً أنسيا

أنا وحدي أعي حياتي وشخصي
فاخبريني.. أم انهنَّ كثيرُ
أم خيالٌ يزورني كلَّ يومٍ
أو بشيرٌ يمرُّ ثمَّ يسيرُ

ما حياتي وما العلومُ جميعاً
ولماذا على العلوم مكبُّ
سائراً نحوها أريدُ اقتباساً
مثل طفلٍ إلى الوليدةِ يحبو
هذه فكرتي، فهلا انتباهاً
موقظ العقلَ من سباتٍ طويلِ
واخبروني عن الحقائق حقاً
ودعوني من عالم التأويلِ

النجف الأشرف ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م

وجدها متجهمة

لا تـكـفّـي عـن ابـتـسـامـاتِ الـهـنـا
فـربـيـعُ الـشـبـابِ مـلءُ إهـابـي
غـرّدي كـالـطـيـورِ فـي ألَقِ الـفـجـرِ
تـهـادى مـع نـورِه الـمـنـسـابِ
حـقّـلي روحَـكِ الـجـمـيـل انـطـلاقـاً
تـنـسـنـي الأمـسَ فـي مـريـرِ عـذابـي
لـيـس يُـبْـقِـي الـزّمـانُ فـيَّ شـبـابـاً
فـخـذي زهـرة الـهـوى مـن شـبـابـي
لـيـس يُـبـقـي الـزّمـانُ إلا خـطـوطـاً
لـوّنـتـهـا أنـامـلٌ بـتـصـابـي
فـنـذيـرُ الـشـبـابِ أسـرعَ نـحـوي
مـخـبـراً عـن تـسـارعِ الأحـقـابِ

لا تـكـفّـي عـن ابـتـسـامـكِ إنّـي
لـسـتُ أهـوى تَـقْـطِـيـبـةَ الأحـبـابِ

تـلكَ حـاكـتْ مـنِ الـظـلامِ ظلامـاً

وتـمـادتْ فـأهـرَقَـتْ أكـوابـي

فـابـسـمـي واقـرأي شـبـابـي حـتّـى

تـعْـلَمِـي مـنـه فـرحـتـي ومُـصَـابـي

أنـتِ كُـنْـتِ الـعَـزاءَ إنْ جُـنَّ لَيْـلي

وتـوالـتْ بـظـلّـه أوصـابـي

أنـتِ مَـنْ عـلَّمَ الـفـؤادَ مـعـانٍ

لـيـس يـأتـي بـحـصـرهـن خـطـابـي

أنـت ألـهـمـتِـنـي الـجـمـالَ قَـصـيـداً

ضـافـيَ الـحـسـنِ فـي سـطـورِ كـتـابـي

أنـتِ أنـتِ الـجـمـالُ والـنـغـمُ الـحـلو ـ

بـقـلـبـي وأنـتِ أنـتِ شـبـابـي

أنـتِ لـغـزُ الإلـه لا يـقـبـل الـحـلّ

ورمـزُ الـخـلـود لـلألـبـابِ

كـيـفَ تـلـكِ الـشـفـاه كـانـتْ لـهـيـبـاً

رشـفَـةُ الـسُّـكْـرِ مـنْ رحـيـقٍ مـذابِ

كـيـفَ تـعـطـيـكَ الـفَ وعـدٍ ووعـدٍ

بـلـحـاظٍ تُـحـاكُ بـالأهـدابِ

كـيـفَ كَـانَ الـذبـولُ فِـيـه رواءٌ

مِـن هَـواهَـا وَكَـان فِـيـه جـوابـي

كـيـفَ تـلك الـعـيـونُ بـاحـتْ حـديـثـاً
عـن فـؤاد يـعـيـشُ خـلـف حـجـابِ

كـيـفَ تـلـك الأهـدابُ وهـي ضِـعـافٌ
راشَـتِ الـخـلـق كـلَّهـم بـحـرابِ

كـيـف تـحـكـي الـنـهـود وهـي نـفـورٌ
عـن أحـاديـثَ مـرةٍ وعـذابِ

أنـتِ أنـتِ الـحـيـاةُ مـا وسـعَ الـ
ـكـونُ نـعـيـمـاً أُحـيـط فـي جـلـبـابِ

أنـت لـغـز الإلـه.. حـار بـك الـعـقـل
وأنـت الـصَّـلاةُ فِـي مـحـرابـي

النجف الأشرف ١٣٧٠هـ - ١٩٥١م

يا قلب ويحك

يا قلبُ ويحك ما استَزَدَّكْ ... كم مدنفٍ خلَّفتَ بعدكْ
قل لي فماذا تستسيغ بذكرها لتُثير وجدكْ
فلكم جنيتَ لحظُّهنَّ فهل جنيتَ بِهِنَّ حظكْ
فأعدْ له الأمل الضحوك فقد أضعتَ بذاك رشدكْ
هذي الرؤى والليل يُطْرِدُ بالرؤى وبقيت وحدكْ
جَمَدَ النشيدُ على الشفاه لذكرها والذكر عِنْدكْ
فارسلْ لها مثل ابتسامِ الفجر إنْ جافَتْكَ هندكْ
أنسيتَ عند الجدول الرقراق كم أبديتَ وجدكْ
تَنْجو كعاصفة الشّما والرّيح يدفن فيه سعدكْ
وترتل الأحزان أغنيةً وتبذل فيه جهدكْ
واهاً عليكَ لقد ضللتَ وقد رتقتَ بذاك وِرْدَكْ

النجف الأشرف ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م

أثر الشفاه

سلمايَ إنَّ الحب أنحلَ مهجتي
ودعا فكان يجيبه عيناكِ
سلمى دعي الأفكارَ واطَّرحي
عنكِ الهمومَ فإنَّنا أسراكِ
لَا... لَا تظنّي بأنَّ القلبَ يُنعشه
سَلْمايَ قربٌ إذا مَا كَان قربَاكِ
لَا... لَا تظني الثغرَ يَبْسِمُ لِي
أو يبتغي طرباً إنْ لَمْ ينلْ فاكِ
سلمايَ إنَّ سهام اللحظ فِي كبدي
إنْ تنكريها فماذا حيلة الشاكي
بين الزهور تذكري إذْ خاطَبَتْ
«عيناي فِي لغة الهَوى عيناكِ»
أثرُ الشفاه بمقلتي متورّدٌ
إنْ تنكري هَلْ ينكرا خداكِ

النجف الأشرف ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م

بماذا الوفود

تنبَّهتُ من رقدتي كي أراكَ
حبيبي فأينَ إليك السبيل
أُقلِّبُ طرفاً أضلّ الطريق
وقد تاهَ عنكَ إليك الدليل
وقد زادَ قلبي شجىً في هواك
بليلِ دموعي إليكَ الرَّسول
بليلٍ هوى نجمُهُ للمغيب
تلقَّاكَ فيه وأنتَ الوُصُول
فإن كان ذاك إليكَ الشفيع
فهذي دموعي عليكَ تسيل
أُطلِقُ قلبي لغيرِ هواك
فكيف وأنت حبيبي الجميل
اقلِّب طرفاً عسى أن يراك
شفاء النُّفُوسِ ويشفي الغليل

وما اعتدتُ منك مناي الجفا
فهلّا حبيبي بغيري شَغُول
فكلّا وحاشا وأنت الوفيّ
ولست تحول ولست تزول

فقد آذنَ الركبُ عندَ الصباح
بأنَّ إليك يكونُ الوصول
وذنباً جنيتُ بماذا الوفودُ
وكيفَ اعتذاري وماذا أقول
إذا قصد الركبُ دارَ الحبيبِ
وجدَّ المسيرُ وكَانَ النزول
فيا من هواه بمجرى العروقِ
ترفَّقْ بجسمٍ عراه النحول
ويا مالكَ القلبِ رفقاً به
فما عن هواك تُراهُ يَحول
سكبتُ اعتدالي على نايِهِ
فجنَّ فؤادي وسُرَّ العذول

النجف الأشرف ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م

نظرةٌ... فتساؤلٌ... فتردد

مُـــزَودة الأهـــداب سـحــراً عــلى سـحــرِ
قــراتِ فــؤادي واســتــبــنــت بــه أمـــري

وأرّقــتِ طــرفــاً طـــالـــمـــا أُرِّقَـــتْ لَهُ
قلوبُ الـغـواني الـجـامـحـات عـلى الـعـذرِ

سـلِ الـلّـيـلَ كَـمْ أدلَتْ بِـهِ مِـن لـبـانـةٍ
فَكُنْتِ لَهَا كَـالـروض فِـي الـمـهـمـه الـقـفـرِ

يُـعِــلُّ لَهُ الـسّـــارِي فَــيــعــظــم حُـبُّـهُ
وأوصــد بَــابَ الــعــذرِ إنْ طــرحــت عــذري

وَكَـمْ عـاوَدَتْـنِـي وَهِــي نَـشـوى مِـن الـهَـوى
تــبثُّ حـديـثَ الـحـبِّ جـائـشـةَ الـصـدرِ

فَـلم تــرَ مِــنِّـي غـيــر مَـا هُـوَ مـبــعـدٌ
وإنْ عَـظُـمـتْ عِـنْـدِي تـرى بـسـمـة الـثـغـر

تَـعـالـي فـهـذا الـقـلـب يـحـمـل طـهــره
إلـيـك ولـم يـجـنـح لـشـائـبـةِ الـغـدرِ

تـعَـالـي تـري مـا تـبـتـغـيـن وتـرتـجـي
عـفـافَ فـتًـى لـم يـبـتـغِ مِـنْـكِ مَـا يُـزْرِي

وتَـيـس بِـعَـارٍ أن يُـرى الـقـلـبُ طـيِّـعـاً
لـديـكِ أسـيـراً وهـو يـشـكـو مـن الـهـجرِ

وأسْـقَـمَـهُ مِـنْـكِ لـحـاظ رمـيـنـهُ
غـداةَ تـلاقـيـنـا وأسـفـرت عـن بـدرِ

تـعـانـق قـلـبـانـا عـلـى الـطـهـر سـاعـةً
فـاكـسـبـه سـقـمـاً إذا كـنـتِ لا تـدري

ولـيـس بـقـلـبـي لـهـفـةٌ لـسـواكـم..
بـلى: ولـيـالـي الـعـشـر والـشـفـع والـوتـرِ

ولا يـخـدَعـنْـكِ الـقـيـل عَـنَّـا فـإنَّـنـي
عـلـى الـحـب مـطـوي الـفـؤاد بـلا أجـرِ

سلي طـرفـيَ الـبـاكـي إذا الـلَّـيـل قـد غـشـى
يـنـبِّـئـك مـطـوي الـفـؤاد عـلـى الـجـمـرِ

بـأنّـي حـلـيـف الـهـمّ مـا لاحَ شـارقٌ
وقـد عـيـل يَـا دُنـيـايَ مِـن بُـعـدكـم صـبـري

فـكـيـف يُـبـاح الـقـلـب مِـنَّـا ومِـنْـكُـم
لـغـيـر هـوانـا تـلـك قـاصـمـة الـظـهـرِ

النجف الأشرف ١٣٧١هـ - ١٩٥١م

دموعٌ سائلة... في لبنان

رفقاً فلم يبقَ فِي أمسي ولا جامي
أنشودةٌ كي أروِّي قلبيَ الظَّامِي

ماذا أُعيدُ من الأطيافِ والفتنِ
يا ربة الحسنِ يا أنشودة الزَّمنِ
أَحين كُنَّا كأطيارٍ علَى فننِ
نلهو بقلبين ما مرا على شجنِ

وقلتِ أنتِ في شعري والهاميْ
حان الفراق فروِّ قلبيَ الظاميْ

وكم تغنَّي أيا أنشودةَ الشملِ
ألقاكَ بين حُطام اليأسِ والأملِ
فامددْ يديكَ وعانقني على عجلِ
فالعينُ في مأمنٍ والقلبُ في وجلِ

ادعوكَ وحدَكَ فِي أُنسي والهاميْ
فليس غيركَ يروي قلبيَ الظاميْ

فلْتَهْذَني لم يزلْ في مهجتي أثرٌ

من وحي حبك كم غنّى به وتر
ومن حنينكِ نارُ الحبِّ تستعرُ
سلِ الخمائلَ كم فيها لنا سُوَرُ

تنبئكِ عنّي وعن حبّي وأنغامي
تنبئك أنكِ أنتِ عالمي السامي

لو أستطيعُ جعلتُ الخلد مأوانا
ولاتّخذتُ على الأفلاكِ إيوانا
ما كان عن ذا الورى في الحب أغنانا
لو نلتقي في مهادِ الحبِّ أحيانا

نحيا وحيدينِ بينَ العالمِ السامي
في عزلةٍ كي أروّي قلبيَ الظامي

إنْ تكرعي الكأسَ لا تُبقي ولا تدعي
إن تقرئي عن سبات الحقِّ تطّلِعي
من ثورةٍ كنتِ تخفيها على البِدَعِ
فأنتِ وحدكِ في شاطئ الحياةِ معي

أُسكركِ من نغمي أُسقيكِ من جامي
يا مُنيَتي أنتِ في شعري وإلهامي

قومي على ثورة الآلام واسقينا
كأساً لأغمر ماضيكِ وماضينا
فلتعرفي الحبّ توقيعاً وتلحينا
يكون ذلك ما شئتِ وما شينا

يا ربةَ الحسنِ يا أنشودة الظامي

أنت الجمال بتوقيعي وأنغامي

لا تُظهِري من بقايا السرِّ ما خَفِيَا
ولتخلعي من رداءِ الكِبرِ ما بقيا
ولتعطني من بقايا الحسنِ ما حليا
قد كنتِ أنتِ أحلامي وكنتِ لِيَا

روضاً أُلَقِّنُ فيهِ كلَّ إلهامي
مذ التقى فيكِ يا عطري وأنسامي

إيهٍ عروسة أشعاري خذي بيدي
ما دامَ يَعْصِفُ كالإعصارِ في جسدي
حبُّ الجمال الذي أهوى فلا تَجِدِي
لحناً يَمرُّ على مستقبلي وغدي

ألا يقطع في أوتارِ آلامي
أقلِعْ فلن ترتويَ يا قلبيَ الظامي

لبنان ١٣٧١هـ - ١٩٥١م

إليك يا معنى الإخاء

الدّارُ تُشرعُ في المسيرِ ... فهل جهلتَ فعالَها
لم تُزجَ غيرَ قبيحِها ... لِمَ قد عشقتَ جمَالها
تعدو وراء مسرّةٍ ... فقدَ المُجدُّ كمَالَها
للجهلِ تخدمُ في الحيـ ... ـاةِ نفوسُنا آمالَها
فإلى م تختبطُ الطريقَ ... حزونَها ورمالَها
ولو أنّها تأتي بلا طلبٍ ... أبيتَ وصالَها
ولما تبيت مسهّداً ... من أن تبثّ حبالَها
كالظلّ يتبعُه الفتى ... منذ استظلّ ظلالَها
كالغيدِ أبدتْ للعشيق ... جفاءها وهلالها
فلذا ترى من حبهم ... قد أُلبِسوا إذلالَها
وَهي الّتي تحدو إلى الأ ... خرى بهنّ جمَالها
طلّقتُها مذمومةً ... حين ابتليتُ خصالَها
شدّتْ على الحرّ الكريمِ ... قيودَها وحبالَها
وترى اللئيمَ براحةٍ ... فيها أصابَ كمَالَها
لم تدر غايَ مسيرها ... لمّا أُريتَ هلالَها
فالشّمس عند بزوغها ... قد عرّفتكَ زوالَها

وَهِي المِثالُ إلى اللبيـ ... فهل قرأتَ مقالَها

لبنانُ إنْ قد غيَّرتْك ... فما تغيّر حالُها
أم طفتَ تنظرُ سهلَـ ... ـها ورياضَها وجبالَها
فرأيتَ أنَّ شعارها ... سقمُ الطباع وحالُها
فأخذتَ تقتبس التي ... غذَّت به أشبالَها
فالنفسُ عند إخائها ... عبثاً تطيلُ مقالَها
وإليكَ تُرسل نظرةً ... عقدتْ بها آمالَها
فالآن ننظرُ لا وفاء ... ولا صديق ترى لها
قوسُ المحبةِ في فؤاد ... ي قد نزعتُ نصالها
أثبتُّها حتَّى أرى ... عدم الوفاء مثالها

فإليك يا معنى الإخا ... لوم تُمثِّل حالها
لولاك ما نَظَمَ القريضَ ... قلبٌ يروم مِحالَها
متفرداً في سيره ... متحمّلاً أثقالَها
ويرى الحياةَ ذميمةً ... لمَّا رأى آجالَها
وأراك ما معنى الحياة ... فعالها وخصالها
ويسرُّهُ أن لا يراك ... .. معانقاً تِمثالَها

هذي مقالة ثائرٍ ... قد عرَّفتك مآلها
صدرتْ تحذرك التي ... قد أرغمتك وصالها
أنستك من حفظ الو ... فاءِ ضميرهنَّ وآلها

النجف الأشرف ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م

أملٌ عليكِ عقدتُه

القلبُ يسرع فِي الوجيبِ ... ويدقُّ دقاتِ الطروبِ
ويسطِّرُ الآمالَ داميةَ ... الجراح على الكَثِيبِ
متقطعَ الخفقاتِ من شو ... قٍ وفي ولهٍ عجيبِ
ويرى الحياةَ وزهوها ... ويقولُ للآمال ذوبي
ويديرُ بالطرفِ الولو ... هِ من الشمال إلى الجنوبِ
ويناشد الأطيار ألحاناً ... على وترٍ لعوبِ
متسائلاً.. مثلي غريب ... فالسَّلَامُ مِن الغريبِ

يا جارتا إنِّي طربت إلـ ... ـى حديثك والنحيبِ
من فوقِ أغصانٍ مُددنَ ... كأنَّهنَّ يدُ الخطيبِ
من فوقِ زاهيةِ الميـ ... ـاه بموجها الزاهي الخلوبِ
قصّي حديثكِ لِمَ سئمـ ... ـت وما دهاكِ من الخطوبِ
فتصوروا جسمي وجسمـ ... ـك في هياكل من شحوبِ
انا ضقت ذرعاً فِي ... ثراي وأنتِ فِي جوٍّ رحيبِ
كم جيفةٍ حَلَّت ثراي وفـ ... ـي سماكِ من الطيوبِ

وقف النسيمُ معلِّلا ... من فوقها بيدِ الطبيبِ
صدحتْ ورفّتْ في السَّما ... وبقيتُ في جوٍّ رهيبِ
كتبٌ وهيمنةٌ ترى ... في الصدر والوجهِ الكئيبِ
متفرداً أجد الوفيَّ طبا ... عه من طبع ذيبِ
أملٌ تحطَّم كأسُه ... وكأنّه في كفّ كوبي
أملٌ يرفرف مسرعاً ... كالشمس يحدو للغروبِ
أملٌ يرقُّ مع النسيم ... كنفحة الخلد الرطيبِ
أملٌ يشعُّ مع الصباح ... ويزهو في الثوب القشيبِ
أملٌ عليك عقدتُه ... أملُ المحبّ إلى الحبيبِ
لا تخلفنَّ ظنّي عليَّ ... تكون عوناً للخطوبِ
كُنْ سلوتي عمَّن مضى ... زاهي الرداءِ بلا عيوبِ
كم في ثراك أئمةٍ ... مزّقن أستار الغيوبِ
ولكم بنوا مجداً سما ... لا تهدموه على الدروبِ
فتناله أيدي الحسود ... مدنَّساً ويدُ المريبِ
إنْ كُنتَ تبغي مناله ... تدركه في الدربِ العصيبِ
هلّا تريع في العُلى ... سكران في زهوٍ كذوبِ

الخيُّ من وحي الإخا ... صورتُ حُبّي في نسيبي
أوصيك في تقوى الإله ... وتلك مفخرة اللبيبِ

النجف الأشرف ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م

ضمّد جراحك

أيروي السرابُ ضماءَ القلوب — وفي وسطه لهبٌ كافرُ
تظن بأنَّ الصدى الثائرات — على الظلمِ يُهدَى بها الحائرُ
فضمِّد جراحك في وثبةٍ — مِن الفعل لَيسَ لها ساترُ
فما عَضَدَ الظلمَ إلّا الجبانُ — يبشُّ ولَيسَ له سامرُ
وَيطوي الحقيقةَ في صدرِه — ويلهو ولَيسَ له ناشرُ
ألا مستفزاً كَميَ الشعورِ — يباكرُه أملٌ زاهرُ
ويدعو الصفوفَ إلى وحدةٍ — من الدينِ لَيسَ لها قاهرُ
فتوضحُ للكونِ معنى السَّلامِ — فَلَا الظلمُ يبقى وَلَا الجائرُ
وَلَا قادةٌ تسترِقُّ الجميعِ — وباسم العدالةِ قَدْ جاهروا
عميتَ مِن السلم هلا دريتَ — لعهدك في صبحه خافرُ
أتجهل ماذا يُساق إليك — وأنت لسانٌ لَها شاكرُ
أتصحو أظنُّ بأنَّ السباتَ — عَلى الجهلِ لَيسَ لَهُ آخرُ
ويستحكم القيدُ في فعله — وأنت لسانٌ لَها شاكرُ

النجف الأشرف ١٣٧١هـ - ١٩٥١م

تاريخ ميلاد ولدي البكر(١)

كــلّليــهِ وابــســمــي وازدهــري ودعــيــهِ بــاســمــاً مــزدهــرا
كــلّليــه فــرحــةً وانــبــعــثــي يــا لــيــالــيــه الــمــواضــي الــغُــررا
يَــا لَيَالِيــه الــمــواضــي فــانــثــري فــوقــه الأحــلام ذِكْــراً عَــطِــرا
وارســلي مِــنْــهــا شــعــاعــاً رائــعــاً رسَــم الــعــاشــقُ مِــنْــهــا صــورا
رَســمَ الــحُــبَّ بِــهَــا فِــي وَلَهٍ وَلَكَــمْ فِــيــهــا تَــمــارى الــشُّــعَــرا
كَــمْ تَــهــادَى بِــفُــؤاد ســاذجٍ وَعَــلــى الــحَــقِّ يَــدُقُّ الــوتــرا

قَــذَفَ الــمــوجَ عَــلــى شــاطِــئِهِ أوجــهــاً لــلزَيــغ لَــن تَــنْــتَــظِــرا
وقَــفَ الــحَــقُّ عَــلــى مــوكــبِــهِ فَــرآه خَــاضِــعــاً مــنــكــســرا
ويــجــيــل الــفــكــر عــلَّ الــزمــنــا مُــرجِــعــاً بــعــض الَّذِي قَدْ خــســرا

نــفــحــةُ الــرَّحْــمــن مَــا أعــذبــهــا بِــفُــؤادٍ هَــمُّــهُ أن يُــبْــكِــرا
يــرســل الــطــرف بــآفــاق الــمُــنــى حــامــلاً هــمّــاً يــعــيــد الــنــظــرا
فــإذا الــرَّحْــمــةُ فِــي مــوكــبــهــا تَــتَــهــادى كــوكــبــاً مــزدهــرا

---

(١) السيِّد عبد الصاحب.

واستطالت بسمةٌ في فمه بسمةُ الصُّبح إذا مَا أسفرا

وتغنَّى وتهادى طرباً وتعالى فوقَ وصفِ الشعرا

يحمل المجدَ على راحته مستهلًا فرِحاً مُستبشِرا

بوليدٍ غنَّت النُّعمى بِهِ فاقترب واسجد إذا ما ذكرا

بوليّ العصر استكفيْ بِهِ حسدَ الحاسد إذ ما خطرا

ليُرى في أهله مقتدراً ويُرى في عِزّه مفتخِرا

فَهُوَ غُصنُ الدوحة العُليَا فإنْ تسألوا عمَّن بِنَا قَدْ ظهرا

ظهر الصاحب قَدْ أرختُهُ «فَرِحَ المجدُ لَهُ وَاستَبشَرا»

النجف الأشرف ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م

زماني

كفاني من زماني ما عراني
إذا أفلتُ من شَرك الهوانِ
فلستُ ببائعٍ مجدي ببخسٍ
إذا ما جارَ فيه الحادثانِ
ولم أسلمْ لغير الحقّ نَفْسي
وَلم أرفعْ لغيرِ الله شاني
وما الأيامُ إنْ عقمت عطاءً
لتلوي نحوَ أرذلها عناني
فلي شرفُ البقاءِ على المعالي
وقد علّقتُ بأشرفها بناني
وما حمّلتُ قلبي غدرَ قومٍ
ولم يقوَ على الفحشا لِساني

(٠٠)

حياةٌ مغلقة

قابلتُ معتركَ الحيا ... ةِ بقلبيَ العاني الشرود
وضممتُ بينَ جوانحي ... عزماً يثيرُ إلى الخلود
ومشى الخيالُ بصرحِهِ ... أملٌ يُزَدْدُ في نشيدي
أملٌ تُقاذفني إليهِ فعا ... ذ يبسمُ كالورود
قريانُه نفسي أقد ... مُها بقلبٍ من حديدِ
نشوى ترفُّ على الطر ... يقِ كأنها خفقُ البنود
عزلا سَرَتْ وبظنِّها ... تلكَ النُّجوم من الجنود
وسلاحُها إيمانُها ... هيهاتَ تُنْصَفُ من جحودِ

حلمٌ طغى أم أنني ... قد عدتُ في زمنٍ جديدِ
وإذا الأماني والمنى ... شبحٌ يلوحُ من البعيدِ
يأبى الزمانُ على الكر ... يم بأن يُحَلَّ من القيودِ
حيرى تُقاذفُها الشُّقا ... روحي وفي ظلم الوجودِ
قبسٌ تماوج نورُه ... كالماءِ من فوق الصعيدِ
ابغي الوصولَ إليه في ... شغفٍ وتمنعُني قيودي

فمضيتُ اختزنُ القوى   والفُّها لفَّ البرود
من كوة الإيمانِ أرسـ   ـلُ نظرةً حولَ الوجود
وطويتُ فيها نشوةَ المـ   ـاضي بألحانِ الخلود
كم ليلةٍ ظمأى لترشـ   ـفَ من معيني في رقودي
كم أمّلتني في مفاتـ   ـنها لتعبثَ في جهودي
فأرا بها صَمْتي أمامَ الكـ   ـونِ في عزمٍ شديدِ
وإذا حقيقةُ مَنْ أسا   يره كشيطانٍ مريدِ

يا سورة الأملِ المرفر   فِ فلتعودي للخمود
قرّي أحِسُّ على رباك   دبيبَ آياتِ الجحود
والظلمُ محتومُ الجوانب   لا يقرُّ على عهود
أنا لا أسيرُ مرائيا   أمشي على سننِ العبيدِ
فالحكم للعزمِ الشديدِ   وحكمةِ الشيخِ الرشيدِ
فَقَدَ الحقيقةَ ربُّها   ومشى مع الزمنِ العنيدِ

ربُّاه هَذا عازفٌ   نشوانُ مِنخمرُ الخدود
والآخرون ودأبهُم   أن يعبدوا صفْرَ النقود
كيف المسيرُ وقد تقاعست الـ   ـجدود وأفلتت مِنّي جهودي

أين الأماني البِكْرُ   تقذف بالفتى العاني الطريدِ
عَقَدَ الأماني فوقها   وانحاز عن زهو الوجود
كم كنتِ في ليل النوى   قيثارتي من غير عود
والآن لا تلوي عليَّ وقد   تناسيتِ عهودي

وحـــدي أقـــيـــم مـــقـــطـــبـــاً فـــالـــكـــون يـــبـــسـُـم لـــلـــوحـــيـــدِ
وحـــدي أعـــيـــشُ ومـــوردي تـــلـــك الـــدُّمـــوع مـــن الـــورودِ
وحـــدي أقـــيـــم عـــلـــى الـــرُّبـــى فِـــي مـــعـــزلٍ نـــاءٍ بـــعـــيـــدِ
إيـــه فَـــيَـــا دُنْـــيـــا الـــخـــنـــى فِـــي مُـــهْـــجَـــتـــي إنْ شِـــئـــت جـــودي
عـــيـــشُ الـــكَـــريـــمِ مَـــمَـــاتـــهُ وفَـــضـــاؤه ضـــيـــقُ الـــلـــحـــودِ

النجف الأشرف ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م

دعيه

طويتُ الشبابَ بكفِّ الصبا
وكم لفَّني اللهوُ فِي بُردِهِ
فَلا الأمسُ يرجعُ فِي زهوِه
وَلا اليوم يقوى على ردِّهِ
تغاريدُ أشباح طيفٍ مضى
طويتُ الأماني من بعدِهِ
دعيه فأحلامه قد مضتْ
دعيه يموتُ عَلَى وَجْدِهِ
فزهو الحياةِ على بعدِهِ
وروض الصبابة فِي لَحْدِهِ
عوازف أمسي قد كفَّنَتْ
دعيه يلوذُ إلى زُهْدِهِ
دعيه يهيم على وجهِهِ
فما رقَّ فِي الروضِ لم يُجْدِهِ

لـقـد عـبـثـتْ فِـيـهِ كـفُّ الـزَّمَـان
فـفـر إلَى الـخـلف مِـن كـيـدِهِ
وَكَـم لَهُ بِـالأمـس مِـن مـوقـفٍ
يـرضُـعـه الـحـبُ مِـن ثـديـهِ
تـكـلَّلَه مِـن دواعـي الـغـرام
غـوانٍ تـلاقـت عَـلى مـهـدِهِ
وكَـم قـبـلةٍ فَـوقَ تِـلك الـشـفـاه
تـرفُّ وأخـرى عَـلى خـدِهِ
وكـم لـعـبـت فِـي يـديـهِ الـنـهـود
وعـفـواً تـرامـت عَـلَى زنـدِه
مـتـمـتـمـةً يَـا لَه مِـن حَـبِـيـب
لَقـد شـفَّ جـسـمـيَ مِـن صـدِّه
تـلاعـبـه وَهُـوَ طـفـلُ الـهَـوى
عَـلى صـدرِهـا الـبـضّ فِـي عـهـدِه
ألـم يَـكُ بِـالأمـس كَـأس الـهَـوى
مـلـيـئـاً يـفـيـض عَـلى ضـدِه
وأي شـبـابٍ عَـلى بـابـه
ذلـيـلاً يُـسَـائـلُ مِـن رفـده
وَمـذ أسـلـمـتـهُ صـروف الـزّمـان
تـولّى الأنـيـس وَلـم يـفـده
ومـدَّ ذراعـيـه فِـي لـهـفـة
مِـن الـمـكـر يـعـدو إلـى نـدِّه

وَمــذ أصــبــح الأمــس فِــي كــفِّــه
أتــتــه تــســائِلُ عَــن بــعــدِه
فــلفَّ الــخــداع بــبــرد الــشــقــاء
فــقــد نــفــد الــلهــو مِــن عــنــدِه
دعــيــه وســيــري فــلــيــس الــشــبــاب
تــريــه كــمــا كَــان فِــي بــردِه
دعــيــه يــكــفــكــف مِــن أمــســه
دمــوعــاً تــســيــل عَــلــى خــدِّه
دعــيــه يــســيــرُ عَــلَــى صَــرِحِــهِ
فَــمَــا رَقَّ فِــي الــروض لَم يــجــده
النجف الأشرف ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م

مناجاة وانتحار

أواه ما أتعسَ هذا الصَّباح... كيف اعتراني

السهاد... كيف تفلَّت من يدي... أين سار...

إلى أين توجَّه... أعلمه... لكن كيف الوصول إليه...

شَبَحاً تراني وهي تنظُرُ نظرةَ العاني المسهَّدْ
وتقولُ يا دُنيا المُنى أضللتِني من غيرِ مقصدْ
حيرى تُداعِبُنِي الهواجسُ والهوى منهنَّ أرعدْ
خذْ قبلةً من ثغريَ المعسولِ أو خدي المورَّدْ

واشفِ بها قلبَ البتولةِ طالما جاءتك بشرى
تُلْقِيكَ في مهدِ الهوى وتهزُّها عضواً فعضوا
كم مرةٍ والليلُ مسحور الخطى ناديتُ سلوى
جاءتك والأهداب فوق جفونها الوسنى تُلَوَّى
كم مرَّةٍ رغم المراقب للهوى تشتد عدوى
تأتي ويغمرنا السكون وتلتقي العينان نجوى

رباه ما هذا الكرى؟ يزيد في نجواي بلوى

يبدو منهمكاً مغضباً وينظر

إليها باستجداء قائلاً . . .

أمَلِي دعيني فالجراح بمهجتي هيهات تُروى

أملي دعيني واتركيني وابعدي ما شئت عنّي

ودعي جمالك زاهراً لا تَلْبسي ثوبَ التمنّي

سيرى فماذا تبتغي في ثورة الآلام مِنّي

سيري على عهد المحبة لا تخافي واطمئنّي

لِمَ لا وأنّي لم أزل متذكراً.. لا.. لا تخنّي

سيرى على يُمْنِ المحبة واحملي آياتِ أمْنِي

متمتمة . . .

فلمَ التجنّي يا حبيبُ بمهجتي.. فلم التجني؟

تطأطىء إلى الأرض تخفي دموعها . . .

وبصوت مهموس في رنة الأسى.. تنشد . .

أيقظتَ أحلام الهوى من عهدك الماضي القريبِ

وعدوتَ استبقُ الهموم بليليَ الداجي الرهيبِ

أسعى بآمالي على عهد المَوَدَّةِ للحبيبِ

عرضاً بنا تُلْقِى المحبة للهوى فوق الكثيبِ

سائلْ إذا ما شئتَ عن سَيْرِي بمختلف الدروبِ

تنبئكَ كيف تسارعتْ قدمايَ في الدرب العصيبِ

وتحمَّلتْ عِبْئي الطريقُ وسارعتْ.. رغم الرقيبِ

أوّاه يا ليلَ الوصال بعهدك الماضي الطروبِ

سلمى وجميل على الطريق:

سلمى:

جميلُ...

اسْتَمِعْ..

ماذا؟

وَقْـــعُ الأنـــــيـــــنِ عـــــلـــى الـــضــــفـــــافِ!

جميل في ذعر...

هيّا.. أسْرِعيّ..

فهناك أمرٌ لا ينمُّ عن ائتلافِ

يصلان إلى جهة الأنين..

سلمى تصرخ... سلوى... جميل..

ســلوى؟ نــعــم! قــد مــزّقــتــهــا أنــمــل الــغــدرِ الأثــيــمِ
ســمــحــتْ لــه فــي بــعــدهــا فــأذاقــهــا كــأسَ الــحــمــيــمِ

تسترسل عباراتها وهي

تروي إلى جميل..

أوّاه كـــيـــف تــقــلــبــتْ هـــذي الـــفـــتـــاةُ عـــلـــى الـــجـــراحِ
واســتــســلــمــتْ لــغــرامِــهــا جَــذلًا عــلــى الــعــهــد الــمــتــاحِ
وتــلــفَّــتــتْ فــإذا الــحــبــيــبُ يــفــوتــهــا وســط الــبــطــاحِ
حــيــرى يــصــاحــبــهــا الــشــقــا عــنــد الإيــاب وفــي الــرواحِ
فــذوتْ عــلــى رغــم الــتــجــلُّد فــي الــهــوى مــثــل الأقــاحــي
وبــجــســمــهــا الــبــضّ الــجــمــيــل تــلَقَّــفــتْ بــيــض الــصــفــاحِ
وهــوى الــجــمــال ضــحــيــةٌ لــلحــب فــي جــنــبِ الــضــواحــي

وهوى الجمال على الصعيد وقبلته فمُ الزهور
وحنتْ عليه تضمُّهُ وتشمه.. نفح العبيرِ
وتعانقتْ من فوقه لتقيه من لفحِ الهجيرِ
وهوتْ على أشلائه تبكيه بالدمعِ الغزيرِ
تبكيه لم لا؟! والجمال مُضَمَّخاً بدمٍ طهورِ
تهتزُّ بعد تهامسٍ، عجباً من الأمر الخطيرِ
أين المحبُّ؟ فهل سرى نشوان من لثم الثغورِ!!
عصرت له من روحها كأساً به عَصُرُ الخمورِ
حتَّى غدا ينحو فريداً هائماً فوق الصعيدِ
جميل..
لا تعذليه فإنَّه يَسْعَى إلى المرمى البعيدِ
قد نازعته على هواه فراحَ يبسم للخلود
حتَّى تسنَّت فرصة فسرى بقلبٍ من حديدِ
واستلَّ صارِمَه الصقيلَ برتبة البطلِ العنيدِ
سيعودُ يرفل ظافراً مُتَزَمِّلا بدمِ الحسود
في زهو المنتصر عاد حسام..
عاد الفتى نحو الحبيبةِ ظافراً والصبحُ سافرْ
ويقول يا دنيايَ قد لذَّ الهوى والوجهُ زاهرْ
قومي تعالَي.. فانظري فعلَ الفوارسِ والبواترْ
ولتنظري فعليْ بجيشٍ مثلَ سيلِ البحرِ زاخرْ
حسام أمام هول المشهد..
وقف الفتى المذعورُ منحطَّ القوى والعقل حائرْ

لـمـا رأى تـلـك الـحـبـيـبـة بـالـخـطـيـر مـن الـمـنـاظـر
فـرثـى الـحـبـيـبـة صـامـتـاً بـدم يـسـيـل مـن الـمـحـاجـر
وهـوى إلـى جـنـب الـحـبـيـب ضـحـيـة خـدن الـهـواجـر

النجف الأشرف ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م

شبح الحياة

تَاللّه مَا الدُّنيا بزخرفها سِوَى ... شَبحٌ تُلوِّنُه يَدُ الحدثَانِ
وَيَمرُّ لكن يَجتَنِي مَا يَشتَهِي ... لَامَا نُريدُ مُودِّعاً بِأمَانِ
عَجباً أَلَيسَ بِذي وَتلكَ وَهَذِهِ ... عِظَةُ العُقولِ وَزَاجِرُ الإنسانِ
سفُهتْ عُقولٌ لَا تَؤوب لِرُشدِها ... ابداً تُرَدِّد نَغمةَ الشَّيطانِ
أملاً احققُهُ ومجداً شامخاً ... فِيهِ إلى الإنسان عمرٌ ثَانِ
فَمَتى مَلكتَ مِنَ الزَّمان زمامَهُ ... حَتَّى تبيتَ بمقلة الوسنانِ
وكذا تسيرُ إلى السرابِ لترتمي ... فَوقَ الرِّمَال بِمُهجة الظمآنِ
أمَّا أنا فحقيقةٌ ابصرتُها ... حَقُّ اليقين عرفت فِيهِ كَيَانِي

هَذا بياني للأنام وأنني ... ابداً أُبينُ الحَقَّ فِي تِبيَاني
مَا كُنتُ ارجىءِ لِلزَّمَان خبيئةً ... كَلا وَلَا أعلقتُ فِيهِ عنانِي
فأستاسدتْ فِيهِ ضغينةُ حاقدٍ ... وتطاولتْ فإذا بنا خصمانِ
يهوى الخداعَ ولستُ أهوى رِفْدَهُ ... فإذا بِنَا فِي الدربِ مُختلِفَانِ

يَا حَامِلَ الأشلاءِ مِن إغرائه ... فَمتى تصيدُ بمقلة اليقظانِ
هيهاتَ تُفلِتُ مِن حبائله إذا ... لَم توله خرقاً بِكُلِّ سنانِ

هَـزأتْ بِـك الأيّـامُ وَهـيَ مـشـيـحـة ... مَـا زلـتَ تـرقـبـه بـقـلـب جـبـانِ
فـاخـلـع عَـلى كـتـفـيـك ردةَ رائـدٍ ... عـرف الـزّمـان فَـمَـا اسـتـكـان لـدانِ
رُفـعـتْ عَـلى كـفـيّـه كـأسٌ مـلؤهـا ... مـخـضُ الـعُـقُـول ونـشـوةُ الـنـشـوانِ
لـم تـرتـضِ عَـرَضـاً وَلـكِـن هَـمُّـهـا ... عـدلُ الأنـام بِـطَـاعـةِ الـرَّحـمـانِ

النجف الاشرف ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م

صوت الولاء

يَا آلَ بيتِ الهُدى مَا زلتُ فِي وَجلِي ... مِمَّا جَنيتُ فَيَا ذُلّي وَيَا خَجلِي
إنْ لَم انلْ مِنْكُمْ عَهداً بِنص علىّ ... يَعفو بِهِ اللّهُ عَن ظُلمِي وَعَنْ زَلَلِي
يَوْمَ المعَادِ وَإلّا إبتُ خسرانا

فإن أفز بكؤوس مِن وِلَايَتِكُم ... وَإنْ حُشِدتُ بِحَشري مِن رَعِيَّتِكُم
وَلَو حَلَلتُ بِذَنبِي وَسطَ سَاحَتِكم ... بَلى وَزرْبي وثوقاً فِي شَفَاعَتِكُم
لَا الوزرُ وِزْراً وَلَا النِيرَان نِيرَانا

اقمتُ فِي بَابِكم مُسْتَشفِعاً أمِلا ... لَا أبرحُ البَابَ حَتّى أبلُغ الأمَلَا
كَمْ صَادرٍ سَادِتِي عَنْكُم وَقَدْ نَهِلَا ... مِنْ بَحرِ جُودِكُم مَا يَنْعشُ الغُلَلَا
فَهَل أعُود وَحَاشَا عَنْهُ ظَمآنا

وَأنتُم الغَيثُ بَل أنتُم مَنَابِعُهُ ... وَأنتُم الصَفحُ بَل أنتُم مَرَاضِعُهُ
وَعِندَكُم لِجَلِيلِ الكَرْبِ رَافِعُهُ ... فَهَل يُرَدُّ الَّذِي لَم تَرقَ ادمعُهُ
هذا النِّدَاء وَهذا بَعضَ شَكْوَانا

حَاشَاكُم أن تَردُّوا ظَامِئاً دَنِفَا   أو تسلِمُوه إلى الذّنبِ الّذي اقترفا
كَلا وَحَاشَا فَمَا هذا الّذِي أُلِفَا   ألَيسَ فِي حُبكُم يَا سَادَتي عُرِفَا
يَا مَعْدنَ الجُود تحناناً وَغفرَانا

قَدْ ضَاقَ يَا سَادَتِي مِنّي الّذِي رَحُبَا   وَبتُّ حيرَان كَي اقضيَ الّذي وَجبَا
فَمَا ثويتُ وإنّي مصقع ذربا   هَل يكفيَ قلبيَ منسوباً إذا انتسبا
إليكُم أن يَنَالَ القُربَ أحيانا

يَا سَادتي لي فُؤادٌ قَدْ تعَوّدَهُ   مِنكُم جميلاً وَلَم تَنضبْ رَوَافِدُهُ
فَسَادَ فِي الحُبّ مُختالاً فَأبعَدَهُ   عَنكُم هَوَاهُ وَقَدْ قَلّتْ مَحَامِدُهُ
رُدُّوا عَليّ فُؤَادِي مِثلَ مَا كَانا

معارجاً لِلهُدى قَدْ كُنتُ اعرجها   فأرتَقِي سُدّة التقوى وأنهَجُها
لَوْلا القضه لَدامتْ فِي معارجها   مِنّي الحياةُ وَقَدْ نالت مباهجها
فَلِمْ أسفْتُ وَقَدْ سَاءَتْ نَوَايَانا

أنتُم يَدُ اللهِ يَوم الحشرِ بَارِئُكُم   أمرَ الخَلائق طراً فِيهِ خَوّلَكُم
بل قَبلَ خَلقِ الوَرَى مُذْ كَانَ صَوّرَكُم   أنتُم لَهُ عِلّةٌ واللهُ اظهرَكُم
إلى البَرِيّةِ إسراراً وإعلانا

فَخَانَكُم عصبَة ضَلّت عُقُولُهُم   هُم كَالبَهَائِمِ أحلاما وَإن عَظمُوا
يَا ويلَهُم كَيفَ خَانُوكُم أمَا عَلِمُوا   بِأنّهُم وَجَمِيعُ الخَلقِ صنعَهُم
وَأنّهُم بَاسهُ يَا وَيلَ مَن خَانا

أدرَتْ طرفيّ بمَا قَدْ سَنَّ أولُهُمْ   يَوْمَ الْوَصيةِ فِيمَا قَالَ عَاهِلُهُمْ
عن النَّبيِّ مَقَالًا كَانَ أدهَاهُمْ   دعوه يهذي... الا يَا وَيل قَائِلهُمْ
كَيفَ اسْتطَاع ومَا يتلوه قرآنا

وَقَبْلُ خَانوه لَمْ يُمْضوا وفادَتَهُ   للروم فاستغلظتْ فِي الساح لعنتهُ
عَمَّنْ تخلَّف عن زيدٍ وإمرته   فَمَا استجابوا وَلَمْ تغننيه صيحتهُ
حَتَّى قضى وَعَليهم جدُّ غضبانا

وَرَبّكم قَالَ مَا قَدْ جاءكم فخذوا   عن الرَّسُول وَمَا قَدْ قَالَهُ نبذوا
كَأنَّمَا كره طهَ أشرِبُوا وغُذُوا   فَخَالفُوه بِمَا قَدْ قَالَ ثمَّ حذوا
حذو التقيّ وَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَا

يَوْمَ السَّقِيفة قَدْ جَاؤوا وقَدْ غَضِبُوا   يَا عصبةَ الله لِلأنصار فانتسبوا
فنحن آلهةٌ لِلذِين قَدْ نصبوا   فلقُهم حقدُهُمْ عن سعد إذْ ذهبوا
مذاهباً أفسدت في الشوط أركانا

إنْ كَانَ مَا لفقُوهُ فِي حكومتِهم   فَذاكَ حيدرةٌ فِي القُرب أولىَ بِهِمْ
وَقَدْ حكوا يَوْمَ خُمٍ، فِي رِوَايَتِهم   عن النَّبيِّ وَمن أولى بِإمرَتِهِمْ
سِوَى عليٍّ وَقَدْ أعلاه برهانا

تبخبخوا لعليٍّ ثمَّ بايعهُ   على الخلافة من قَدْ جَاءَ يدفعُهُ
لم يكفِهِمْ ذاك حَتَّى جَاءَ يُشفِعُهُ   بظلم فاطم من قَدْ بَان مطمعُهُ
فانكروا حقَّها زوراً وبهتاناً

وكـذّبـوا فـئـةً بـالـزور مَـا نـطـقـتْ فـآلُ طـهَ لـغـيـر الـحـقّ مَـا خُلِقَتْ
وآيةُ الطُّهر فِي تطهيرهم نطقتْ، وكُلُّ مكرمةٍ فِي الدّين قَدْ رزقتْ
والـلّه فِـي ودّهـم فِـي الـذّكـر أوصـانـا

فكل مثلبةٍ من ذاكَ قَدْ لحقتْ، فيكم وماحقة الإسلام قَدْ لحقتْ
يَا عصبةَ السوء من إيمانها مَرَقتْ كَيفَ انتهكتِ الّتي اغصانها انبسقتْ
مـن الـرّسُـول... أهـذا مِـنْـك إيـمـانـا

النجف الأشرف ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م

لا تصفنَّ

مِمّا قلته ارتجالاً مخاطباً السيِّد محمَّد نجيب فضل الله عندما رأيته ساهماً واجماً:

لا تَـصْـفُـنَـنَّ فـإنَّ فِـي الـصـفـنـاتِ
مَـا يُـلْحِـقُ الأحـيـاءَ بِـالأمـواتِ
لا تـحـمـلنَّ هـمـومَ يَـوْمٍ مـقـبـلٍ
واعـلـم بـأنَّ قـضـاءَ رَبِّـكَ آتِ
وإذا شـقـقـتَ سـبـيـل عـمـرك سـاهـمـاً
فـلسـوف تـقـضـي الـعـمـرَ بـالـحـسـراتِ

(٠٠) ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٤م

إباء النفس

إذا النفسُ آبت إلى رُشدها — فأيسرُ عرفانِها فاضحُ
رؤوسُ العوالي لها مركبٌ — وبرقُ المواضي لها صائحُ
ترى العِزَّ وسطَ ازدحام القنا — ونائحةٌ حثّها نائحُ
ومن يستكن لهوانِ الرِّجالِ — مدى الدهرِ في ذلّةٍ رازحُ

فلا انتسبتني جدود كِرَام — ولا أنا في مجدها طامحُ
ولا علقت بالعُلى أنملٌ — ولا أنا في ساحِها رابحُ
ولا عرفتني بناتُ الزمان — بأنّي رائدُها الصالحُ
وإنّي أخو الصبرِ في النائباتِ — إذا عضّني الزمنُ الكادحُ
إذا لم أُثرها دويهيةً — هوجاءَ أيسرُها فادحُ

النجف الأشرف ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م

تاريخ ميلاد ولدي الثاني(١)

جـاء والـلَّيـلُ ظـلامٌ أدكـنٌ — هـو والصُّبحُ انثنى حتَّى انثنى
تـوأمـانِ ولـدا فـي سـاعـةٍ — بـوركـتْ مـن سـاعـةٍ كانـت مـنى
يـتجلَّى الـلَّيـلُ لـو فـجرٌ بـدا — كَـيـفَ لَوْ فـجـرانِ قَـدْ بَـانَـا لـنـا
حـمـل الـفـجـرَ عـلى راحـتِـه — كـوكـبـاً شـعَّ بـألـوان الـسـنـا
ومـشـى الـبِـشْـرُ وفـي مـوكـبـه — نـغـمٌ زُفَّ لَـنَـا فِـيـهِ الـهـنـا
هـاتـفـاً بـشـراك يـا محسنُ فِي — خـيـرِ مـولـودٍ رضـيـعٍ لـبـنـا
فـتـوسَّـمـتُ عُـلوّاً وهُـدَى — فِـيـهِ فـاخـتـرت لَه اسـمـاً حـسـنـا
صـدرُ ديـنِ الـلّـه أرِّخ «عـالـمـاً — لِلْهُدَى عـاش وَمَـحْـمُـود الـثـنـا»

النجف الأشرف ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٩م

---

(١) السيّد صدر الدين.

يا ليالي الإشراق

يَا لـيـالـي الإشـراق عـودي فـقـلـبـي
شـيِّـقٌ يَـا لـيـالـيَ الإشـراقِ
أنـت حـلـمـي الـجـمـيـل عـاش زمـانـاً
فـي فـؤادي وعـاش فـي آمـاقـي
لـك خـبـري شـربـتُ نـخـبـة حـبـي
مـن حـبـيـبـي وقـد جـهـلتُ الـسـاقـي
هـل جـلـهـتِ والـكـأسُ يـلـثـم ثـغـري
وحـبـيـبـي يـزيـدُ فـي الإغـداقِ
تـلـك لـلـروح سـاعـةٌ هـي أشـهـى
ثـمـر الـخـلـدِ فـي ألـذِّ مـذاقِ
سـاعـةُ الـرُّوح والأنـام حـيـارى
جـائـبـات مـسـاربَ الآفـاقِ

النجف الأشرف ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م

تاريخ ميلاد ولدي الثالث(١)

يَا نجيَّ الأحلامِ يَا نغمَ القلـ ... ـبِ ويَا أُنشودةَ الأفراحِ
أنتَ فِي الكونِ رمزُ حُبّي وجودي ... وانقباضي وفرحتي وسماحي
أنا لَوْلاكَ مَا سهرتُ مع النَّجـ ... ـمِ نجياً ولا سأمتُ صباحي
ولما كنتُ في الحياةِ قنوعاً ... أرتضي العيشَ رشفةً من راحِ
قد علمنا من أنتَ جدُّكَ أنبا ... قبل أن يبتدي انبلاجُ الصَّباحِ
أشرقتْ روحُهُ الحنونُ علينا ... وأطلَّتْ من عالمِ الأرواحِ
قائلاً هاكُمُ عليّاً سَمُوهُ ... واحفظوه للمجدِ غيرَ مُلاحِ
يا عليٌّ بوركتَ... يَوْمُكَ فِيهِ ... لِلْهُدى نغمةٌ وللأفراح
نبِّئِ النَّاس إن تماروا وأرِّخ ... «بشرت فيَّ عالم الأرواح»

النجف الأشرف ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م

---

(١) السيد علي.

ذكرى

النُّورُ ذابَ بمقلتي وانسابَ فـ
ـي قلبي وفزتُ بلذَّة الأقداحِ
وطغى الظلام فذابَ فِي أقداحِهِ
ومشتْ على أمواجِهِ ألواحي
واقتتُّ من ألَقٍ وفي دوامةٍ
سكرى ملكتُ سفينةَ الملَّاحِ
وأدرتُها وَعلا الشراع فعشتُ فِي
زهوِ الحقيقةِ لا بزهوِ مِلَاحِ
وأنار كوكبُها العظيمُ بواحةٍ
وبِهِ عرفتُ ضآلةَ المصباحِ
ورجعتُ للعشرين أسأل عهدَهَا
هلَّا تشابه صبحُها وصباحي
للعارِ موكبُهَا حدَتْهُ سحابةٌ
لا تستقرُّ على رُبًى وبطاحِ
ثارَتْ كعادتها سأُرقمُهَا
بالخزيِ لا بدجى ولا بصباحِ

ثـارَتْ وخـلـف خـطـاي مـوكـبُـهـا الّذي
جـهـلَ الـحـقـيـقـةَ فِـي الأديـمِ الـصـاحـي
ثـارتْ إلَيْـه بـمـوجـةٍ مـحـمـومـةٍ
رعـنـاء رائـدهـا الـصـبـا الـمِـقْـضَـاحِ
فِـي زمْـرةٍ شـربـتْ كـؤوسَ مُـقَـامِـرِ
نَـهَـجَـتْ إلَيْـه بِـذِلَّةٍ ووقـاحِ
لـلـعـار دمـدمـةٌ عـلـى أقـدامـهـا
خَـجِـلَ الـسـفـيـهُ بِـهَـا وقـلّ الـلّاحـي
فـزجـرتُـهـا زجـراً يـقـيـمُ بِـهَـا عـلـى
مـوجِ الأثـيـرِ بـعـزّةٍ وطـمـاحِ
عـرَّفـتُـهـا أنّـي الـصـبـور إذا وَنـت
وأريـتـهـا فِـي الـحـق كـيـف كـفـاحـي
ونـفـضـتُ عـنـهـا عـبـثـهـا فـمـشـت إلـى
وادٍ بـعـيـدِ الـطـرفِ غـيـر مـبـاحِ
واسـتـشـعـرتْ أنّ الـوجـود مـنـالـه
بـالـرُّوح لا بـوغًـى ولا بـسـلاحِ
والـعـبـقـريـةُ أن نـعـيـشَ إخـوّةً
فـي نـقـطـةِ الإبـداع والإصـلاحِ
لا أن نـبـيـت عـلـى الـجـراح يـضـمـنـا
جـبـنُ الـضـعـيـف ورهـبـة الـسـفّـاحِ

النجف الأشرف ١٣٨١هـ - ١٩٦١م

أبي

كنتُ قد فقدتُه... وبعد أن أحجبتْ عَنّي ملامحه ما يفوق عن العشرين عاماً... فارقني وأنا لم أتمّ العقد الأوّل من عمري... إلى الأبدية... وشكراً إلى آلة التصوير، فقد أتاحت لي بعد هذا الأمد الطويل أن أستعيد تلك الملامح... ملامحَ أبي الّتي أُحبُّهَا... نظرتُ إليها وكأنّي أنظر إلى كتاب... فقرأت فيها أسطراً لم تَكُ غريبة عَنّي... كلا... فكأنّ تلك الآلة قد خطّت كُلّ مَا فِي نَفْسِي عَلىٰ محيا تِلك الصورة... فخاطبتُها قائلاً....

أبـي قـد خـطـطـتَ دروب الـحـيـاة
بـقـلـبـي وسـرتَ وخـلّـفـتـنـي
وحـيـداً وفـي بُـرعـمـي لـم أزل
أحـاذرُ قـسـوة مَـنْ يـجـتـنـي
أدافـع طـوراً جـيـاعَ الـذّئـابِ
وأخـرى لـئـيـمـاً لـنـا يـنـتـمـي
فـخـطّـاً خـطـطـتَ لـيَ الـمـكـرمـات
وخـط الإبـا فـيـه قـيّـدتـنـي
وآخـر كـاتـمـتـنـي كُـنـهـهُ
وسـرُّ الـطـبـيـعـة أودعـتـنـي

فلا الأمس أندبُ في خاطري

ولا اليوم أهدمُ ما ابتني

أتيهُ وحيداً بتلك الدروبِ

فكيف ذهبتَ وضيَّعتني

أُرددُ لحناً شجيّاً طروباً على وَتَرٍ فيه ناغيتني

فذي رعشةُ الناي عند الصَّباح

تُرَدِّد مَا كُنتَ أودعتني

فيا رعشةَ الناي في خاطري

ويا هجعةَ الخلق أوجعتني

فذي ذبذباتٌ تنيرُ الطريقَ

فعنها كشحتَ وأنكرتني

وملءُ إهابي سَمَاحٌ طهور

وفي خاطري لك ما تجتني

اتخذتُ جراحك درساً مريراً

عليها سهرتَ وأرَّقتني

أعيشُ الأنينَ لوخز الشُّكوكِ

فواهاً عليك إذا خُنتني

النجف الأشرف ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م

ماذا يقول القمر

ماذا يقولُ القمر؟!
عن نجمةٍ تغفو بأحضان السَحَرْ
وبمهدِها المتَهدهد المنساب يُنفتح القدرْ
ويسيلُ منه النُّورُ أغنيةً على غيرِ وتر
سكرى يشوِّه حلمها حوكُ الضجر

ماذا يقول القمر؟!
وشعاعه المنساب حول مفارقِ النجمِ الطروبِ
كيف استطاعت تُرضعُ الأيامَ من ظُلَمِ الغروبِ
وتتابع القفزات عدواً مُرتدي شفقَ المغيبِ
وبثوبه الدَّموي يبسم صائحاً.. أهوى شحوبي

ماذا يقول القمر؟!
عن نسمة مختالةٍ بيدِ السمرْ

سلبت بكل وقاحةٍ عبقَ الزَّهَرْ
وتفلّتت سؤاحةً ترتاد ساهمة النظر
وتلذّ أن سفحت جمال الحقل أدمعها الدّرر

(لم تكتمل)

النجف الأشرف ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م



أنا والنجم

..أنا والنجمُ في حذرْ وكذا أمرُ القمرْ
كُلُّنا يجهل ما تأتي الليالي بقدرْ
دأبنا السيرُ على غير هدًى في مستقرْ
ساهر الطرفِ وطرفُ الليل مَا ملّ السهرْ
يرقبُ الفجرَ كما أرقب أيامي الغُرَرْ
وإذا ما ملّنا السير تلاقى دمعنا عند السحرْ
أفقُنا الواسعُ لا يغني فتيلًا عن ضجرْ

إيهِ يا نجمُ رفيقاً إيه يا خِدْنَ السمرْ
أنتَ في الأفق قديمٌ قبلَ أن كان البشرْ
أم كلانا ولدا للحبِّ يوماً واستمرْ
وإذا ألسنةُ الحبِّ لهيبٌ مستعرْ
تصهرُ النفسَ بأحزانٍ وألوان كُثُرْ
وإذا ما هزّنا الحبُّ رمانا كافرٌ قال كفرْ
ويلَه هل ننطوي إلّا على ما قد قُدِرْ

إيــهِ يــا نـجـمُ أبـثُّ الـشـوقَ... والـشـوقُ صُـوَرْ
كُـلُّه آيـاتُ إعـجـازٍ ومـن شـاء اعـتـبـرْ
هـل خـبـرت الـحـبَّ... أحـلام وضـعـف وخَـوَرْ
أم هـو الـقُـوَّةُ فـيـه تـرتـقـي فـوق الـعُـصُـرْ
أم هـو الـلغـز الَّذي لـيـس يـحـويـه الـنـظـرْ
وإذا كـان انـطـواء ذاك أدهـى وأمـرْ
فـكـلانـا حـائـر فـي أمـره كـيـف صـدرْ

إيــه يــا نـجـم حـديـثـي مـؤلـمٌ أيـنَ الـمـفـرْ
قـد أحـاطَ الـكـونَ هـالات بـنـور مـنـكـدِرْ
وإذا الـشـكُّ عـلـى كـل أُفـقٍ مـنـتـشـرْ
حـار فـي تـفـسـيـره ألـف جـيـل مُـنْـدَثِـرْ
وإذا الـكـل عـلـى شـاطـي الأمـانـي مـنـتـحـر

النجف الأشرف ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م

إيـهِ يـا نـجـمُ أبـثُّ الـشـوقَ... والـشـوقُ صُـوَرْ
كُـلُّه آيـاتُ إعـجـازٍ ومـن شـاء اعـتـبـرْ
هـل خـبـرت الـحـبَّ... أحـلام وضـعـف وخَـوَرْ
أم هـو الـقُـوَّةُ فـيـه تـرتـقـي فـوق الـعُـصُـرْ
أم هـو الـلغـز الَّذي لـيـس يـحـويـه الـنـظـرْ
وإذا كـان انـطـواء ذاك أدهـى وأمـرّ
فـكـلانـا حـائـر فـي أمـره كـيـف صـدرْ

إيـه يـا نـجـم حـديـثـي مـؤلـمٌ أيـنَ الـمـفـرّ
قـد أحـاطَ الـكـونَ هـالات بـنـور مـنـكـدِرْ
وإذا الـشـكُّ عـلـى كـل أُفـقٍ مـنـتـشـرْ
حـار فـي تـفـسـيـره ألـف جـيـل مُـنْـدَثِـرْ
وإذا الـكـل عـلـى شـاطـي الأمـانـي مـنـتـحـر

النجف الأشرف ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م

الله مولاك

هلّا ظننتَ بأنّ الله مولاكا ... تَخفي عليه إذا مَا كُنتَ أفّاكا

فاربعْ خُزيتَ فكم تجنح الى زللٍ ... والله من فضله الإحسانَ أولاكا

قدماً وفعلًا وكم من مرّةٍ جنحتْ ... إلى الخيانةِ والفحشاءِ عيناكا

مَا كَان فِي نعمةِ المولى الّتي عظمتْ ... عن الخيانةِ والفحشاءِ أغناكا

يبدي الجميلَ ويعفو الذّنبَ تكرمةً ... رُحمَاك يَا مالكَ الغفرانِ رحماكا

فليس يملك من جنٍّ ولا بشر ... محوَ الذُّنوب إلهَ الخلقِ إلّاكا

مَا كُنْتُ أحنو على شيءٍ أقدّسه ... يا مالكَ القلب فِي دُنيايَ لولاكا

هذي الحياةُ وكم أبدت خبيئتها ... تولي ذوي اللُّبِّ إيلاماً وإرباكا

لا تحفظ الودّ من خلٍّ يسالمها ... كالوَرْد عند جناه إلفةً شاكا

كم حاكَ فِي دهره الإنسانُ من بلهٍ ... أمراً تخيل أنّ العِزَّ ما حاكا

ففاجأته خبيئاتٌ تمزّقه ... لم يبقَ مِنْها سِوَى مَا الله أصفاكا

العلمُ والحلمُ والتقوى بمعرفةٍ ... والحكمُ بالقسط فيما الله آتاكا

وما عداه سرابٌ لَيسَ يصدقنا ... وإنْ تباعد مرماه ومرماكا

فاخلص إذا كُنت ذا عقل وذا فِطَنٍ ... للواحدِ الفرد في أفعال دُنيَاكا

كي تبتني هيكلًا يرتاد مصرحُه ... جيلًا توحّد فيه العقل أحباكا

لا يعرف الزيفَ فيما اختطَّ من هدفٍ ... ولا يزاول أمراً عنه ينهاكا
ولا يقومُ على أمرٍ معاندةً ... إلّا إذا كان أرضاه وأرضاكا
إنْ كان غيرَ صلاح الفرد مقصدُه ... فسوف يفقد معناه ومعناكا

النجف الأشرف ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م



أَملٌ

أيـن أنْـتِ مـن كـيـانـي الـجـريـحْ
غـادتـي الـمـرمـوقـة الـمُـنْـتَـظَـرَهْ
كُـلّـمـا أمـلك مـن قـلبٍ فـسـيـحْ
نـاشـزٌ أحـمـقُ مـنـكـمْ كـفْـرَهْ
أنـا لا أمـلك إلّا أن أصـيـحْ
لأرى أدمـعَـهُ مـنـهـمِـرَهْ
بـيـن دمـعٍ وشـجـارٍ بـاردٍ
رنَّـقَ الـعـمـرِ هـبـاءً بـعَـثْـرَهْ
إيـهِ قـد طـالَ عـراء الـزَّمـنِ
مِـنْـكِ يَـا غـادتـي الـمُـنْـتَـظَـرَهْ

هـا أنـا خـلف خـيـال الـواهـمـاتْ
أرسـم الـمـاضـي لأبـنـي حـاضـري
رافـعـاً لـلـحَـقِّ أصـفـى الـدعـوات
فـعـسـاه أنْ يـلـبِّـي خـاطِـري

لأرى العمر شظايا حسراتْ
عتَّمتْ ألوانُه في ناظري
لم يزل ريق عمري نَضِراً
رغم ما قاسى عناء الجائرِ
هل أنا يا منيتي للأمل
أم يلفُّ العمرَ بردُ الخاسرِ

إيه هل أحيا بألوان الأملْ
أم ببرد اليأس أطوي أملي
وألفُّ الليلَ في برد خَمِلْ
ساهمِ الطرفِ بقلبِ الوَجِلِ
أستشفُّ النورَ مِنْهُ في مَهَلْ
عَلَّه يفتح خطي المقفلِ

كُلما قلت سأطوي زمني
بزمانٍ وشيُهُ حلوٌ هنيّ
عثرت أشواطه في إِحَنِ
وتمادى ديدنٌ في ديدنِ
وسقاني كأسَ ما لا أجتني
ويحه كيفَ جنى ما يُشقِني

فاحلُي الرَّاحَ يا بنت الكرومِ
علّني أسْكَرُ عن تلك الهمومْ

أو أديــري الــكــاس مــلأى بــالــســمــوم
واعــيــنــي الــقــلب فِــي كَــتْــمِ الــكُــلُــوْمْ

لَا أرى فــي الــنَّــاسِ مــن فِــيْــهِــمْ رَحِــيْــمْ
كــلُّــهــم يــجــهــل حَــتَّــى مــن أهــيــم

.. فِــي هــواه يــا افــتــضــاحــي بــالــهــوى
يــا نــطــاســيَّ الــهــوى أيــنَ الــســبــيــل

يــا نــطــاســيُّ.. اســقــنــي هــاتِ الــدوا
دئِرتِ الأمّ وقــد حــنَّ الــفــصــيــل

عــجــبــاً مــن قــلــبــه كــيــف طــوى
صــفــحــة الــحــبِّ وبــالــحــبِّ فــتــيــل

ونــار الــكــيــدِ قــلــبــي قــد كــوى
وَجِــبَ الــبــيــنُ وقــد حــان الــرحــيــل

لــيــتــه يــدري إذا حــان الــنــوى
وأقــام الــقــلب فِــي غــيــرِ قــبــيــل

حــســبُــهُ أنِّــي لَهُ فِــيــمــا مــضــى
ســاكــتــاً عــن غــيِّــه مــهــمــا قــضــى

مــن تــرى يــقــوى عــلى جــمــرِ الــغَــضَــى
فــاســمــعــونــي واعــدِلُوا أهــلَ الــقــضــا

زاد قــلــبــي مــن ســكــوتــي مــرضــا
إن دنــا قــلــبــي آراه مُــعــرِضَــا

او نــأى بُجــنَّ عــلـى غــيــر رضـا
حــمــلُ ذيـــاك وَهَــذا أبــهــظـا
ضـاقَ فِـي هَـذا فَـسَـيَـحَـاتُ الـفـضـا
كــيــف قـلـبـي.. لا أراه مـبـغـضـا

فـاحـكـمـوا حـكـمَ عـذولٍ واعـدلـوا
واقـرأوا قـلـبـي بـه الـداء الـدفـيـنْ
واكـشـفـوه واسـألـوا مـن تـسـألـوا
عـبـر أيـامـي عـلى طـول الـسـنـيـنْ
فـصّـلوا الــرأيَ بـه أو أجـمـلوا
مـا احـتـوى قـلـبـي عـلى غـيـرِ الأنـيـنْ
يـا قـضـاة الـحـبّ قـلـبـي مـثـقـلُ
ربّـمـا زاغ مـن الـجـورِ الـرزيـنْ
حـمّـلونـي آهـةً لـو تـبـتـلوا...
بـلظـاهـا يـا لـنـوبـات الـجـنـون
مـا دنـا مـنـه فـؤادي مـذ دنـا
فـرأيـتُ الـصـبـرَ فِـيـهِ الأحـسـنـا

النجف الأشرف ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م

مناجاة

إلهي فكم نغمٍ صغته ... بقلبي لتقرأ ألحانه
وغذيته بالفعالِ الكرام ... وكلِّ نعيمٍ وما صانه
وصوّرتَ فوق الذرى الراسيات علاه وأرسيت بنيانه
وعلمته من كتاب الحياة سطوراً تبددُ أحزانه
وبعدُ إذا لم يكُ شاكراً إلهي فيستجدي عرفانه

فلا بخلت منك كفُّ العطاء ويكبرُ عفوك كفرانه
قديماً ـ وأنت قديم الجميل ـ إلهي تعوّد إحسانه
فهلّا يعود ـ وحاشا نداك ـ ذليلاً تلقّع حرمانه
وهبْ أنّ ذاك محالاً يكون فترضى بذلك شيطانه
ألستَ الّذي أنت قربته ... وأبعدتَ في الحبِّ شطآنه
وسيرته في خضمٍ رهيب لترسم في السعد ديوانه

النجف الأشرف ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م

تاريخ ميلاد ولدي الرابع(١)

عبدَ الحليمِ وذي أنشودتي بفمي تنسابُ في عِطفها من أعذبِ النغمِ
قَدْ وقّعَتْ مِن حنانٍ كُلَّ مَا مَلكتْ أنشودةُ الحَقِّ فِي داجٍ من الظُّلَمِ
واكبرتْ مَا تراءى فِي معارِجِها لَوْ ترتقي فِيهِ لم تَجْنَحْ إلى حُكَمِ
واستعرضتْ كُلَّ مَا يسمو النبيلُ بِهِ وأَرْمزتْ لمعاني المجدِ وَالكَرَمِ
كم حُمْتُ حول أسامٍ كُنْتُ آلفُها حَتّى انتهيتُ إليه بارىء النسمِ
فاخلُدْ مع الدَّهرِ مختالًا بطاعتِهِ تزهو بثوبٍ عُلًى قَدْ حِيكَ بِالنِعَمِ
فاهنأْ حُبيتَ من العَليا كرائمها أرِّخ «نُعِيذُكَ بِالرَّحمنِ وَالقَلمِ»

النجف الأشرف ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م

---

(١) السيِّد عبد الحليم.

غرفة المطالعة

وصف حقيقي لغرفة مطالعتي في النجف الأشرف:

هـــنـــا بـــيـــنَ أوراقـــي وآهـــاتـــي
شـبـحُ الـقـديـمِ بـثـوبـه الـزاهـي
وهـــنـــا كـتـــابٌ فـــاغـــراً فـــمَـــه
وهـــنـــا مـــثـــالُ الـعـــابـثِ الـلاهـي
وهـــنـــاك مـــن أشـــقـــى بـــطـــلـعـتِـــه
وهـــنـــاك فـــيـــنـــا الآمـــر الـــنـــاهـي

النجف الأشرف ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م

مراعبة

في بعض الإخوان عند زواجه الثاني (جرى القلم):

يا شيخَ معتركِ الغرامِ ذمامُ ... زُفَّت إليك، تحيةٌ وسلامُ
جاوزتَ في شرع الهوى سننَ الهوى ... فَهُنَاك حولك ضجةٌ وكلامُ
قالوا بأنَّ الشيخَ أرّقه النوى ... والنومُ في شرعِ الغرامِ حرامُ
وانحطَّ من أعلى «الثريا» جهرةً ... للأرض لمّا غازلتْه «مُرامُ»
متنهداً فوق الأثيرِ إذ الهوى ... في الجردِ من لبنانَ حيثُ أقاموا

يا جردُ يا مهدَ الحبيبِ أما ترى ... أضنى الهوى جسمي وعزَّ منامُ
والرافدين بطوله وبعرضه ... سَمُّ الخياط عليَّ فيه يُضامُ
فاقذفْ بفلذتك الحبيبة إنني ... يا جردُ أهواها ولستُ أُلامُ
مذ أبصرتْ عيناي سحرَ جفونها ... فِي صورةٍ والعاذلون نِيامُ
أرَّقْنَنِي وملكنَ كُلَّ جوارحي ... فكأنما صُبَّتْ عليَّ سِهامُ

يا جردُ فاحملها على جنح الثرى ... إنِّي أخاف على الحبيب يُضامُ
لا تخشَ من سرفٍ فإنَّ جيوبنا ... ملأى ومال المسلمين ركامُ

واتــرك عَــذُولاً أنْ يــقــول دمــاؤنــا سفكت بجنب القدسِ وهي حرامْ
لــو ذاقَ مِمَّــا ذقتُ فِــي ضَـرْعِ الـهَـوى لــم تــبــدُ مِــنْــهُ نــقــمــةٌ ومُــلامْ
لــكِــنَّــهُ خــلــوٌ فَــيَــا بــأســاً لَهُ هــلاّ يَــسُــوغُ بــعــاشــقــيــن مــلامْ
هــلا سمعتَ بِمَا جَرى مِن حولنا قــالــوا غــداً تــأتــي فــقــلت ســلامْ

قــالــوا بــأنَّ الــشَّــيــخ قــابلَ عــرسَــهُ فِــي جــنــحِ حــالــكــةٍ فــكــانَ وئــامْ
وتــرَدَّدتْ خــمــســاً عَــلى دلٍّ بِــهَــا حَــتَّــى أتــى مِــن بــعــدهــا اســتــســلامْ
فــتــبــسَّــمــتْ لَمَّــا عَــلا مُــتــنــهِــداً وَمُــتَــمــتِــمــاً هــديُ الــحــيــاةِ مُــدامْ

مــجــنــونــةَ الــنــهــديــن عَــلَّــمَكِ الــهَــوى إنَّ الــشــفــاهَ عَــلــى الــشــفــاهِ حــرامْ
مــجــنــونــةَ الــنــهــديــن هَــلْ مِــثْــلي أتــى مــتــفــرغــاً فِــي حُــبِّــه ضــرغــامْ

قــالــت لَهُ لــكِــنَّــمــا ذِي قــبــلتــي حــرى ووجــهــك مــشــعــرٌ وعــظــامْ
ارخــيــتَ مِــن لــحــيــيك مَــا لا يَــنْــبَــغِــي وَيــطُــول لــحــيَــتِــه الــحــبــيــب يُــلامْ

النجف الأشرف ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

الهجرة إلى الوطن



ألمن يا ليل

ألِمَنْ يا ليلُ هَذا النشيدُ يُلَحَّنُ في الأفقِ الأوسعِ
اللنجمِ؟. والنجم عِندَ المَغيبِ كَئيباً يحنُّ إلى المطلعِ
أم الصبح؟ والصبحُ أعشى الرؤى يسالم مَنْ يبني ومَنْ يدّعي

ألِمَنْ يا ليلُ هذي الرؤى تُلَوِّنها أنمل المبدعِ
تتمتمُ خلف الحجاب الكثيفِ وتعثر في ذنبها المهيعِ
تُلَمْلِمُ كلَّ شهيِّ العطاء ليدثرَ في كفّها الأطوعِ
اللكلِّ؟.. والكلُّ هزجُ الظلالِ تلفُّ الحقيقةَ في مطمعِ

فلمن يا ليلُ دأبُ الخطى حثيثاً إلى المَرْتَعِ المُفجعِ
وطالَ الشُّباتُ على ناظريه فلم يتبيّنْ ولم يهجعِ
نداء الضمير لديه الخيالُ وصوتُ الحقيقةِ في بَلْقَعِ
رويدكَ يا ليلُ عِندَ الضحى سيُكْشَفُ عن ذلّة الخنعِ
ويُخنَقُ في مهدكِ الأرفعِ نشيدا تعفّن في مسمعي

جبل عامل/خربة سلم ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

تاريخ ميلاد ولدي الخامس (١)

عيدٌ أطلَّ وَكُنْتَ أنتَ الثَّاني ... فِي صبحِهِ فجرانِ مبتسمانِ
وبدا على تلك الرؤى مَا نرتجي ... خطَّانِ من عطفٍ ومن تحنانِ
جلَّ الإلهُ فكم لَهُ مِن نِعْمَةٍ ... جُلَّت عن التعدادِ والتبيانِ
وحنت عليها دفعةٌ مِن خاطِري ... فتلوَّنت مِمَّا يكنُّ جنَاني
شكرُ الإلهِ وَكَم لَهُ مِن نِعْمَةٍ ... جُلَّت عن التعداد والتبيانِ
أبُنَيَّ مهما قَدْ شكرتُ فإنَّنِي ... عيُّ اللِّسانِ بشكرِ من أعطاني
شاخَ النداءِ ببَابِهِ فلعَلَّنِي ... احظى بنِعْمَةِ شكرِ من أصفاني
أرَّخْتُهُ أن اشرقت آلاؤهُ ... وشدا كما طيرٌ على أفنَانِ

خربة سلم ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م

(١) السيد محمد حسن.

دعابة في وصف بلدة

قالوا أنست ببلدة ... فيها ملايين البشر
أنى التفت وجدتهم ... مثل الجراد المنتشر
وصغيرهم بلغ المئين ... وعوده غض نضر
سمح الأكف جميعهم ... لا يختشون من القدر
وعقولهم جبارة ... صنعت بقدرة مقتدر
وطباعهم كجبالهم ... غلظت وقدت من حجر
لا يفقدون عقولهم ... أبداً إذا الشر استعر
من قال عنهم أنهم ... ضد الضعيف فقد فجر
من قال عنهم أنهم ... خفروا الجوار فقد خفر

قالوا أنست ببلدة ... هي عبرة لمن اعتبر
فيها شوارع في العلو ... تجاوزت برج القمر
وسهولها سعة السماء ... يزينها نور الزهر
انهارها يا حسنها ... في كل ناحية كثر
أسواقها زخارة ... في كل شيء مفتخر

مهما طلبت وجدته   فيها بشكلٍ مبتكر
تفاحها رمانها   أو ما تشاء من الثمر
أمّا مساجدُها الفسيحةُ   عُمّرت فيمن شكر
لو خلتهم والدمعُ من   خوفِ الإله قد انحدر
وقيامُهم في الليل من   وجلٍ إذا الليلُ اعتكر
منحلّةٌ أبدانُهم   صفرُ الوجوه من السهر
لعلمت ربّك كيف باهى   فيهِم من قد كفر
وإذا أدرت الطرفَ ما   بينَ الروابي والحفر
لرأيت كيف تنافرت   فتياتُها ممّن نظر
خجلى تفرُّ مروعةً   أرأيت ريماً إذ نفرا
تخشى من النظر البريء   فترتدي بُردَ الحذر
وإذا تجاذبتِ الحديث   تذيلُ من طرفِ الخفر
وتزيّنُ الوجناتِ من خجلٍ   بما يلهي النظر
ورداؤها من فرطِ ما   قد ضيّقته قد انحسر
لم يبقَ منها خافياً   حتى الخفي لقد ظهر
سُبحان واهبها الجمال   على حياء وخور

قالوا أنست ببلدةٍ   فيها تكاثرت الصور
أطفالُها ونساؤها   ورجالُها مرُّ العمر
يمشي بمشيةِ راهبٍ   فكأنّه الأتقى الأبر
متثاقلاً في سيره   لا يستريح إلى زفر
يقتات من عشبٍ هزيلٍ   شاحبٍ يعلوه ذرّ

قالوا أنست ببلدةٍ سبقت مآثرُها العُصُرْ

من طال فيها عمره لا يستبد بِهِ الضجرْ

هِيَ روضة أسميتها دارَ السَّلام لِكُلِّ بر

جبل عامل/خربة سلم ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

حنين إلى النجف الأشرف

سلِ النجمَ كم أحيا بِهِنَّ على ومضِ
ويعرضُ مِنّي الشجوُ بعضي على بعضي

لتعلمَ أنّي ساهرُ الطرفِ لم أزلْ
يؤرّقني الماضي فأُنضي كما يُنضي

خلائق أقوام زعانف أُمّةٍ
يسارعنَ مَا أبرمنَ للحلّ والنقضِ

ولَا يستقيم الأمرُ إنْ لم يكن به
مضاءُ أكيدٌ او جنوح إلى رفضِ

وحفنةِ إخوانٍ رجوتُ عطاءها
خنوعاً لَدى الجلّى وتنقض مَا نُقْضِي

وتلك هِنَاتٌ من حبيبٍ شنأتها
وعنها وإنْ لجَّ الجهول بِهَا أُغضي

وكم من سبيلٍ لِلْهُدى قَدْ كشفتُها
حثيثاً إليها واثباً ولها أمضي

ورُضتُ شذَّاذ النُفوسِ إلى العُلى
حفظت لها غيباً وأكلَفنَ في عرضي

رضيتُ بأمر موغلٍ كي أروضها
على صَلَفٍ فيها وإن كانَ لا يُرضي

وإن حمَلَتْ نَفْسِي صَواخبَ عيشها
فَإنّي بكوفانٍ أرى جَنَّةَ الأرْضِ

فكمْ ساجلَتْني فِيهِ نَفْسٌ زكيةٌ
جهابذةٌ كُلُّ الصِّعاب لها تُفضي

صفى العيشُ فيها يا تبارك عهدها
(وعيشٌ سِوَاهَا غير صافٍ ولا غضٌ)

ترى الحبَّ فيها باقياً وبديمه
خلائقُ سُمْحٌ جائداتٌ بِمَا تُرضي

تُعَاقِرُنا كأساً من العلم صافياً
يحصِّنها التقوى عن الزيف والغمض

وَهنَّ بريعان تفيض فتوةً
وأعينُهُمْ عن كُلِّ شائبةٍ تُغضي

أولئكَ إخوان الصفا مُذ فقدتُهم
فَكُلُّ ثمينٍ بعد ذاكَ إلى رفض

علا شأوُهمْ فوقَ الذرى وَسِوَاهُمُ
تردّى حضيضاً دائمَ اللؤم والخفضِ

ترى أنها تحيا لخالبَ زائفٍ
لتسمو بِهِ ـ تباً ـ فتخلد لِلأرضِ

خـبـرتُ سُـراة الـقـوم حَـتّـى وجـدتـهـم

يـبـاشـرنَ لـؤمـاً أو تـبـيـت عـلى بُـغـضِ

فـسـل عـنـهُـمُ إنْ شـئـتَ أهـل بـصـيـرةٍ

لـتـعـلم مـا زاغ الـفـؤادُ بِـمَـا يَـقْـضِـي

ولا اتـخـذتْ نـفـسـي عـن الـحَـقّ مـهـربـاً

وإنْ شـزرتـنـي فِـيـهِ ذو الأعـيـنِ الـمُـرضِ

إذا اشـتـبـكـت فـي الـحـالـكـاتِ عـظـائـمٌ

أجـسُّ بِـهِ جـسَّ الـفـؤاد عـن الـنـبـضِ

أرى كُـلّ مـا تـأتـي الـلداتُ نـوافـلًا

تـتـيـه بـه وهـي الـجـنـوح عـلى الـفـرضِ

تـعـامـتْ عـن الـحَـقِّ الـمـبـيـن وأجـذبَـتْ

عـن الـخـيـر لـولا ذرّة الـخـيـر فِـي الـبـعـضِ

تـلـفّـتُ وَالـدُّنْـيـا حـوالـيَّ مـلـعـبٌ

تـشـابـه فِـيـهِ الـجـون فِـي الأبـيـض الـبـضْ

أجـلتُ بـه طـرفـي ولـلـفـكـر جـولـةٌ

بِـكُـلِّ مـكـانٍ مِـنْـهُ فِـي الـطـول والـعـرضِ

فـلم يُـرَ فِـيـه مَـا يـلذُّ عـطـاؤه

ولـم يـبـقَ فِـيـهِ مـا يـنـمُّ بِـمَـا يـرضـي

ومـا أنـا مِـمّـن أفـقـد الـيـأسُ عـزمَـهُ

ولـكـنْ أبـيـتُ الـسـومَ فِـي سـاحـة الـعـرضِ

أرى الحقَّ لا يبلى جديدُ ثيابه
لنرفض بعضاً ثمَّ نبقي على بعضِ
وليس به ما يقبل الزيف إنْ طوى
تقادمَ عهدٍ وَهُوَ يقوى على الدحضِ
الم يَكُ أرسى اللّه أُسَّ بنائِهِ
وفيهِ تحدَّى كُلَّ نازلةٍ تقضي
فذلَّ له – وَهيَ الجموح – عطاؤُها
وأرسلها إذْ أعجز القوم أن تمضي
تبيتُ مع الأحلام تقتاتُ وهمَهَا
وتشمخُ فِي أنفِ الجهالةِ والرخصِ
وترضى من الأيَّام أنَّا نسوسُها
بسكْرة أمعاءٍ وقولةِ ذي جُرْضِ
فلم لا نبادِ النَّاس فعلًا بمثلِهِ
وندفعُ منقضّاً علينا بمنقضِّ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م

نفخةٌ في الضباب

أقطّعُ وقتي بمثلِ اللعبْ ... وانظرُ حولي الّذي لا أُحِبْ
وأنظرُ حولي الّذي شأنُهُ ... إلى كل مخزيةٍ يقتربْ
وأُبصرُ فيهم نذيرَ البوارْ ... فيعجُمُ منّي الفصيحُ الذربْ
وتلتفُّ حولهُمُ فتيةٌ ... تخالُ البذاءَ حديثَ الأدبْ
وتسبحُ في لُجّةِ العابثين ... فيغمرها موجها المضطربْ
وتلتمس الخير عند السراب ... فيحرقها هاجرٌ ملتهبْ
تحوم حواليْهِ مثلَ الفراش ... تُراقص منهُ بناتِ اللهبْ
ويحيا لأسلافهِ سبّةً ... ويُوسعُ ذاكَ بصدرٍ رحبْ
تبلّدَ إحساسُهُ وانبرى ... يُحاكي اللبيبَ بثوبٍ قَشِبْ
حططتَ مقامك في الأسفلين ... وتحسب أنّكَ فوقَ السُّحُبْ
وتنشرُ حولك هذا الضبابَ ... لتخفي فعالك خلفَ الحجبْ

فَيَا مُتزلجاً يستحثُّ الخطى ... يَظُنُّ الخلودَ بدارٍ خربْ
وَيَا خاطبَ الخزي لا ترعوي ... ستُضحِي وَلَمْ تجنِ إلّا النَّصَبْ
سيبقى عطاؤك عارَ الزَّمان ... إذا انكشفَ الراي عمّا يجبْ

وتعلم أنّ جزاكَ الحطيمُ إذا صُبَّ فَوْقَكَ صوتُ الغضبْ
وَقَدْ أحضر اللّهُ عِنْدَ الحِسَابِ كِتَابَ الجَزاء وَمَنْ قَدْ كتبْ
أتعلم أنّ بيمنى يديك تَشقُّ لِنَفْسِكَ دَرْبَ العطبْ
لتحشر نَفْسَكَ فِي الصّالحين وتبني الحياة على مَا يُصِبْ
فليس العطاءُ عطاءَ الكَذُوبِ وليس البناء بحوك الخُطَبْ
وليس الفخار لمن ننتمي وليس الإخاء بقربِ النسبْ
فأصلُكَ ذِكْرُك فِي الخالدين بأنّ عطاءك كان الأحبْ
تنبّه فَفِي الدّرْب من ينتمي إليك بصدقٍ ومنْهم كَذِبْ
وكم مبلسٍ فِي مهبِّ الرّياح كنافخ نارٍ بجزل الحطبْ
يريك الليونة فِي طبعه فإنْ لاحَ شرٌّ لديه وَثَبْ
ويحملُ فِي نفسه الموبئات فيفتك فيك كفتكِ الجربْ

فعوداً على البدءِ في وثبةٍ تُجَدِّدُ فيها فؤاداً خربْ
وتنظر خلف مطاوي الزّمان لموردِ فذٍ نميرٍ عذبْ
تفجّرَ ينبوعُهُ بِالْهُدَى مِنَ اللّه خُطَّ بأسمى الكُتبْ
ويسمو عطاؤك فِي النشآتين وتغدو الحياة حياة الأربْ
فلا الحقدُ ينبتُ في أرضنا ولا الظلم يبقى ولا المغتصِبْ
ولا نابض عرقه بالخنا تأزّرَ لؤماً مطاوي الحقبْ
ودُنّس قدسَكُمُ واعتدى برغم الأنوف على من ألَبْ

ألا صحوةٌ من ضميرِ الإبا تَرُدُّ لنا عِزَّنَا المُنْثَلِبْ
ألا ترعوي أمّتي لِلْهُدَى وتطمسُ أحقادها فِي النُوَبْ
وإلا كطالبةٍ حتفَهَا كما قصَّ قدماً مثالٌ ضُرِبْ

فماذا يثيرك إنْ لم تثرْ ... لشعبٍ طريدٍ ومجدٍ سليبْ
وماذا يثيرك إنْ لم تثر ... ليتمِ رضيعٍ وتأييمِ أبْ
وماذا يثيرك إنْ لم تثر ... لأعراضِ غانيةٍ تُستلبْ
أترضى بضيمٍ وهذي الحياة ... بأسياطِ عاديةٍ تُلتهبْ
ولا تنتضي صارماً للحتوف ... بعزمِ أبيٍّ وجيشٍ لَجِبْ
لترتجفَ الأرضُ من وطئِهِ ... وصوبُ السَّماء دماً ينسكب
ووجهُ السَّلامِ الَّذي ينتحي ... إلى عاصفٍ ماحقٍ ينقلبْ
أيحيا السَّلامُ على أرضنا ... وعندهُمُ حاقداً ينصلب
تضوَّرَ حتَّى غدا حانقاً ... يلوحُ في حذْوِهِ المنقلِبْ
سلامٌ على السلم إنْ لم يكن ... على المجد إيوانه منتصبْ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

يا ليل مهلاً

اقول لليلِ مذ أرخى ذوائبَهُ ... يا ليلُ مهلًا لقد قرّحتَ أجفاني
أرّقتَ جفني وقد عمَّ الجميعُ كرًى ... وأوحشَ القلبَ إغرائي وهجراني
منّيتني بأمورٍ كان أبخسها ... ما لا يُنال سِوى فِي العالمِ الثّاني
اوحشتَ مِنّيَ خِلّاناً واوحشني ... أنّي شربت بكأسٍ مِنكَ أشجاني
عقابل الداء لا آسٍ يخفّفها ... سقيتَنيها بكأسِ الظالمِ الجاني
كأنّما أنا والآلام قد ولدا ... في ساعةِ العقم من خير وإحسانِ
وما اتزرتُ بِمَا يُزري ولا رشحتْ ... نَفسي بعاهة هذا العالم الفاني
وقد تعاقب محموماً على صَلَفٍ ... ثمّ استدار بمَا يأباه وجداني
حالانِ مِنْهُ فلم أركن لواحدة ... سِيَّان عِنديَ والاني وجافاني

حنانك اللّه من أمرٍ أكابدُهُ ... خلوتُ فيهِ إلى قلبي فأنباني
أنّي أنا اخترت ما قد شقّ من هدفٍ ... حتّى أواسي ألّذي قَدْ كَانَ آساني
وقد الحّ على قلبي فأوجعَهُ ... أنّي أرَقْتُ بِكَفِي كأسَ سلواني

يا أيكةً كُنتُ أسقيها لبانتها ... فافرختْ مِنك الامي والحاني
فما استتبَّ لها نفحٌ على ألقٍ ... وأينعتْ بثمار الفاكه الداني

وأردفت في سخاء كُلَّ مَا ملكت عطاءها الشر من آس وريحانِ

فغالَهَا من وراء الغيب غائلة ألقت حواصلها في كفِّ شيطانِ

فبادلتها عطاءً صفوُهُ رنقٌ وأوضح الحق زوراً حشو بهتانِ

فأشرفتْ من وراء الأفق من نفقٍ تهدي إليه بفعل المشفقِ الحاني

فأفردتْهُ وما في النَّاس من نَصَفٍ يستصرخ الحق من قاصٍ ومن داني

وأترعتْ كأسها من كفِّ عائبةٍ وألبستْ لِمُنَاها ثوبَ رهبانِ

واسحرت للمُنى فِي زِيِّ مومسةٍ واصبحتْ وعطاها سُمّ ثعبانِ

ومَا هلعتُ ولكن راعني حدثٌ من الأُمور رهين فيهِ كتماني

والعينُ تحضنه في كل آونةٍ والفكر يرقمه والقلبُ يلحاني

يا سامرَ الحي هذا بعض أشجاني فاجنح إلى البين أو فاصدع على الباني

جبل عامل/خربة سلم ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

إعتذار

هـي نـظـرة مـا لـوّنـتْ عـاراً ولـم يُـهـتـك سـتـارْ
مـن جـوعـهـا الـزمـنـي قـد سُـرقـتْ وقـد طـال الـحـوارْ
وبـأرعـن الـتـأنـيـب قـد زُجـرت وقـد صـهـرتـهـا نـارْ
فـتـبـخـرت عَـبـقُ الـقـلـوب وفـي مـعـارجـهـا اعـتـذارْ

هـذا أنـا... والـهـاتـكـونَ حـمـاك فـي وضـحِ الـنَّـهـارْ
كـثـرٌ.. فَـيـا رخـصَ الـمـبـاهـجِ والـمـفـاتـنِ والـنـظـارْ
صـنـعـوا بـه شـرك الـبـرىء فـمـا يـفـارقـه الـعـثـارْ

شـكـوى إلـيـك أبـثـهـا نـجـوى وقـد طـال انـتـظـارْ
رفـقـاً فـقـد شـاخ الـنـداء وفـي مـطـاويـه انـهـيـارْ
طُـويـتْ بِـهِ صـحـفُ الـشـبـابِ عـلى مـتـونِ مـن أوارْ
فـأسـتـوقـفـتـه فـي مـجـاريـهـا عـلى غـيـرِ افـتـكـارْ
يـسـتـصـرخُ الـمـاضـي فـيـلـهـبُ قـلـبَـه بـطءُ الـبـدارْ
حـارت لـيـالـيـه لـبـلـواه كـذا الـصـبـحُ يـحـارْ

يا بهجة الماضي سلام من أخي دنف مُثار

سمحت يداك بكل مرضية فشكرٌ وافتخار

إنْ أخمدوا منك العطاء فسوف يبقيه انفجار

إن اعتمت منك الرؤى فالليل يعقبه النهار

خُلدَ الذي قد جدتَ فيه رغم داعية البوار

سيان عندك أمسه واليوم إنْ بعدَ المزار

جبل عامل/خربة سلم ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م

ذكريات

في سحيقِ الزَّمانِ... لا... فِي أمسيَ الداني فِي ساعتي فِي سكوني
ذكرياتٌ سخِرنَ من بلهِ النَّاسِ ومن حكايا الشجونِ

همّنا همّنا نعيشُ إخاءً   بصفاءٍ ولذَّةٍ وفتونِ
نزرع الجِدَّ في قلوبٍ لُداةٍ   بين همس الحديث والتلقينِ
كم بسَطْنا على الرِّمال الحيارى   من أقاصيص حظِّنا المغبونِ
واستجرنا الدُّموعَ فِي لهفةِ الشوقِ لذكرى مضيَّعٍ مخزونِ

قلتُ يا صاحبي وقد عجمتني مرُّ أيامنا بِكُلِّ ضنينِ
شاخ خطوي على دروبِ الأماني   وأرى الكُلَّ فِي مطاوي السنينِ
عجباً صاحبي، كفعل لعوبٍ، تدنو طوراً وتارة تقصيني
فمتى صاحبي، بربّك قلْ لي   تنمو آمالنا بِكُلِّ ثمينِ
هل ملكتَ الدروبَ مثلي فلا تُخفي حديثَ دُنيا ودينِ
خطَّ فِي وجهِهِ دروب استياءٍ   وعلاني بنظرة التأمينِ

قال يا صاحبي تمهَّل فإنّي   أروي الآمنا بصوتٍ حزينِ
ألهوا وَهَمَّهُم وساروا إليه   بحلومٍ سريعةِ التلوينِ

أرجِعِ الخطوَ في السنينِ الحيارى يرجعُ الصوتُ في أسًى وحنينِ
ودعِ النّاسَ، وردُها غيرُ صافٍ لإخاءٍ من عالمِ التكوينِ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م



رأيتُ الحقَّ مصباحاً

لقد شطَّت بِنا الدّارُ ... وأحلامٌ وأفكارُ
وصوَّحَ في صروحِ الفكرِ ... خوارٌ ومهذارُ
وأعشى بعدما سطعت ... بنادي الصحبِ أنوارُ
وقد أخفيتُ مصباحي ... فبانت عنهُ أوزارُ
وكم نهنهنَ في مسراي ... إقبالٌ وإدبارُ
وكم ضجَّت حواليه ... بحقدٍ فيهِ إعصارُ
فما زلتُ مرابطُنا ... ولم تُكذبنَ أخبارُ
فحيناً ترتدي حنقاً ... وحيناً يطفحُ الثارُ
فلم أهتك لها ستراً ... وهل أنحو لما ساروا
فواهاً من أماسينا ... تقضَّت فيهِ أعمارُ
نخطُّ ما بِهِ نبقى ... وتخلد فيهِ آثارُ
ويسطعُ من تفانينا ... على الأجيالِ أقمارُ
ولم يفصحه إنْ كثُر ... ن إطراء ودولارُ
وإن آراؤنا حُبِست ... ستروي عنهُ أسفارُ
وتحيا في مآثرنا ... على الأجيالِ أقطارُ
وإذ أترابنا انزلقت ... بطورٍ فيهِ أدوارُ

تـغـطـرس فـيـه مـهـذارْ | واعـلـمُ فـيـه خـوّارْ
وآي الـهـدي قَـدْ عُـكـسـتْ | ودُكّـتْ فـيـه أسـوارْ
ولـم يـبـق سِـوَى نـفـق | تـقـاعـس فـيـه بـؤارْ
ولَا تـدري بِـمَـا صـنـعـت | سـيـسـكـر مِـنْـه خـمّـارْ
وَتـهـدم كُـلّ مَـا رسـمـتْ | يَـدَاهَـا وَهـيَ أصـفـارْ
ولَا تـبـقـى لَهَـا خـلفاً | تـعـاقـب فـيـه أبـرارْ
وأرضـاهـا الّذي كَـسَـبتْ | يـدَاهَـا وَهـيَ أوضـارْ

فـسـيـري حـيـثـمـا شِـئْتِ | فـلَمْ يـنـفـعـكِ أعـذارْ
وأنّـي لِلْهُـدَى أحـيـا | اسـتـقـامـوا فِـيـه أم جـاروا
عـرفـتُ الـحَـقّ مـصـبـاحاً | ولـم تـخـفـت لَهُ نـارْ
أقـمـتُ عـلـيـه كـي تـبـقـى | لـبـانـاتٌ وافـكـارْ

قـطـعـت حـزونـه قـفـراً | ومـا مـنـعـتـه أسـوارْ
فـعـرّضَ فـي مـغـانـيـه | وأعـربَ فِـيـه قـيـثـارْ
بـرَبّـك لا تـغـنـيـنـي | وقـد شـطّـتْ بِـنَـا الـدّارْ
فـلَا أمـسـي هُـوَ الأمـس | ولَا الـمـزمـار مـزمـارْ
فـمـذْ أقـزامـه نـشـطـتْ | وزاغـتْ عـنـه أبـصـارْ
هـجـرتُ الـكُـلّ مـع أمـلي | بـأن تـسـتـصـفـي احـرارْ
أمـوراً مـن تـعـنـتـهـا | تـمـايـز مـنـه اشـرارْ
وقـد زمّـت مـنـاقـبـهـا | فـمـا نـقـمـوا ولا ثـاروا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩١ ـ ١٩٧١م

نشيد قلب

حسبي ألذي لولاه … كل الخلائقِ فاهوا
بِكُلِّ مَا اكتسبتُهُ … على المدى يُسراه
بأنني أخشاه … بخافقٍ يهواه

يا ساكناً بفؤادي … صوب الحيا حيّاه
يا مالكاً لفؤادي … ولا يُطَاق جفاه
رفقاً بخافق صبٍّ … فقد أطلتَ عَنَاه
فكيفَ لي بحبيبٍ … وهل يكونُ سواه
وإنْ تمادى بهجري … أرضى الّذي يرضاه
وإنْ تمادى فإنّي … أرجو جميلَ نداه

فلا تردَّ رجائي … يا قادراً بعلاه
أرجو وصالاً دؤوباً … يا من يعمُّ عطاه
أرجو لقاءً قريباً … يا من يلذُّ جناه
أرجو دوام لقاءٍ … يا من يعمُّ سناه
أرجو شفاءً لنفسي … يا ساماً شكواه

أرجو إنارةَ قلبي   لكي أرى مَغْنَاه
أرجو وضوحاً بدربي   ولا تُطِلْ مسراه
أرجو وأرجو وأرجو   يا مَنْ يزيدُ عطاه

إنّي عجبتُ لقومٍ   قد ضلُّوا فيك وتاهوا
ونوره قد تجلّى   فما ألّذي أخفاه
سُبحانهُ وَتَعَالى   تعاظمت أسماه
فِي كُلّ شيءٍ تجلّى   فِي كُلّ شيءٍ أراه
وَكُلّ شيءٍ ينادي   عَظُمتَ يَا رَبّاه
فكيفَ تمّ اتزاناً   وكيف مازَ غذاه
وكيف يزهو ويذوي   فما ألّذي انشاه
فإنْ تقول تراب   فما ألّذي سوّاه
وإنْ تقول نواة   فما ألّذي صفّاه
ومن يقول اتفاقاً   فجهلُه أعماه

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

في معبد الحب

يلوّن ذكراك دمعي السخيّ | وفي معبدِ الحب يَسْتَرفدُ
وحطّمتُ فيكَ جميعَ الّذي | يشدُّ الأنامَ وما يعبدوا
وكلّ إله لهم زيّنوا | رفضتُ انصياعاً وإنْ فنَّدوا
وقلتُ لقلبي استفق من كَرَاك | فليس لغيرِ حبيبي يدُ
وهذا الّذي يستخفُّ الرفاقَ | ستكشفُ عن عقمِه يا غدُ
وتعلمُ كيفَ تتيه السفينُ | وإنْ قرّبوا فيهِ أو بعّدوا
وقولبتُ قلبي بهَذا وَذاكَ | وإنْ أتهموا فيهِ أو انجدوا
وقلت بِذاكَ عَسى أن يدومَ | لقاء حبيبٍ بِهِ أسعدُ

وأوقفتُ قلبي بتلك الربوعِ | أراقبُ فيهِ الّذي مجدوا
فلم أرَ غيرَ السرابِ الكذوبِ | يؤمّنهم حيث لا موردُ
فآبوا ولم يجنوا غير الظما | وأحشاؤهم بالسُرى تُوقدُ
رفضتُ النشيدَ وما وقّعوا | وإنْ أبرعوا فيهِ أوجوّدوا
فإنّي خشيت طغام الحروف | تذُودُ عن الحق من أُوردوا
أرى الكُلّ حول معانٍ سَمَتْ | تبارى بِهِ نُوَّمٌ هُجَّدُ
فأعماهُمُ زيغُ مَا لوّنُوا | فَضلُّوا الطريقَ ولَمْ يهتدوا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

كأنّا معشرٌ رسُلُ

تَقادمَ فِي الدُّجى مسراكَ ... واستعصى بِكَ الأملُ
فَمَا أسفرْتَ عن غايٍ ... وَمَا استحصَلْتَ منفصلُ
وسيرُ المرء مجبوراً ... إلى غايٍ لمُفتَعَلِ
توزَّعَ مِنْهُ أفكارٌ ... فمنحولٌ ومرتجلُ
وأقسى مَا يعَانِي المَرءُ ... أفكاراً بِهَا خجلُ
وَلَا يرجو من الأيّام ... مَا قَدْ حَلَّ يرتحلُ
فَيحيا فاقدَ الأهداف ... «لَا حولٌ وَلَا قِبَلُ»

وإمّا أفرغَ الأملُ ... «فَمَا قَدْ شَقَّ يُحتَمَلُ»
«فَعيشُ المَرءِ فضلُ مُنى» ... لَهَا الأعمارُ تبتهلُ
فعفواً أيُّها الأصحابُ ... عَمَّا الصدرُ يعتملُ
سأنصفُ صفحةَ التاريخ ... كي أروي لِمَن جهلوا
بِأنَّا معشرٌ جنفٌ ... عَلَى الأهواء نقتتلُ
نزيّنُ كُلَّ مَا نهوى ... كَأنَّا مَعشرٌ رُسُلُ
وَلم نحفلْ لنازلةٍ ... بِمَن حلُّوا وَمَن رحلوا

فَـلَا تُـشْـكِـلْ وَلَا عـارٌ ... أتـصـحـوا فِـيكُمْ الـمـقـلُ
وَمَـا مِـزْتُـمْ ذوي ثـقـةٍ ... ومَـنْ جـدّوا ومـن هَـزِلـوا
ألَـنْـتُـمْ أُمّـةٌ خُـلـقـت ... لِيُضْرَبَ فِيكُمُ الـمَـثَـلُ
تَـسـافَـلَ كُـلُّ مَـا جِـئْـتُمْ ... كَـمَـا قَـدْ يـفـعـل الـثـمـلُ
عَلى الـهـوجـاءِ قَـدْ حُـمِـلَت ... ألا يـا بـئـس مَـنْ حُـمِـلوا
وأعـلامُ الـهُـدى هُـجِـرَتْ ... وَذلك مـطـلبٌ جَـلَلُ
وَكَـمْ رَسـمـوا لَـنَـا خُـطـاً ... بِـهِ الأحـلام تَـعْـتَـدِلُ
وَكَـانُـوا مُـنـتَـهـى الأفـكـار ... أنْ قَـالـوا وأنْ فـعـلوا
تـنـكّـبُـتُمْ عَـنْـهُـمُ الأهـواء ... هـل فِـي روعِـكُـمْ خـلَلُ
تـمـنـطـقـتُـمْ بِـداهِـيـةٍ ... وَمَـا قَـدْ صَـاغَـهُ الـدَجَـلُ
فَـمَـهـلاً فِـي غـوايـتـكـم ... فَـلَا يـضـلـلْكُمْ الأجـلُ
فَـمَـا تـنـفـكُّ تُـنْـذِرُكُـمْ ... غـواةٌ قـبـلـكـم أفِـلوا
لِتُـبْـقُـوا فِـي دجُـنّـتِـكُـمْ ... ولا تـشـفـعـكـم الـحـيـلُ
إذا مَـا الـحَـقُّ أنـبـأكُـمْ ... وَحَـاقَ بِـكُـم فَـلَا تـسـلوا
عـنِ الـعُـجـلَا إذا أزفَـت ... وَدُكَ لـهـولـهـا الـجـبـلُ
هُـنَـالِـكَ تُـهْـتَـكُ الأسـرار ... لَا وتـرٌ وَلَا ذُحَـلُ
فـيـخـلـد فِـي مـسـاوئـه ... ويـجـزى الـخَـيْـرَ من عـدلـوا

الا يَـا سـائـقَ الأضـغـان ... أيـنَ الـركـبُ قَـدْ نـزلـوا
تـطـاولَ فـيـهـمُ قـلـقـي ... وَمَـا انـفـكُّ انـتـقـلُ
أفـتّـشُ عـن مـرابـعِـهـمْ ... بـقـلـبٍ مِـلؤه شـغـلُ
انـاديـهـمْ بِـكُـلِّ هَـوى ... ويـخـنـقُ صـوتـي الـوجـلُ

ويفضح ما يكاتمني	بما جادت به المقل
فعفوا سادة الأخلاق	عمن لفّه الزلل
ألستم سادتي الأمل	لمن يدعو ويبتهل

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩١هـ - ١٩٧١م



سيعذب مشربي

أبـــاتُ وأغـــدوا عـــلى مـــأربِ ... ويُـحـجَـبُ مِـنْ حظـيّ الـمـجـدبِ
ووقّـعـتُ لـحـنـيَ عـلى نـايـه ... شـرُوداً وفـي سـبـبٍ مُـرْهـبِ
وقـمـتُ عـلى عـيـثـر كـالـحٍ ... أجـورُ عـلى خـافـقٍ مـتـعـبِ
والـعـنُ دومـاً مـآتـي الـزّمـان ... بـلـهـجـةِ حـقـدٍ وفـعـل غـبـي
وأعـزي إلـيـه ألّذي يـحـتـوي ... وأُخـفـي عـنـه ألّذي أجـتـبيّ
ومَـا الـدّهـر إلا سـهـام الألـى ... يشقُّ السنى فِي الدُّجى الغيهبِ
ولـيـس لـدى الـدّهـر مـن مـأربٍ ... ومـا لـي عـلى الـدّهـرِ من معتبِ
أقـومُ مـلـحّـاً بـدور الأبـاة ... وأُرسِـفُ نـفـسـي بـقـيـد نـبـي
ويـضـحـك مِـنّـي ألّذي شـأنـه ... عـلى كُـلّ مـخـزيـةٍ يـحـتـبـي

تـمـهّـلْ فـلـيـس ألّذي دونـهـا ... ضـيـاعُ الـحـقـيـقـة من مـطـلـبي
وإن شِـمْـتَـنـي أحـتـسـي عـلـقـماً ... سـيـعـذب رادَ الـضـحـى مـشـربـي
ألـم تـسطُ شـمـسـي على جـهـلِكُمْ ... وتـكـشـف عـن مـريـدٍ غـيـهـبِ
ألـم يَـكُ لِي هـمّـة الـعـاشـقـيـن ... وعـزم أبـيّ وطـهـرُ صـبـيّ
ألـم أخـضـع الـبـؤس حـتّـى ربـا ... فـؤاديَ فِـي الـمـريّـه الأرحـبِ

ألـم يـمـشِ خـلـفـي فـؤادٌ دنـيٌّ تـرشّـف مـن نـبـعـه الأعـذبِ
تـلفّـتَ فـكـيـف تـرى بُـقْـيَـةٌ أيـا قـلـبُ فـاصـدعْ ولا تـرهـبِ
عـجـبـتُ لـنـبـع صـفـى طـهـره تـدفّـقَ دومـاً ولـم يـعـشِـبِ
وهـذي زعـانـف هـذا الـوجـود تُـحَـكّـمُ فِـي رَبْـعِـهِ الـمـخـصـبِ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩١هـ - ١٩٧١م



القارعة

تَبَلَّدَ فِيكَ إحساسٌ   فهل ينفعكَ إغلاسٌ
ومن يرجوك في خَشَفٍ   خلالَ الدّار قد جاسوا
تنبَّهْ واتَّزِرْ حزماً   فإنَّ العرق دشاسٌ
ولا تُبلِسْ لنازلةٍ   فما ينفعكَ إبلاسٌ
أتبقى مُشجراً أملاً   وقد أُهريقتِ الكاسُ
فلا سكرٌ ولا خمرٌ   لئلا يُخدع النّاسُ

لِتُقْرَعَ منكَ أجراسٌ   لعزفٍ فيهِ أجناسٌ
ليَرقصَ كُلُّ معتوهٍ   ويضحك منهُ عباسُ
بكَفٍّ فيهِ أوهامٌ   وكَفٍّ منكَ فرّاسُ
وَيُهتكُ كل مستورٍ   لهُ العزماتُ أفراسُ
ويخدعهم كما ألفُوا   ويعقب منهُ إفلاسُ
سواسيةٌ ننادي النّا   س والإنصافُ نبراسُ

ألا يا راكبَ الأوهام   قد ناغاك خنّاسُ
لتخلد في دَجنّتهِ   وتسكت منكَ أجراسُ

فنحن الناس والباسُ ... لتخمد منكَ أنفاسُ
الا لم ينجكَ اليأسُ ... إذا لَمْ يُخبِهِ الباسُ
وتركب متنَ عاصفة ... فهذا الشرّ أكداسُ
وتمحق كل الحة ... فما في البُهمِ إيناسُ
ألم تبصرْ سفاهتهم ... كَريمَ النَّفس قَدْ داسوا
وقد هبَّتْ زوابعهم ... لتُخمَدَ منكَ أنفاسُ
وصاروا صيد ذي حنقٍ ... ومرهقةٍ لِمَن ساسوا
تدير الأمر زعنفةٌ ... رؤوسٌ وَهيَ أنكاسُ
وأقفر روضك المعطاء ... لا وردٌ ولا آسُ
وهذي جعبة الصياد ... أخراجٌ وأكياسُ
وأُصمِتَ حولها جُدرٌ ... وقام عليه حرّاسُ
ولم ينبس ببارقة ... ليعبث فيك ديماسُ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩١هـ - ١٩٧١م

صدى الولاء

إمامَ الزَّمانِ إذا ما شكوتُ إليكَ وجئتُ بِها عاريهْ
لأنَّ نفوسَ جميعِ الورى أراها بِما ترتأي راضيهْ
وأنَّكَ أنتَ وصيُّ الرَّسولِ وإن جحدتْ أنفسٌ عاتيهْ
وأنَّكَ أنتَ الإمامُ الزكيُّ بكَ النَّاسُ في حشرِها ناجيهْ
وأنَّكَ يومَ المعادِ الشفيعُ وقدْ وقعَ النَّاسُ في داهيهْ
وأنَّكَ للعدلِ ميزانُهُ ولا تبخسُ النَّاسَ في خافيهْ
أتتركُ قوماً طغى غيُّهُم وأرهقتِ الأنفُسَ الزاكيهْ
وتبقى على الضيمِ مرَّ الدُّهورِ وتسعفها أدمعٌ جاريهْ
ببحرِ الأنينِ تحوكُ المُنى وبالذُّلِّ تلتمسُ العافيهْ
وفي قِمَّةِ المَجدِ رأسُ الطغاةِ مدلاً... وذو الخيرِ في زاويهْ
تجشّمَ في البؤسِ حتَّى غدا مثارَ التندرِ للراويهْ
تعرّى من الخيرِ حتَّى الجميلِ من الفعلِ ليسَ لهُ هاويهْ
ولو أطربَ النَّاسَ في المرقصاتِ لما وجلتْ أذنٌ صاغيهْ
تريدُ الهُدى منبتاً للخداعِ ويولمها إنْ شدا ناعيهْ

تفاقمَ ذا الشرُّ يا بن النَّبيّ
أغثها بجانحةٍ قاسية

أغثها بكلِّ مزيل الشُّكوك
ومَا يملك القلب والناحية

فلَا تُبقِ فِي الخَيْرِ مِن خائفين
وَلَا تُبقِ لِلشَّرِّ مِن بَاقية

أوار ولائِكَ فِي العَاشِقِين
يؤلّف دانيهِ وَالقَاصية

صِلَاباً وَفي زحمة الجَاحِدِين
تُرَدِّدُ أنشودة البَاقِية

وَشَاخَ النداء وَلَمْ تهتدِ
طريقاً لِطَلْعَتِكِ الزاهية

وَقَالَ بِأنَّكَ نَسج الخيال
جحودُ الرواية والزَّاوية

رضيتَ ولم تنتضِ صارماً
وقد أصبح الدِّينُ فِي هاوية

واغضيتَ طرفك عمَّا جرى
بِمجرى الرِّسالة مِن طَاغية

لَقَدْ احرقُوه بِحقد الألى
عداةٌ بعنصرها عادية

فلم يبقِ لِلّه مِن ذاكرٍ
وَلَمْ يبقِ لِلْخَيرِ مِن نَادِيَة

وَقَدْ وسمت أهلَه المخزياتُ
بعزمة آمرةٍ ناهية

فتاهتْ عقولٌ وَقَام الهراء
فاشبهت الذِّئب والثاغية

تدرَّعَ أهلوه فيمَن أراد
لمبدئِهِم ضربة قاضية

رجالٌ ولكن لِمَحْوِ الضمير
وفك الشعوب لتبقى هية

وَقَدْ زرعوا بيننا فرقةً
وقَدْ اتقنوا الكيدَ والغاوية

فطوراً يمين وطوراً يسار
وغربيه تدَّعي البانية

فَكُنَّا كَمَا تَشْتهِي المُخزِيَاتُ
واعينُ عن مَجدِها غَافِيَة

كَأنْ لَمْ يَكُنْ أُمَّةٌ هَيْمَنَتْ
عَلَى كُلِّ ذي شِرعةٍ سَامِيَة

وَلَمْ يَبْقَ فِينَا الحَكِيمُ الرَّشِيدُ
عَلَى الساحِ ذُو الهمَّة العَالِيَة

فَطَاطَاتِ الراسَ وَهيَ العَبِيد
وَفي ذلَّة تَنْشد الخَابِيَة

اترضى بذلك يَا بنَ النَّبِيِّ
وَتَبقى عَلى الغيب فِي نَاحِيَة

أظـنُّ الإلـه إذا مَـا دعـوتُ   لـتـنـجِـدنـا لَمْ يُـجِـبْ دَاعِـيَـهْ
هُـنَـا يَـكْـمُـن الـسِّـرُّ فِـي خَـاطِـرِي   مَـتـى سَـيِّـدِي تُـكْـشَـفُ الـغَـاشِـيَـهْ
فـعـفـواً إذا مَـا رقـمـت الـحـسـاب   وارمـزت لِلسـرِّ فِـي الـقَـافِـيَـهْ
بِـحـبـل وَلَائِكَ إذْ أحـتـبـي   وَآلاءِ آبَـائِكَ الـزَّاكِـيَـهْ
نِـداء الـضَّـمِـيـر عَـلَى بَـابِـكُـم   تَـقـوقـعَ مُـنْـتَـظِـراً دَاعِـيَـهْ
فَـكَـانَ كَـمـلـتَـمِـسٍ فِـي الـسَّـرَابِ   بِـأنْ يَـهْـتَـدِي كَـأسَـهُ الـصَّـافِـيَـهْ
وَقَـامَ عَـلَى الـغَـيْـبِ يَـبْـنِـي الـحَـيَـاة   وَيَـرْسـم آمَـالَه الـسَّـامِـيَـهْ
يَـئِنُّ وَلَيْـسَ لَهُ أوبَـةٌ   إلَـى الـخَـلـفِ كَـي يُـرْجِـعَ الـمَـاضِـيَـهْ

لَقَـدْ سَـئِمَ الـركْـبُ يَـا ابْـنَ الـنَّـبِـيّ   وأخْـرَسَ نَـاعِـقُـهُ شَـادِيَـهْ
وَقَـامَ عَـلَى حُـفَّـةِ الـمُـهْـلِـكَـاتِ   كَـرَاجِـي الـتَّـعَـفُّـف مِـن زَانِـيَـهْ
وَبَـاتَ وَبَـاتَـتْ لَهُ لَيْـلَـةٌ   عَـلَى كُـلِّ مُـرجـفـةٍ جَـاثِـيَـهْ
وَلَمْ يَـبْـقَ فِـي الـسَّـاح إلَّا الَّذِي   تَـثَـعْـلَبَ كَـيْ يَـجْـتَـنِـي الـدَّانِـيَـهْ
نَـسُـوا أنَّـهُـم فِـي مَـهَـبِّ الـرِّيَـاح   وَأنَّ الـجُـنَـاة هُـم الـجَـانِـيَـهْ
وأنَّ شَـوَامِـخَ أحـلامِـهِـم   سَـتـصـبـح رأد الـضـحـى خَـاوِيَـهْ
ألَيْـسَ مُـثِـيـراً بِـأنْ تَـنْـزَوِي   نُـفُـوسٌ صِـلابٌ لَكُـم فَـادِيَـهْ
ألَيْـسَ مُـثِـيـراً بِـأنْ تَـرتَـوِي   عَـلَى الـذُّلِّ مِـن حَـمَـاةٍ آنِـيَـهْ
ألَيْـسَ يُـثِـيـرك أنَّ الـطُّـغَـاة   لِدِيـنِـكَ تَـلْـتَـمِـس الـفَـانِـيَـهْ
ألَيْـسَ يُـثِـيـرك فِـي الأقْـرَبِـيـنَ   تُـقَـاطِـعُ أرْحَـامـهـا الـدَّانِـيَـهْ
أتـكـمـنُ خَـلف حَـصِـيـنِ الـرُّمُـوزِ   غِـضَـابـاً وأعـداؤكـم دَافِـيَـهْ
لَقَـدْ طـوروا فِـيـكـم حِـقـدهـم   ومـغـنـمـهـا أنـفـسٌ ضَـارِيَـهْ
تُـرَبـى الـنُّـفُـوسَ عَـلَى وَثْـبَـةٍ   لِتَـرجـع فِـي مَـجـدِهـا ثَـانِـيَـهْ

وَلَو صَرَّحَ الرأيَ مِنْكُم أتَيتُ أموراً لَها الرتبةُ العاليةْ
فَأنتُم مِنَ اللهِ في موضعٍ تَحاماهُ أملاكُهُ الدانيةْ
تَضَوَّعتُمُ شعلةً في القديمِ فكانتْ لمرشدِهِم هاديةْ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩١هـ - ١٩٧١م



يا بن النبي (ص)

مطلعها أرتجال عند زيارة مشهد سيّد الشُّهدَاءِ الإمام الحسين عليه السلام :

فَهَا قَدْ أتيتُكَ خَالِي الوفاضِ ... وَلِيَ مِن وَلَائِي مَا يَشْفَعُ
فَيَا بْنَ النَّبِيِّ وَيَا بْنَ الوَصيّ ... تَرَانِي بِمَا أبتغِي أرجعُ
فَلمْ لَا وأنتَ لِكُلِّ جَمِيل ... أيَا سَيِّدِي دربُه المهيعُ
وأنتَ الَّذِي سَنَّ لِلْعَالَمِينَ ... طَرِيقَ الإِبَاء وَمَا يَرفعُ
وَأنتَ الَّذِي دَكَّ لِلظَّالِمِينَ ... صُروحاً تَمَادى بِهَا الأوكعُ
فَكانَ عَطاءً يَعمُّ الجَمِيعَ ... وحلمك من أفقهم أوسعُ
عصفتَ على غيِّهِم بالإِبَا ... وَفِي دَارِهِمْ عَصفتْ زَعزَعُ
مَدى الدَّهر كَانَ لَهُمْ عَارُها ... وَمن كُلِّ خُزي لَهُمْ برقعُ
لَهم نتنُ الذِّكْرِ مرَّ الدُّهُور ... وَذِكرُكَ مِن رَوْضةٍ اضوعُ
وقمتَ علَى المَجد تسمو بِهِ ... إلَى حَيثُ يَرتَفِعُ الأروعُ
وظَنَّ الوغادُ بِأنْ سيدوم ... ويصفو لِظلمِهِمُ المَنبعُ
فَلِلْخُلدِ أنتَ فَاقَا العِدى ... فَنَعلُكَ من جَدِّهم ارفعُ

تَقحّمتُ قُدسكَ يَا بْنَ البَتُولِ ... وَقَلْبِي عَلَى وَجَلٍ يَصدعُ

بِذِكْرِ صِفَاتِكَ وَهيَ الشُّعَاع   فَمَنْ يُثْبِتُ الشَّمْسَ إذْ تَسْتَطِعُ

فَعِلْمُكَ فَوْقَ صُدُورِ الكَلَام   وَمَسْلَكُهُ لِلْهُدى مَنْبَعُ

كربلاء ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م



عليٌّ (ع)

عليّ تبارك من قد حباك
صفات لها العقل لا يدلج

كشفت عن الغيب لمّا سُئلت
عن الله كيف له يُعرج

وجاوزت حيث النُّهى أُوقفت
وانهجت للعقل ما يفلج

حباك الإله بخير الصفات
كمالاً وذان لك المنهج

فأنت امتداد لصوت الإله
هو الصبح نهجك بل أبلج

سبقت الزمان بأفكاره
علوّاً وذان لك المخرج

فلا فخر إمّا سما معلّم
تمرّس في جهده المُخرج

تجاوزت في الفكر فوق الثرى
وفتّحت أبواب ما أرتجوا

وجشّمت عالم فلك المقام
على صفحة بالهدى تُزهج

لديك المُغيَّب عين العيان
وظنّهم خاب لا تحرج

لقد ذان دوماً إذا ما أردت
إلى الحق يوماً لك المنهج

(...)

يا أُمَّ قيس

كم من الأمُور الَّتِي تعايش المرء ولا يجد لها حلاوة مذاق... مهما عظم حلمه وقدرته علىٰ تكيف نفسه مع واقع حاله.

وهي: أن يطوي صوراً محببة إليه، نشأ معها، وامتزج بها، فشاطرها وشاطرتهُ الحُبَّ والتقويم، ثمَّ يجد نفسه مشدوداً إلى صور غريبة عنها، بقدر ما هي غريبة عنه.

ويجهل ملامحها كُلَّ ملامحها

وقد أصبحت جزءاً من كيانه،

وانكشفت أمامه

انكشفت بعري كامل، فلم يجد ما يعشقه ويهواه ليعوِّضَ ولو ما قلَّ بِمَّا فاته... بِمَّا أحبه ويهواه

فعاش الكبتَ والألم، وليبقىٰ لَهُ من ماضيه ذكرىٰ الواله، وآهة الحيران.

يَـا أُمَّ قـيـسٍ نـداءٌ مـن أمـانـيـنـا ... يـرقـى إلـيـك يُـحَـيـيـكِ فـحيِّـيـنـا

يَـا أُمَّ قـيـسٍ وذكـرى لا تـفـارقُـنـا ... منـهـا شـربـنـا كؤوساً من تصافينا

يَـا أُمَّ قـيـسٍ أرى الأيّـامَ واحـدةً ... سِـيَّـان فـيـهـا ثـلاثـونـاً وستونا

أرى فـؤادي لـديـكِ كُـلَّـمـا عـرضـتْ ... ذكـرى لُـدَاةٍ إلـى ذكـراك تـدنـيـنـا

مـهـمـا تـمـادتْ مـع الأيَّـام الـمـحُـهـا ... مـا بـيـن جـنـبـيَّ تـرنـيـمـاً وتلحينا

يَا أُمَّ قيسٍ نسيتِ من تعاهدنا   من قال في عهده آمينَ آمينا
وكم رفضنا طريقاً في طفولته   وكم سخرنا أموراً من تصابينا

يَا أُمَّ قيسٍ يرين الشك في خَلَدي   يُدنيه من أمره ما كَانَ يُقصينا
وكمْ تقضّتْ على رغدٍ وفي دعةٍ   أيامُنا الغرُّ تحكيها ليالينا
وكمْ شربنا كؤوساً في تناجينا   وكمْ أثرنا حقوداً من أعادينا
يَا أُمَّ قيسٍ جميلاتٌ مرابِعُنَا   فيها نخطُّ دروباً من أمانينا
لَا يلبثُ العامُ تلوَ العامِ يُسعفنا   مِمَّا نروم... أفانيناً أفانينا
من حول موقدة كُنَّا فراعنةً   لم نلق في لهونا مَا كَانَ يثنينا
لَا يُسقِطُ النومُ في أجفاننا سِنَةً   كَلَّا وَلَا يُختشَى مِنَّا تجافينا
لَا يسقط النومُ في أجفاننا سنة   حتَّى تفيقَ على نجوى المحبينا
كُنَّا وكَانتْ لَنا الأيَّامُ طائعةً   من كل ما يشتهي الأحبابُ تؤتينا
يَا أُمَّ قيسٍ فلَا شيءٌ يكدرنا   مِمَّا نروم ولَا شيءٌ يواسينا
وإنْ نسيتِ فلَا انسى مسارِحَنَا   بالحقل نلهو بما قد كَانَ يُصبينا
نطوي النَّهارَ سريعاً في تلهّينا   وكم رجعنا وقد خفنا أهالينا
نلفِّقُ العذرَ خوفاً من تفرقنا   كما أخذنا عهوداً في تلاقينا

يَا أُمَّ قيسٍ بِمَا أحيا تلهفُنَا   بالحبِّ ردِّي علينا نخبَ ماضينا
ماضٍ حميدٍ بِهِ تزهو نزاهتُنا   والبِشْرُ يطفح للفحشاء لو شينا
كَانَ الشبابُ وَكُنَّا نستعيذُ بِهِ   من أن نَسِفَّ إلى ما ليس يرضينا
وقد غدونا مثالاً في تعفُّفنا   وقد أقمنا على التقوى البراهينا
حتَّى غدا الحيُّ همساً من تعجُّبِهِ   يحكي حكايا الهوى عنَّا ويُطرينا
ما قيسُ ليلى سِوَى فصلٍ لقصتنا   إمَّا أقمنا على عدلٍ موازينا

يَا أمَّ قيسٍ حرامٌ أن يزودنا   صفو المحبة ما يُدمي مآقينا
ويستديمُ بِنا آهاً تمزّقنا   وتستثير بِنا الذكرى فتشجينا
نصارع اليأسَ دوماً كي يؤمّلَنا   بساعةٍ من ليالي العمر تدنينا

يَا أمَّ قيسٍ حصيلاتُ الزّمان أرى   تمزيقَ شملٍ وسبقاً في تفانينا
نَبْني هياكلَ أحلامٍ فتكذبنا   أحلامُنا الصيد أو تطوى أمانينا
نحيا كأنّ ربيعَ العمر مجدبةٌ   أيّامه من ليالٍ فيهِ تغرينا
حتّى اقمنا عليه ما يضلّلنا   مدى الحياة «ولا يرجى تلاقينا»

سقياً لربعكِ يا وادي الحبيبِ فكمْ   توثّقتْ فيك آمالُ المحبّينا
نغدو على مأمنٍ فيهِ فيحضننا   ظلُّ الأراكِ ونستافُ الرياحينا
ويمرحُ الحبُّ فيهِ غير مرتقبٍ   عينَ الرقيبِ ولا يُخشى تمادينا
نرى العفافَ يُديمُ الحبَّ مؤتلقاً   مستخلِصاً وتراً يُرضي تعالينا
عشنا لهُ زمناً نرتاده سحراً   في صفوةٍ من كؤوس اللطفِ تروينا
والماءُ من حولنا غيرانُ ملتوياً   يعابثُ الآس طوراً والرياحينا
ووشوشتْ نجمةٌ أخرى مخبّرةٌ   أنّ سوف يخلو من الندمانِ نادينا
آهٍ على زمنٍ حلوٍ تناجَيْنا   مع الأحبّةِ ما أحلا تناجينا
والشملُ مجتمعٌ والحبُّ مؤتلف   والشوق ممتزجٌ يملي أمانينا

وربَّ ليلٍ ركبْنا مِنْهُ عاصفةً   والكلب ينبح والذُئبانُ تُعوينا
والريحُ في صخبٍ في كل منعطفٍ   هُوجٍ هواطِلُها الوَتْ نواصينا
أذرى به وهجٌ في القلبِ متّقِدٌ   يَا أمَّ قيسٍ ولم يقوَ فيثنينا
نواصلُ السيرَ تقديساً لموعدنا   والحبُّ يُسعفنا والشوقُ يَحدونا

القاكِ في وجلٍ حيرى بليلتنا | والريفُ أجمل ما فِيهِ تفادينا
لا نعرف الزيف يَوْماً فِي تودُّدنا | كَلّا وَلا ضجرت مِنّا أماسينا
دُنْيا من الحبِّ شدناها ورفقتنا | والنّاس من حولنا تهوى مساوينا
دار الزّمان بها فاندكَّ شامخُها | وخمرة الحب أُهْرِيقَتْ بأيدينا
عدنا غريبين نستجدي محبتنا | والدّارُ خلْوٌ ولا الأهلون أهلونا

يَا أمّ قيسٍ وآهاتٍ أردّدها | وما التأوّه إلّا ندب ماضينا
جرح ترعرع هيماناً بمن صدقوا | بخالصِ الحبِّ أن يبقيه مغبونا
يَا أمّ قيسٍ شربنا كأسَ هاجِرَةٍ | ولم يدانِ ربيعُ العمرِ عشرينا
يَا أمّ قيسٍ شربناها بِلَا مَهَلٍ | ملأى زعافاً وزُقُّوماً وغسلينا
فليصطفِ الدّهر مهما شاءَ من ألمٍ | وبالرزايا إذا ما شاء يرمينا
ولتختفي في مطاويه مكائدُهُ | ولْيُتْرِع الكاس أقذاءً ويسقينا
أنّا على العهد نبقى لَا يُفرِّقُنا | كيدُ الزّمان ولا يبلى تصافينا
هذي ترانيم عهدٍ سالفٍ وَبِها | يَا أمّ قيسٍ أحيّيكِ فحيّينا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م

وقفت شبابي على حبهم

أستلهم الماضي وأستنطق وأسأل عنهم ولا أصدق
وأرقم حبي بلوح الضمير وبالدمع يفصح ما يخفق
وأمتار حبي بلج الهوى وأترع كأساً به أشرق
فيا نغمي الحلو لا تجنفوا أخاف على زورقي يغرق
أيقسو المحب على خافق قديماً بحبهم موثق
والمح خلف الضباب البعيد خطوطاً بها الرأي يستوثق
أسابق فيها نسيم الصبا مع البرق جرياً ولا الحق
فيا نغمي الحلو هذا النشيد يلحنه خافق شيق
يذوب الحنين برين الأسى فكيف اصطباري الا فاشفقوا
تكدر مني سليم الجنان وداجي الهوى ليله مطبق
اخاف ترين علي الشكوك فيلهبه امل محرق
بحجم الخضوع لداعي الهوى جفاء... فذا حمله مرهق
وقفت شبابي على حبكم وما غرني عارض مغدق
وآلمني أن يميل الحبيب وما ضرني راصد يحنق
قضيت زماني وحق الهوى اجدد في الحب ما يخلق

وقـد رابـنـي أن يـدومَ الـشـفـيـعُ		دؤوبـاً عـلـى بـابـكـم يَـطْـرقُ
فَـلا رُحِـمَـتْ مِـنْـهُ آهـاتُـه		وَلا الـقـلـبُ مـن أسـرِه مُـعْـتَـقُ
وضـمَّـخ آهـاتـه بِـالـعَـبـيـر		فَـلا الـورد حـاكـى وَلا الـزنـبـقُ
يـعـيـشُ ابـتـكـاراً بـفـنّ الـهَـوى		يـتـيـه بِـه سـادرٌ أحـمـقُ
سـلامٌ عـلـيـهـم فَـمَـا ضـرَّنـي		إذا فـاتَـهُـم سـابـقٌ أبـلَـقُ
فَـلَـيـسَ نـشـيـدي ألّـذي لـحـنـوا		ولا الـسـربُ سـربَ ألّـذي أعـشـقُ
ولا غـيـر كـأسِـهِـمْ أحـتـسـي		ولا أرتـجـي غـيـرَه أُرزقُ
وإنْ زادنـي بُـعْـدُهُـمْ عـلـقـةً		وقـلـبـي لـذكـرِهِـمْ يَـخْـفِـقُ
سـأقـضـي حـيـاتـي عَـلـى بَـابـهـمْ		وأُنـفـقُ فِـي الـحـبّ مَـا أُنـفـقُ
لـعَـلّـي أرى مـلـهـمـي لـلإبـا		فـأحـيـا لَـه وَبِـه الـصِـقُ
ويـبـقـى نـشـيـدي نـشـيـدَ الـوفـا		يـوسّـعُ فِـي الـحـبّ مَـا ضـيـقـوا
وفـي مـعـبـدِ الـحـبّ تـصـفـو الـحـيـاة		عـطـاءٌ ومـن عـذبـهـا فـاسـتـقـوا
وتـلـك ربـوعـي ألّـتـي أبـتـغـي		فـسـيـري حـثـيـثـاً أيـا أيـنـقُ
ولا تـلـبـثـي أن تـذيـلي الـدّمـوعَ		إذا لاحَ ربـعُـهُـمْ الـمـشـرقُ
ويـبـدو لـديـهـمْ شـفـيـعُ الـهَـوى		فـلـي خـافـقٌ مـذنـبٌ مُـرْهَـقُ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م

أحاسيس

مولايَ مَا قلبي سِوَى وترٍ يوقِّعُ فيكَ لحنا
والسائحاتُ الراجياتُ لقربِها مَا الليلُ حنَّا
حَمَلَتْ بِهِ معنًى يَجِلُّ مرامُهُ عن أن يُغنّى
نطقتْ بِهِ خرساءُ جَلَّ سناؤها مبنًى ومعنًى
إكسيرُها سرُّ الوجودِ ورشفُها أحلى وأهنا
أُبدي إليكَ ضراعتي من أن تجفَّ ولم تزدنا
فالجودُ شأنُك سيِّدي كم قد قرُبتَ وقد بعدنا

غنَّيتُ باسمك يا نجيَّ الرُّوح والألحانُ مثنى
هَذا يردِّدُهُ اللسانُ وَذاك بِالقلبِ استجنّا
وأنرتَ رُوحي وَالظلامُ مخيِّمٌ أنَّى اتجهنا
لا تُبقِهَا خيرى الأماني والسُّهادُ لهنَّ خِدْنا
عُقِمَتْ حياةُ المرء إمَّا ازداد في مسراه غبنا
يُمسي ويصبحُ آهةً حرَّى وللآلامِ رَهْنا
عيناهُ تطلبُ فِي الفضاءِ مسيرَها لِتَزيدَ أمْنا

مَـا اسـتـوطـنـتْ نـفـحـاتُ قُـدْسِـكَ وَالـرِّضـا جـوداً وَمَـنّـا
نـفـخـتْ بِـهَـا ذاتُ الـوسـاوس بـوقـهـا نـفـخـاتِ رُعْـنَـا
فَـهـوتْ تَـعَـضُّ انـامـلًا نـدمـاً وتـقـرعُ مِـنْـهُ سِـنّـا
يَـا ضـيـعـةَ الـعـمـرِ الـلـهـيـفِ وَقَـدْ الـمَّ وَمَـا اسـتـكـنّـا
حـفـلتْ بِـهِ دُنْـيـاً يَـزِيـدُ عَـطَـاؤهـا هَـونـاً وَوهْـنَـا
وَأذلَّـتْ دمـعـيَ مِـن مَـخَـافَـةٍ مَـا اسـتـتـبُّ وَمَـا تـسـنّـى
إنْ شِـئْـتَ أشـفَـعْـتَ الـعـطـاء بِـأمـنـه وعـفـوتَ عَـنّـا
وزرعـتَ فِـي يُـمـنِ الـقـضـاءِ بِـخَـاطـرِي رَوْضـاً اغـنّـا
إنْ طَـالَ خـطـويَ فِـي الـمَـسِـيـرِ وَفِـي رِحَـابِـكَ قَـدْ أنَـخْـنَـا
وَنَـشَـرتَ دِيـوَانَ الـقـضـاءِ وَقَـدْ ادنـتَ بِـمَـا اكـتـسـبْـنَـا
حَـاشَـا... تـوبِّـخُ خَـافِـقـاً... وَهُـوَ الـمُـدلـلُ حـيـن كُـنّـا

كـم رافـدٍ غَـدِقٍ جَـلـيـلُ عـطـائِه نـفـلًا وُهِـبـنـا
وجـمـيـلُ عـفـوكِ حـانـيـاً مَـا جـفَّ يَـومـاً مُـذْ طـمـعـنـا
وَإذا تـكـاثـرتِ الـذُّنـوبُ فَـأنـتَ لِلإحـسـان أدنـى

قـلـبـي وأقـواسُ الـهَـوى قَـدْ جُـنَّ وَجْـداً حـيـن حَـنّـا
لَا قـيـسُ لـيـلى فِـي هَـواهُ وَلَا الـمُـلَوَّحُ قـيـسُ لـبـنـى
هَـذا نـشـيـدي يـسـتـجـيـرُ بِـحُـبِّـهِ فَـبِـهِ اجـرنـا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م

يا كافلي

إنّــي ظَـنـنـتُـكَ قـاتِـلـيْ ... يَـا كَـافِـلِـيْ وَمـجـامِـلـيْ
وغـدوتُ أحـلـم بِـالّذِي ... تُـطْـوى عَـلَـيْـه مسـائـلـيْ
وشـدوتُ نـشـوانَ الـهَـوى ... شـدواً بـصـوتِ بـلابـلِ
مـتـنـفّـسـاً بِـشَـذا الـزهـورِ ... طـهـارةً وخـمـائـلِ
وكـتـمـتُ كُـلَّ مـثـيـرةٍ ... خـنـقـاً لـقـالـةِ قـائـلِ
وزرعـتُ لـمـا شِـمْـتُـهـا ... نـهـبـاً بـغـدوة بـاذِلِ
فـضـربـتُ سـتـراً دونـهـا ... وزجـرتُ كُـلَّ مُـسَـائِلِ
وأريـتـنـي مَـا لا أرى ... حَـتّـى مـلـلت حـبـائـلـيْ
فـتـمـزّقـتْ مِـنّـي الـمُـنـى ... وَفـقـدتُ كُـلَّ مُـشَـاكِـلِ
حـيـرانَ أسـتـجـدي الّـتـي ... جَـعَـلَـتْ إلَـيْـكَ وَسَـائِـلـيْ
لا أسـتـريـحُ لـنـائـلٍ ... فـعـلـمـتُ أنّـكَ قـاتـلـيْ
واهـاً عَـلَـى أمـسِ مـضـى ... بِـصـبـابـةِ الـمـتـفـائـلِ
لـم تُـبْـقِ إلّا صـورةً ... فِـيـهـا عَـكَـسْـتُ أوائـلـيْ
ورسـمـتُـهـا بـأنـامـلـي ... وَبِـهَـا عَـقَـلْـتُ رواحـلـيْ
وَلَـقَـدْ مـللتُ شـحـوبـهـا ... فـغـمـرتُـهـا فِـي سـاحـلـيْ

فِيها ترانيمُ الصبا وقَفْتُها بأناملي

واهاً على أمسٍ مضى ما جِئتُ فِيهِ بطائلِ

غيرَ الذي يَبقى على - الأيامِ ليسَ بِزائلِ

وتجمُّعُ الأشباحِ حولي ضَلَّ عنهُ حواصلي

وصحبتُ فِيها زاجراً لِمخادعٍ ومخاتلِ

ومشيتُ مشيةَ واثقٍ بتجمُّلٍ وتفاؤلِ

ارتادُ مسرحَ عاتبٍ كي يستسيغ مناهلي

علّي أردُّ ثمينَها واحطّهُ عن كاهلي

لكن بُليتُ بأحمقٍ طوراً وشمخةِ جاهلِ

يا لائمي كُفَّ الملامةِ فالمَلامُ لعاذلي

قُلْ لي فهل تُبقِي الحياةُ سِوى مَناهلِ عاقلِ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

حَيْرة

تطلُّ اللّيالي وَهِيَ حيرى بِمَا انطوى ... عليه ضحاها كَيفَ تَمَّ لها المجرى

وتبسمُ والأيّامُ صرعى بأهلها ... فتبسمُهُم ثكلى وتبعثُهُم سكرى

وكَيفَ النُّجوم اللامعات تلألأتْ ... لناظرها من كَانَ في سخطها أحرى

وكَيفَ الجبالُ الراسيات تشامخت ... ولم تنقلبْ عهناً وفي افقها تُذرى

وَكَيفَ الأقاحي الزّاهرات تنفّستْ ... بِكُلِّ ابتهاج في مرابعها عطرا

وكيفَ فساحُ الأرض مِنْهُنَّ خضلة ... ولم تغتدي عصفاً وأرجاؤها غبرا

وكيفَ مفاهيم الحياة تعاكست ... ترى الحقّ عاراً مستَخَفّاً به جهرا

ألم ترَ أنَّ النّاس شتى مشارباً ... وأنفعُها من كَانَ يستمطرُ الضرا

وأنّ الّذي لا يحملُ اللُّب راسُهُ ... يسود ويعرى من تقمّصهُ فخرا

وأنّ الّذي قد هزَّ منكبَ جهله ... غروراً لدى الجلّى تملّكها قسرا

وأنّ بناتِ الفكر وهيَ فرائدٌ ... يوجُهُهَا جلفٌ إذا كَانَ قَدْ أثرى

جفوتكِ أياماً تطاولَ عهدُها ... ولم تنثني عن غيّها انملاً عشرا

تجنّبني عن كل ما أبغي قصدَهُ ... بفعلةِ مغبونٍ وطالبةٍ وترا

كأنّ لم يكن ما بين جنبيَّ خافقٌ ... صبورٌ لدى الجُلّى ولم يأتزز وِزْرا

ولم اجتنبْ في صهوة المجدِ خاطراً
يوشي الصحاري القفرَ أرجاءها زهرا

ولـم أذرع حـلـمـاً إذا حـان آزفٌ
يبدّدُ من إرجافه الحلمَ والصبرا

وما خنتُ خلاناً وإنْ كانَ ما احتوى
عليه فؤادي الغر جرّعني المرا

فعاش قسيماً بين يأسٍ ووحشةٍ
من النّاس أقصى الخير لو يملك الشرّا

فقايضني دهري بكلّ مثيرةٍ
ولم يكتفِ هجراً فأتبعها تترا

خَبُثتَ غريماً لم تكن لي جانبا
دؤوبا يريني الحقد وجهُك مُزوَّرًا

لُعِنتَ فلم ترعَ ذماماً لصاحبٍ
يريك الجنى الصافي فتبديه مُغبرًّا

جُهلتَ... توالي من خُبثنَ طويةً
ومن جُبِلُوا طهراً تولّيهم الظهرا

كأنك أعمى ما بصرت حقيقةً
مداك ولم تُؤتَ هداك ولو نزرا

تخبّطْ فلمْ أُسلِم إليكَ طويتي
سأوليكَ هجراً مثلما سمتَني هجرا

أحاولُ أمراً شائكاً ليتني اجرا
لأوسِعَهُ مقتاً فيوسعني زجرا

فإنّي على الحالين ابغي لبانةً
وأنى على الحالين في أمره أدرى

سافلتُ مِنْهُ كُلّما عَلقتُ بِهِ
يداه ولا أبغي لغائله أسرى

وأرجو من الأيّام أن لا تعيرني
بشاشة إنسان وأعينُهُ عبرا

لأزرعَ ما شاءت يدُ الحقّ زرعَهُ
واقبض من كلتا يديّ لَهُ نحرا

فَهذِي لدي اللائحات تكاملت
سواسيةً لم تبدِ في طيِّها عُذرا

وما اكتملت حتّى استبان بِهَا الهُدى
من الغيِّ معصوباً بأنملها غدرا

اقمتُ بِهَا دهري أحلُّ رموزَهَا
وانشر منها ما احيطُ بِهِ خُبْرا

طويتُ ألّتي تُطوَى زماناً وإنني
اعدُّ ألّتي ترجو لأنوارها نشرا

فساجعني مكتومُهَا ليثيرني
لكشف مراميها فأرقمه ذكرى

وأخضعت منها الجامحات وراعني
نفورُ ذويها من لألئها ذُعرا

تـداعـتْ مـبـانـيـهـا وأسـلسَ رُبُّـهـا قيادَ الهَوى المـرويّ وتحسبُهُ بِرًّا
فدمدمَ لـو يدري عليهـا صنيـعهم فأنستهُمْ دُنْيـاً وأنسـاهُمُ الأخرى
تعـاوتْ عـلى الدُّنـيا ولبَّتْ نـداءَهـا فـألـبـسـهـمْ ذُلًّا وزادهُـمُ فـقـرا
لـهـا الـويـل لـو تـدري عـواقب غيِّـهـا لأرسَلَتِ الآهـاتِ مـن بؤسـها تترى
أناديكُم ــ يَا ليت في الحي سامعٌ ــ بـأنَّ عـطـاء اللّه أبـقـى لـكـم ذُخرا
تُذِلُّ بنيهَا وهـيَ كـالحـةُ الـمُـنـى وتـمـزجُ حـوبـاً مـا تـجـوِّده دُرًّا
فـعـوداً بـنـي قومي إلى سُبل الهُدى وشـرعِ رسـولٍ جـاء بـالآيةِ الكبرى
فَـفِـيـهِ تـعـالـيـنـا عـلى كُلِّ شـامـخٍ وأسـلمَ ربـانُ الـسـفـيـن لـنـا الأمرا
وأرْفَـدَتِ الأيّـامُ عـدلًا وحـكـمـة وانـشـأنَ لِلأخـلاق أكـمـلـهـا سفرا

فـفـي فـي مـهبِّ العاصفاتِ وأعلني بـأنّـكِ أعـلـى مـن زعـازعـهـم قَـدْرا
وأنّـكِ إمَّـا قـادك الـحـق فُـقْـتـمُ علوّاً على الغبراء بل فقتم الشِّعرى
وأنّـكِ إمّـا قـادكِ الـحـقُّ لا تـزِنْ زعـانـفَ أقـوام تـمـرد بـالـمـسرى
أذاقـوكُـم خـزيـاً فـيّـا ويـل هـالـكٍ بـأن يـمـلأ الـدُّنـيـا بـآهـاتـه الحرّى
أذاقـوكُـم خـزيـاً وجـلّ رجـائـكـمْ بـأن تُـسْـمِـعَ الآفـاقَ آهـاتِـهَـا الحرّى
نكوصاً على الأعقاب من زحفةِ الردى وحمرُ المنايا من هزيمتكم أحرى
فَـهـذِي فـلـسطـينُ تَـئِـنُّ جـراحُـهَـا وتـرصـد فـي أطـلالـهـا القتلَ والأسرى
وأنـتُـم عـلـى مَـا أنـتُـم مـن تـفـرُّقٍ واحـزابـكُـم شـتـى وافـكـاركـم أزرى
فـلا خـيـرَ فـي عـيـشٍ يـسـرُّ عـدوَّكُـمْ فموتوا أُباةَ الضيم أو فادركوا الوِتْرا
فَـهَـذا نِـدَائـي يَـسْـتَـحِـثُّ أُبـاتَـكُـمْ بـأن يـعـزمـوا أمـراً يـكـون لـهـم ذُخراً

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

يا أخا النجده

يا أخا النجدهِ هل يُحييكَ لحنٌ — من فؤادٍ لعلى الثار يحنُّ
يُغمِضُ الطرفَ على أحقادِهِ — بِسوى السيفِ على الهامِ يضنُّ
بين جنبيه خفوقٌ صارخٌ — بأُناسٍ وَبها ضعفٌ وجبنُ
ابداً ينفثُ من الامه — حِمماً تأبى عليهِ لا تكنُّ
فاسلكوا الدربَ كما آباؤكم — لا يَجِنْ فيكمْ لدى الهيجاءِ ظنٌّ
كم طريقٍ عبَّدوه لاجبٍ — ومبادٍ لِلعُلى خطّوا وسنُّوا
إنّما جادت بهِ احلامُهُم — فصداه ابدَ الدَّهرِ يَرِنُّ
ارخصوا النَّفسَ فعزّت مطلباً — ورأوا الحَقَّ مِجَنّاً فاستجنُّوا
عربدَ البغيُ زماناً فانتضوا — صارماً شادَ العُلى أنّى تبنُّوا
فاسألوا قيصرَ في أجنادهِ — ثمَّ كِسرى كَيفَ بادت وَهيَ حِصْنُ
وَحّدتهُم قُوَّةٌ في مبدإٍ — لم يفرِّقهُم عن الأعداءِ ضِغْنُ
لا تضقْ فيكُم احابيلُ العِدَى — إنّما الهيجاءُ إعدادٌ وفنُّ
فاغسلوا العارَ لكي لا تصبحوا — سُبَّةَ الدَّهرِ بغاراتٍ تُشَنُّ
وخذوا من ذاتِكُم إعدادكم — فعطاءُ الغيرِ نزرٌ يُستَمَنُّ
جعلَ اللهُ لكم في ارضكم — مديةَ الثارِ بها الأرواحُ رهنُ

فاحلبوا شطريْ ثراءٍ واخاً ... يستتبُّ النصرُ لا يعروه وهنُ
واعلموا ليس لكمْ من أمركُمْ ... غيرَ زحفٍ صبغُهُ حقدٌ ودجنُ
غير زحفٍ يملأ الميدانَ من ... هامة تهوي وأيمانٍ تُطَنُّ
واسبقوا الأجساد في إزهاقها ... فإذا الساحُ من الأعداء غَفْنُ
فدمُ الأحرار إنْ لم تَرْوِه ... بالسخاء المرُّ لا يرويه دَنُّ
وإذا أنَّتْ جراحٌ منكُمُ ... فمِنَ الأعداء أضعافٌ تَئِنُّ
إنَّ من لم يُدْمِهِ شوكُ السُّرى ... فِي سُراه فاته الروض الأغنُّ

إيهِ صهيون إذا لم ترعوِ ... لا غفا مِنْكَ على النُّعماءِ جفنُ
إنْ تناسى أصلُنا أحقادَكُمْ ... سوف لا يَنْسى مدى الأيام إبنُ
أو عرتنا غفوةٌ من نعمةٍ ... حشوُها خيرٌ وإنصافٌ ومَنُّ
فاستطرتم شُغَلاً من غيِّكُمْ ... أغمدَ الحقُّ بِكُم روحاً تُجَنُّ
فتربيتم على نعمائه ... ولَكَمْ جاد بِمَا أنتُم تضنُّوا
بأسنا كانَ سبيلاً لِلْهدى ... فعَلى مَ أنتُم البغي تسنُّوا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

أمّ صاحب

تقف قبالتي تنعىٰ الشباب . . . وتنفث الحسرات . . . فهدأتها قائلاً:

لا . . . لا تقولي بأنّ الشبابَ ... تُسارِعُ فيهِ خيولُ الدُّجى
فَلَيسَ الشَّبابُ كَمَا تَحسَبِينَ ... خيالٌ غَرير وضعفُ حجى
وَلا نَغَمٌ يَسرق العَابِثِينَ ... وتصبو قليلًا وترجو النجا
وَيحيي الحَداثةَ فِي ضعفه ... فطوراً مديحاً وطوراً هِجا
يَملُّ النُّهارُ لأشجانِهِ ... ويدعو الصباحَ إذا اللَّيل جَا
فلم يُحيي لِلحب فِي يَوْمه ... ولم يحفل اللَّيل فيما رجا
وَلَيسَ لَهُ مثلٌ يحتذى ... ولم يَكُ فِي عُمرِه مُنهِجا
فَعِزُّ الشَّباب بِأن يبتني ... سنيناً تُمَجِّدُ مَا وَيُجا
وَمَا ضَرُّهُ أن تمرَّ السنينُ ... طِوالًا وَلَمْ يَخبُ مَا أجَّجا
ويمنحُ للحبِ مَا يرتضي ... بِلا سامِ مُضْبِحاً مُزلجا
أقامَ الشَّبابُ عَلى راحتيه ... منيعاً تعزَّزَ أن يحرجا
أقامَ عَلَى مسرحِ المغرمينَ ... مقاماً تطاول أن يَعْرُجا

فيا أمّ صاحبَ لا تعجبي ... لكهلٍ تصبَّبَ مستبهجا

لكهلٍ تصبّب في الأربعين — وبالحبِّ أيامُه توّجا
يَرى الحبَّ قُطباً مدارَ الحياة — بآداب ذي عفةٍ سُيِّجا
فلولا مصابيحُ أنواره — تفرّقَ في الكونِ ما ادمجا
بِهِ قَامَ كُلُّ زهيِّ العطاء — وَلا غيرُ ذاكَ لَهُ أحوجا
وَلَيسَ كَمَا ظَنَّهُ الضائِقونَ — بِسلاحِ ضعيفٍ وغدرُ حجى
أَلَيسَ بِهِ زهوُ هَذا الوُجود — وَلولا التآلفُ مَا أسرجا

جهلنا معانيه... كُنّا صغاراً — حيارى... فلا نهتدي مخرجا
فغنّيه لا تأسفي للسنين — فصوت الحنان لَهُ أثبجا
فصوتُ الحنان ربيعُ الشبابِ — ومَا دام لا ترهبي منهجا
فغنّيه هَذا الصباح الجميل — يغنّيه فِي لَيلِهِ مَا سجا
واهدتْ إليهِ نُجيماتُه — تلألؤهَا حينما عرّجا
تُراقِصُ وسطَ الحقولِ الزهورَ — وتبسمُ فيمَا بِهِ أرْجا
كَأنّ لَهُ مِن حكَايا السنين — فصولاً تشعّبَ فِيهِ الرجا
فغنّيه هَذا الزّمانُ الرهيبُ — فَقَدْ أحرجته بَنَاتُ الدُّجى

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

حوارٌ بين الطين والروح

نشطتْ روحي إلى معدنِهَا ... ليباري الشوطُ فيها الأسبقا
اسحرتْ بين رعيلٍ مفزعٍ ... ليلُها الداجي عليها أطبقا
نفضتْ أردانها واستوهبت ... من بقايا الأرضِ ما قد علقا
رفضتْهُ وهي أدرى بالّذي ... سوفَ ينجيها إذا حانَ اللقا
ليس يغلو البذلُ مهما عظمتْ ... في معانيها على من عشِقَا

ليلتي فلتخبري كيف سطا ... وهجُ الرُّوح فشقَّ الفلقا
اختصر المسرى إلى مبدئه ... ودنا الشوقُ به فاحترقا
احتلبتْ ضرعين في موقفها ... عرض الأدنى وضرعاً للتُّقى
وإذا من بين هاتيك أرى ... شغباً دام على سوح النقا
حكمةُ المبدع في إرهاقها ... وبه روضُ الأماني أورقا
انتظمَ الكونُ بِهِ أن تعلمي ... يا صِراعاً جَدَّ فِيهِ المُرتَقَى
لو بلغتِ الشأوَ مِمَّا تبتغي ... وانعتقتِ الحسنُ مِنْكِ انعتقا
فاخلدي للأرضِ ما دام القضا ... صمَّمَ الخلدَ على ساح البَقَا
بَشَرٌ نحنُ سُقِينا كأسه ... واستسغناه مليئاً رَهَقَا

فعلى مَ تجزعي من رشفِهِ   ولهُ الكونُ اضطراراً خُلِقا
فاسبريها منذُ كانتْ عيثرا   ذأتُكِ العليا وتمّتْ علقا
وتطامنتِ اختياراً للثرى   وارتضيتيه اضطراراً نُفُقا
وإذا البحر على شاطئه   زبدٌ يسخر مِمَّنْ غرقا
ونصبتِ شَرَكاً في معبرٍ   ثابتِ الأقدامِ فيهِ زلقا
وأتخذتِ مسكناً أبداننا   فلِمَا مِنْهُ استطرتي فَرَقا
فانصفينا يا ابنةَ النُّورِ فمن   جعلَ الطينَ ظلاماً مشرقا
فأجابتني على عليائها   إنَّ من رام مُحالاً أخفقا
ليسَ كُلُّ الزهر يعطيك الشذا   لا ولا كل خَضِيلٍ بَسَقا
إن زكى الروضُ فمن تربتِهِ   وشذا الأزهار منه عبقا

فاسألِ الأجيال كم مِنْ موكبٍ   لفَّها الموجُ ولم تُغنِ الرقى
والتفتْ ماذا ترى من بَعْدِها   غيرَ خَلفٍ صَدَّعتْ ما استوسقا
فاسلك الدربَ ولا ترضى سِوى   منهجِ الحقِّ ففي ذاكَ البقا
إنَّ من عاش على أرضٍ بِهَا   غربةُ النَّفس تولّاه الشقا
صارَعَ الموجَ وقد صارعَهُ   روحه الزاري فعاش القلقا
فخذِ القسطَ نقيضيكَ فقد   جُعِلَ الخيرُ بهِ منطلقا
من يحابي جانباً عن جانبٍ   يتبدّى الشرُّ فيهِ مُطْبِقا
لا تقلْ طينك أعماك فكم   روحك الزاكي بِهِ قَدْ حلّقا
إن نفضتَ الغيَّ طوعاً بيد   عنه لا تبغي سِوَاه مَرْفقا
هو معنًى لو تأمّلْتَ بِهِ   الجوهرُ الفردُ بِهِ قَدْ حُقّقا
إيهِ لو قمت على ترويضِهِ   لوجدتَ النُّورَ مِنْهُ انبثقا

عشتَ فيهِ عابثاً لمّا غدا	لكَ طوعاً فعلُ من قدْ حنقا
وصَنَعتَ الشرَّ في طيّاتِه	وتعالتَ بِمَن قدْ خلقا
بئسَ ألحاناً بهِ وقّعتَها	يا ظلوماً جارَ فيما رزقا
استلهِمِ الطينَ بمن أنطقَهُ	هل تُراه فاتحاً ما أُغلِقا
كرمُ المبدعِ أن أطلقه	من قيودٍ كُنتَ فيها مُوثَقا
إنَّ من يرسفُ في أثقالِهِ	لا تُراهُ مبدعاً ما اتّسقا
إنّما تجري على القصدِ بما	أبدعَ المبدعُ فيكَ المَنطِقا
فتعالى اللهُ في قدرتِهِ	نفخَ الطينَ شعاعاً مشرقا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م



انعكاسات نفس

مـا أحـلى سـاعـةَ الـقـاكـا ... ونـزولُ الـركـبِ بـمـغـنـاكـا
فـيـلبّـي الـقـلبَ دموعُ الـصـبِّ ... يـنـيـرُ الـدربَ فـيـلقـاكـا

قـسـمـاً بِـالـحُـبِّ وَمَـا أبـدى ... قَـدْ ذابَ الـقـلبُ بـكـمْ وَجْـدا
وقـطـعـتُ الـعـمـرَ لـكـي أُهـدى ... قـولًا يـحـكـي مَـا يـهـواكـا
يَـا مـن قَـدْ أبـدى لِي أمـلي ... بـمـسـيـلِ الـدمـعِ مـن الـمـقـلِ
ويـزيـدُ الـعـطـفَ ولـم أَسَـلِ ... لُبّ قـلـبـي قَـدْ نـاداكـا

سـبـحـاتُ الـرُّوحِ لَهـا نـغـمُ ... ومـطـاوي الـقـربِ بِـهَـا نـعـمُ
والـبـعـدُ بـقـربـكِ مـنـعـدمُ ... وَالـكُـلُّ بـسـاحِـكَ نـاداكـا

أخـتـلسُ الـوحـدةَ كـي أفـنـى ... بـجـمـالِ جـلالك مَـا أهـنـا
أن يـفـنـى الـمـرءُ بِـمَـا جـنَّـا ... ويـديـمُ الـنـشـوةَ لـقـيـاكـا
فـتـغـنـي الـرُّوحُ لـمـعـدنـه ... ويـقـومُ الـقـلبُ بـمـأمـنـه
ويـتـمُّ الـخُـلدُ بـأحـسـنـه ... هَـذا قـلـبـي قَـدْ أنـبـاكـا

فالحُبُّ بدمعيَ أنشدُهُ … فعسى يرضاه سيّدُه
وحذارني إليه تودّدُه … هل يذبلُ روضي حاشاكا
قدْ خان لِقلبيَ موعدُهُ … ولهيبُ غرامي يُوقدُه
وشهودُ هواي تنهُّدُهُ … فعساه بِنزلك أرضاكا

كم هاجَ الشوقُ وناجاني … وسكبتُ الروحَ بألحاني
صوّرتُ الحُبَّ بأشجاني … وبِهِ أجللتُ سجاياكا
لكنّي أجهلُ مَا أبني … هل يبعد عنكَ أم يدني
والجاني باسمك والمَجني … قدْ حدّث عنهُ رئاكا

اقسمتُ بحبّك والنجوى … قد كانَ بقربكَ لِي سلوى
عن خُدَعِ النفس ومَا تهوى … فلمّا ضيّعتُ عطاياكا

احتبسُ الزفرةَ فِي نفسي … واخافُ النفس على حِسّي
فيرينُ الرجسُ على قُدسي … ويكون المرتعُ منهاكا
قَدْ طالَ الشوطُ على الشاطي … والمعطيُّ الشرُّ هُوَ العاطي
والمبدي الخَيرَ هُوَ الخاطي … والحسُّ تبلّدَ مِن ذاكا

كم تشكو النفسُ من الآسي … رفقاً يا مالكَ إحساسي
لا فرقَ المُهرقُ والحاسي … كاسي صوّحَ فِي يُمناكا
هيمانُ الحب يفنّدُه … ممسوخ الحسّ وفاقدُه
والحظُّ بساحك أيّدُه … مَا كانَ ليفصح لولاكا
قدْ رنّقَ ذلكَ موردُه … واليم بعادك سهّدَه

ورفضتُ الكُلَّ لأعبدَهُ ويجدّدَ قلبيَ ذِكراكا
والجودُ بجدكَ جدَّدَهُ والخيرُ بلطفِكَ ارفدَهُ
أنْ شدَّ الفعلَ وأبعده هل يُرتجى فيهِ إلاكا

قسماً بالحُبِّ ومن يحكوا وبنارِ الحُبِّ إذا تزكو
مَا زاغَ القلبُ وإنْ يشكو فدلالُ الحُبِّ بِهِ ذاكا
غنَّيتُ بحبِّكَ كي أحظى بفناءِ فؤادي أو ترضى
والعفوَ العفوَ بِمَا أفضى قولي فيهِ... مَا يأباكا

حيرانُ القولِ بإنشادي مسحورُ الخطوِ بإيرادي
صوَّرتُ الحبَّ بإعدادي أن تبقى الحظوةُ مراكا
أحدثتُ بِنزلكَ لي ذِكرى أوجبتُ بِنزلكَ بي شكرا
أقسمتُ عَليكَ بِمَن أسرى وجعلتُ الرَّحمةَ مسراكا
وبخَيرِ الآلِ وبالصحبِ والباسِ الكاشِفِ لِلكَربِ
وَالعِلمِ الفذِّ بِلَا كسبِ وَاللُّبِّ النَّاشرِ تقواكا
وبنيهِ الغرِّ ومَن نُصِبُوا لِدَوامِ الحَقِّ وإنْ حُجِبُوا
وَبِذاكَ الرهب إذا انتصبوا لفؤادِ العارفِ تخشاكا
أن تُبقي القلب بحظوتهِ لَا يشقى الحب بزلّتِهِ
وينال القرب بعبرتِهِ وتتمُّ النشوةُ رُحماكا

فَالنَّارُ بِقَلبيَ أوقدها وجنوحُ هوايَ يُصعِّدُها
والزيغُ بقربكَ يُخمِدُها كم وَسِعَ اللطفُ وينساكا
مـا آن لِقَلبي أن يصحو ولكَم أبديتَ لَنَا نُصحا

بـالـفـعـلِ الـزاجـرِ والـفـصـحـى
وبِـهَـا جـشـمـتَ ضـحـايـاكـا

قـد زاد الـنَّـاس بِـهَـا زَلَقـا
وبـفـيـضِ هـبـاتِـك قَـدْ غـرقـا

والـحُـبُّ لِغَـيْـرِكَ مَـا خُـلِقَـا
فـلـمـا لـوَّنـتَ عـطـايـاكـا

قـد أعـطـى الـكُـلَّ وقـد أمـهـل
مـن خـافَ الـفـوتَ لِذا يـعـجـل

فـالـويـلُ الـويـلُ لِمَـنْ يـغـفـل
عَـمَّـا تُـخْـفِـيـهِ نـوايـاكـا

أوضـحـتَ الـدربَ وقـد جـنـحـوا
لـلـخـزي الـدائـمِ مَـا ربـحـوا

بـالـلـهـو الـفـاضـحِ قـد فَـرِحُـوا
وتـمـادى الـكـفـرُ بـسـيـمـاكـا

جـهَّـزتَ الـعـقـلَ بِـمَـا اخـتـزلـوا
وبِـغَـيْـرِ رحـابـك قـد نـزلـوا

بِـالـشـرِّ الـقـاتـلِ إن قـفـلـوا
بـعـطـاءِ الـعـقـلِ ومـا حـاكـا

آمـنـتُ بـحـكـمـةِ مَـن أهـوى
وجـمـالِ الـكـونِ وإنْ أغـوى

لـكِـنِّـي آمـلُ أن يـقـوى
إدراكُ الـفـكـرِ لـمـغـزاكـا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

صورة طبق الأصل

احبسْ الدمعَ فتنهالُ غِزارا　　من زمانٍ أهلُه فيهِ سُكَارى
نبذَ الخُلقَ ومن حبَّذَه　　وامتطوا الخزيَ سِراراً وجهارى
جيلُنا جيلُ انفلاتٍ لا ترى　　ميزةً بينَ ذكورٍ وعذارى
أسدلَ الشَّعرَ على منكبه　　أنهدَ الصدرَ وثدياً مستعارا
وسموا فوضاهُمُ حريةً　　ومن الجهلِ انفلاتاً وانتصارا
والصبايا انعتقت من حشمةٍ　　باسمه ترسم للجيل العثارا
جسَّمَتْ أخفى خفاياها بِهِ　　دونما جهدٍ إذا زرَّتْ زرارا
وتعدَّت طورَها واتخذت　　مسلكَ السوءِ دِثاراً وشِعارا
فلندعْها إنها حريةٌ　　أصبحَ العريُ بلا عيبٍ فِخَارا
ولندعْ ما لم يجزْ تصويرُهُ　　في حنايا السرِّ ولْنُسدلْ ستارا

اخبروني... هذه حرية　　أم تُراها فتنةٌ تخفي الدمارا
فتعالى اللُه ما أحلمه　　كمْ وَسِعتْ الجيلَ عفواً واصطبارا
كُلَّما زادوا شذوذاً زدتَهُم　　نِعَماً تأبى عن العدِّ انحصارا
وإذا داعي الهوى أنذرَهُم　　عقبَ مسراهم يولُّون فِرارا

فاعملوا ما شئتمُ إنَّ لكمْ ... ضيعةَ الدُّنيا وعاراً ثمَّ نارا
هذِهِ عقبا بكم في مهلةٍ ... هل تنيبون إلى اللّه اختيارا
وخذوا من دينكم ما لا يبارى ... سنناً سُنَّتْ إلى النَّاس منارا
وانظروا أسلافكُمْ كَيفَ تباروا ... لبناءِ المجد ليلًا ونهارا
حيثُ كانَ الذينَ نبراساً لهمْ ... خلَّد المجد وأرسوه انتصارا
بئس خلف أنتم ضيعتُمُ ... مبدأ اللّه على الأرضِ أنارا
ورضيتم أن تكونوا تُبَّعاً ... هل أصبتُمْ مِنْهُمُ إلّا خسارا
إنَّ في الغرب الَّذي استغواكم ... دمدماتٌ تنذر الغربَ بوارا
أنَّ شعارٌ مشهُمْ فاستكلبوا ... كيف نختار على علم شُعارا
ولنقلها وَهيَ من أهدافهم ... قد جنينا الخزي منهم والصغارا

كيف لا نحيي حضاراتٍ لنا ... وهي قد فاقتْ على الدُّنيا اعتبارا
فلتفق أجيالُنا من سَكْرَةٍ ... قبل يَوْمٍ يجعلُ الأرضَ دمارا
ليقيمَ الجيلُ في محرابه ... سنةً تمخر للعلم البحارا
ولنربي الجيلَ في حشمته ... ويدير الحق فيه كيف دارا
نحن بالأخلاق قد حِزْنا الضمارَ ... وجنى الأخلاق أزكاها ثمارا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

المُحرِقَة

أَغْمِضِ الطرفَ فالشئونُ ورائي ... تروي احداثَها على استحياءِ
فالقليلُ القليلُ منه كفيلٌ ... ان يُريَك الأُلى بِكُلّ جلاءِ
كيفَ قامتْ على الضلالة تبني ... هيكلًا أُسُّهُ على البغضاءِ
للبتولِ الطهورِ ويحَ أُناسٍ ... اغضبوا اللّه فِي أذى الزَّهراءِ
وهي معنًى قد عبَّر اللّه عَنْهُ ... بانبثاقِ الهُدى من الأمناءِ
هي معنًى فوقَ ما يُدرك الفكـ ... ـر سُمُواً وشمسُ كُلِّ سماءِ
هي تسبيحةٌ مِنَ اللّه فِي الأر ... ض أنارتْ حنادِسَ الظلماءِ
هي قدسُ النَّبيِّ أُمُّ أبيها ... دفقةُ النُّور بين طينٍ وماءِ
هي حبُّ النَّبيِّ رجع صداه ... فاطمٌ بضعتي ولاها ولائي
هي من حاطتْ النَّبيَّ بعطفٍ ... فاقَ عطفَ الأبناءِ للآباءِ
وهي من حاطها النَّبيُّ بعطفٍ ... فاقَ عطفَ الآباءِ للأبناءِ
وهي من خصَّها اللّه ارتفاعاً عن الأ ... رضِ برمزِ الأملاكِ في الغبراءِ
زفَّها نحوَهُ بموكبِ قدسٍ ... بَزَّ شأواً فصاحةَ البلغاءِ
وهي من أنزلَ المهيمنُ فيها ... آيةَ الطُّهر في أتمّ اداءِ
وهي سيفُ الإله بَاهَلَ فِيهِ ... احمدُ الشِّركَ حاسراً في العراءِ

وهي أمُّ الكِساءِ ضمَّ سناه ... خيرَ كُلِّ الورى بِلا استثناءِ
هذه فاطمٌ وبعضُ علاها ... فأسألوها عن فاضحِ الأنباءِ
طلبتْ إرثها كما أمرَ اللّهُ ... فرُدَّتْ بفريةِ الأدعياءِ
أتراها والطُّهرُ كُلُّ معانيها ... افتراءً تفوه بالحوباءِ
ألفُ حاشا أن تفتري ابنةُ طهَ ... فهيَ أدرى بشرعةِ الأنبياءِ

خسِئتْ أُمَّةٌ تآمرَ فيها ... فئةٌ أُسستْ على البغضاءِ
يا لعار الأحداث صغرى ... مراميها انتقاص الشَّريعة السمحاءِ
قسماً بالنَّبيِّ لولا اختشائي ... من ضياعِ الحقيقةِ الغرّاءِ
لطويتُ الحديث عن أيِّ فضلٍ ... سجّلته صحائف الأعداءِ
حار فكرُ اللبيب واختلط الرأي ... بأيِّ الأمور كانَ ابتدائي
حين قام الرَّسول في بيعةِ الدّار ... بأمر الإله في الأقرباءِ
صادحاً يا سراةَ قومي استفيقوا ... جئتُكم بالهدى بغَير التواءِ

(لم تكتمل)

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

همسات متعبة

تمرَّدَ جرحٌ في فؤادي كتمتُهُ
وأغليتُهُ حتّى استقر مُخبَّبَا

عُزوفاً عن الآهاتِ في زحمةِ الدُّجى
وما شدَّ أزراً مُذ أقام ليعذُبَا

تلفَّعَ في بُردِ الشبابِ وليتَهُ
قنوعاً بِمَا جادت يداي تجنُّبا

ولم يهدمِ الباقي لأحفظ سرَّهُ
وأُخفِيه عمَّنْ قَدْ حببتُ تقرُّبا

امن حقِّهِ أنّي أعيش تألماً
ومن حقِّه أن يستجنَّ وأطرَبا

كفى أيُّها العاتي بجذوة نارِه
الا ترتضي أنّي أعيشُ معذَّبا

حبوتُكَ ودّي كي تزيدَ فظاظةً
وجاملتُ فِيكَ الأرعنَ المتعتبا

غمستُك في طهري على غير عدَّةٍ
وغالبتُ فِيكَ المضنيات من الصبا

وقمتُ على حالين عقلِ فتوّتي
ونقضِ جروحي فِيهِ كهلًا وأشيبا

ولم تَنْفَلِتْ يَوماً يداي لتحتسي
كؤوساً من اللّذّات قَدْ طِبْنَ مشربا

وأمهرتُهُ نَفْسِي احتفاظاً على العُلى
وقُلتُ احتفاءً فِيهِ أهلًا ومرحبا

واوهمتُه أنّي شغوفٌ بوِدِّه
ومرَّ جناه ما ألذَّ وأطيبا

وقَدْ كُنتُ اقوى أن أقوم ببرئِهِ
بحملِ سِوَاه لَوْ ملكتُ المغيَّبا

فَيَا أملًا حلواً تناغم شارداً
وسمفونةً تُبقِي الأمانيَ سُغَّبا

جميلًا إذا لمّت حواشيك آهتي ... وأخفيتها كي لا تُسيغ وتغربا
ولم تُبقِها سُلواً على شفَةِ الدُّجى ... تردّد بلواها ممزّقة إربا
حضنتُك والدُّنيا تُشيحُ قساوةً ... وجاوزت فِيهِ المرجفات مهذبا

فَيا املًا أملَى عليَّ واطنبا ... واسلَمَني لما تعاليتُ مطلبا
سابني على جرحي حواجز آهتي ... ولم أُبقِ فِيهَا للتهامسِ مسربا
وامتار من بقيا عزيزٍ هجرتُه ... وادفع عَنْهُ جامحاً متعضّبا
وأُوليه همّي مُعرضاً عن شحويه ... بعينِ جهول فهو ابلغُ ماربا
عساني به ارضى الّذي دامَ زارعاً ... بروضيَ عبْاقاً وابقيه مُعْشِبا
رميتُ بِهِ عشواء مرجعةَ السرى ... وواصلتُ فِيهِ العزفَ شرقاً ومغربا
فاسفرَ عن صبح تنفّس فاضحاً ... سبيلَ الّذي لاكَ الحقيقةَ مكسبا
فقامَ على وهنين يحطب ليله ... فاخلد مغروراً وعاش مذبذبا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

سمفونة

مُضْنَاكَ قَدْ سَهِرَتْ جُفُونُه وهَواكَ قَدْ طَالَتْ سِنُونُهْ
ولَهانَ يضنيه الهَوى والدمعُ يُنضده حنينُهْ
«يرعى الكواكبَ لم ينَمْ» ويحَ المولَّهِ من يعينُهْ
مترقباً مِنْكَ الوصالَ فهل تُخيِّبُ بِهِ ظنونُهْ
يا ويحَ قلبي هل يغادر آسري وَبِهِ جنونُهْ
إنْ ماطلتْ مِنْكَ الظُّنُونُ شهودُهُ فِيهِ أنينُهْ
صَدَقَ المحبُّ إذا أطَالَ المَطْلَ لَمْ ينضبْ مَعِينُهْ
عجباً لداجي شعرِه كَيفَ استضاءَ بِهِ جبينُهْ
فِي وجنتيه تراقصتْ «سمفونةٌ» فذوتْ جفونُهْ
مَلكَ القلوب بلحظه وتعددت فِيهِ فنونُهْ
وعلى الشفاه تَبَسُّمٌ حيران من فِيهِ يُدِيْنُهْ
طيفُ الجمالِ معينُهُ عذبٌ وإن غربتْ شؤونُهْ
وتزاحُمُ النهدين في صرحٍ تهلَّلَ ما يصونُهْ
فاقصدْ فما شيءٍ بِهِ إلا يباهله قرينُهْ
فالحرفُ اعجزُ أن يحطَّ بوصفه وَبِهِ يهينُهْ

يَا حامِلاً سرَّ الجمال ... دلالُهُ فِيهِ يزينُهْ

يا حلوُ لا تقسُ على قلبي ... فقد جُنَّتْ شجونُهْ

آهٍ إذا فضح الفؤاد ... وقد بدا منه كمينُهْ

متحفِّظاً فِيهِ الأسى ... مِمَّا يَبُوءُ بِهِ سجينُهْ

حيران من بَلَهِ الشفيقِ ... ونكرِ ما فعلتْ يمينُهْ

لا الزفرةُ الحمراءُ تثنيه ... وإن سهرت عيونُهْ

عوداً وإنْ شاخ النداءُ ... ربيعُ قلبي حانَ حينُهْ

أنا ذلكَ الطُّهرُ الذي ... عشق الوفاء فلا يخونُهْ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م



غضب

وَيحَ حظّي مِمَّنْ أطال احتباسَهْ ... بينِ قومٍ قَدْ ضيَّقوا أنفاسَهْ

عافهُمْ دهرهُمْ فصوَّر منهُمْ ... شكلَ عرجونةٍ تَمَلُّ مساسَهْ

عَتِبَ الدُهرُ أن يكونوا مع الأ ... يّام أصحابَهُ وجُلّاسَهْ

ليس يأتونَ ما يلذُّ حديثاً ... غير هذرٍ قد لوَّنوا أجناسَهْ

تَعِبَ القلبُ حين ينظر منهُمْ ... شاحباً هدَّمَ المُنى وأساسَهْ

من صفى حالُهُ من النَّاس يأبى ... أن يُريك الحياةَ إلّا خساسَهْ

همُّهُ اللهوُ والمجونُ وأزرى ... أن يرى الحقُّ في ارتكاب الدناسَهْ

ملؤه الحقدُ والخيانةُ والكِبرُ ... والبذاءات تصطفي حُرَّاسَهْ

إن مخضتُ الحديثَ في أيِّ شيءٍ ... يندب الحظَّ معلناً إفلاسَهْ

ويهزُّ الأعطاف إن أسفر الجهل ... ليُبدي حقيقةً نبراسَهْ

ما تَوارى آناً عن الخزي إلّا ... هيَّجَ الحقدُ والخنى وسواسَهْ

يا لَقَومي فزعتُ من منطق البُهمِ ... فمن يا تُرى يطيق مِراسَهْ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

يا حبيباً

يا حبيباً هاجهُ الشوقُ وقدْ حمّ المسيرْ
أسبلَ الدمعَ وحيّاني بدمعٍ مستطِيرْ
خلتُهُ درّاً تلالا فوقَ أرضٍ من عبيرْ
هيّج الوردَ وأذكاه على خدّيْ غريرْ
قُلتُ هل يرضى حبيبي عِنْدَهُ القلبُ أسيرْ

اغتصب البسمةَ فِي فيه وفي القلب زفيرْ
قال حسبي مِنكَ ذكرى إنْ طغى الوَجْدُ المريرْ
سوف لا أجهلُ دربي قسوةُ الوَجْدِ تُنيرْ
سوف أهدي الطُّهرَ فِي قلبِي إلى قلبٍ طهورْ
وخفايا الرجس في نفسي ستطويها الثغورْ

هجعَ الدربُ على أحلامه طَالَ المسيرْ
حنَّتِ الآهاتُ في صدري وكم أُخْفِي أمورْ
وانحنت تصهرُ لديها على غيرِ شعورْ

إيهِ حواءُ فيمَا نقمةُ الفكرِ الغيورْ
هتكتِ أثمنَ ما تحويهِ ربّاتُ الخدورْ

جبل عامل ـ خربة سلم ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣م



يا غريباً

يا غريباً عاشَ للغربةِ عقلاً وفؤادا
أحكَمتْ محنتُك الكبرى فما أعددتَ زادا
سهراً تستلهمُ الحبَّ لتحياهُ ارتيادا
كُلّما زاد اقترابا زادهُ الحقُّ ابتعادا
ما لعينيَّ وقد أُرْقتا تهوى السُّهادا
ألأنّي لستُ أهوى خُلُقَ الأوغادِ زادا
حبّذا لو أنصفَ القلبُ إذا القلبُ تمادى
لا أراه يملِكُ الحسَّ كما الظلم أرادا
عشتُ والنَّاسُ سواءٌ وتباينًا مُرادا
واستمرَّ الشوطُ مغموراً على زَغْميَ عنادا

غنِّني يا نايُ فالألحا نُ منّي وفُؤادا
فعلى مَ تزدريني الآلامُ فيمن قد أجادا
عبثُ النَّاس وإن أر دى تجوُّدهُ اعتقادا
وهَذيانُ محتالاتِ نشيداً مُستعادا

كم تُرى تلهِبُ افكاري … لتذريها رمادا

هَكذا أمسُكَ كاليَوْمِ … تغلّفُهُ فسادا

يا غريباً بِكَ ميَّزتَ … الخلقَ بياضاً وسوادا

كُنْتَ محرقةَ الكُلِّ … فماذا قد أفادا

فاصطبِغ كأسك … واترعه وإنْ ظلمٌ تنادى

حلمُكَ الأبيضُ لا يرضى … سِوَى الخلد مهادا

واضرِبِ الأمثالَ أقصاها … وخُذْ هُوداً وعادا

هل تُرى دون عنادٍ … ظهر الحقُّ وسادا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

نفثة

آمالُنا الصِّيدُ تأتينا مزقَّلَةً بالمزرياتِ فيلوي جيدهُ الأَنِفُ
لا يَعذبُ الكأسُ إن جادَ النديمُ بِهِ وقد تعاطاه مرذولٌ ومنحرِفُ
سيماءُ مَجدِكَ أن لا تنحني هَلَعاً للمغرياتِ إذا لم يَسْلَمِ الشرَفُ
وللحقيقةِ أصداءٌ يردِّدها عقلُ الحصيفِ على أرجائها يقفُ
وللحياةِ جمالٌ لا يؤثِّلُهُ ألا اكفٌّ من الإنصافِ تغترفُ
من نعمى هاتيك ما يبقي مسيرتَهَا تستلهِمُ الحقَّ نهجاً والدُّجى سَدَفُ

دارَ الزَّمانُ ولم تزكُ نتائِجُهُ ألا على زَهَجٍ بالزيفِ يلتحفُ
كأنما ديدنُ الأيامِ من قِدمٍ أن لا تقرَّ على ما فِيهِ ناتلفُ
سائلْ أوائلَنا ماذا جنتْهُ وقدْ أمَّت خلائقُهُ بالخزي من سَلَفُوا
عاشتْ تُغازل آمالاً مزيفةً أقوالُها الحقُّ والآثامَ تقترفُ
فأَخلَدَتْ في سبيلٍ ليس ذا نفقٍ لم يُغنِ عنها على إهمالها الترفُ
غرَّ المحاسيبَ شيطانٌ يغازِلُهَا فأرغدَتْ وبغيرِ الخزي ما وكفوا
تعساً تخالُ بأنَّ المجد غانيةٌ في طرفها حَوَرٌ في خصرها هَيَفُ
لو كنتَ تدركُ ما تعني قوارعُهُمْ لكنتَ تجزم أنَّ الحقَّ ما هدفوا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م

السراب

هل تندمين... وتمتمتْ خلفَ الشفاهِ بكلْمَةٍ خَجلى
لا لن يكونَ... ووشّحتْ أقوالَها بالغُنْجِ بل أحلى
أنا فكرةٌ... قد أُترِعتْ تبغي الفداءَ برتبةٍ أعلى
حارتْ مصابيحي فيا عنقودَ ليلي إذ تدلّى
حسبيَ الرؤى يا ليلُ... جَفَّ الزيتُ والإصباح أجلا
نسجتْ خيوطُ الصُّبح أثوابي فلا تخشَ إذا وافاك صِلّا

لملمْ فؤادَكَ واحتضنْ عُريَ الصباح... فقد أطلّا
فالشرُّ في رهج النُّجوم تلملمُ الآهاتِ... حُبلى
وترشُّهُ في الأفق ورديّ الرؤى... فيثيرُ نُبلا
والكأسُ مترعةٌ يمينُ اللّيل أترعَها... تلذُّ غلّا
إنْ أعصرتْ ذاتُ الشروقِ بجدلها سيهونُ حلّا
قُلْ للشروق إذا تَبَسّمَ للربى... أهلاً وسهلا
والـلفتةُ الرعناءُ حوكُ اللّيل ما أثقلنَ ظِلّا
ساهِمْ إذا عبثَ المسيرُ بأهله عقداً وحلّا
والبسمةُ الحمراءُ تنبي الصُّبحَ في أهليه حلّا

والـلـفـتـةُ الـرعـنـاءُ عـسـفُ الـلّيـل مـنْ فِـيـهِ تـحـلّى
سـاهـم فـقـد لـعـنَ الـمـقـيـمُ مـقـامَـه حـتّى اضـمـحـلا
فـتـنـفـسـي بـقـيَ الـدُّهـور... ولـوْجـي فـيـهـنَّ جـذلـى
إنْ تـسـرعـي... فـلـسـوف نـحـيـا الـعـيـش مـخـزاةً وذُلّا
سـاومـتُ فـيـكِ الـمـغـريـاتِ فـهـل عَـلِمْتِ الـنّـاس قـبـلا
هـي حـفـنـةٌ رعـنـاءُ... اعـربْ سـيـرُهـا مـهـلًا وخـجـلا

يـا حـاسـيـاً... فـالـكـاسُ رنّـقَ صـفـوُه إلّا اقـلّا
هـي والـصـبـاحُ عـلى ونـامَ مـا الـصـبـاحُ بِـهَـا اسـتـظـلا
مـلأت بـصـائـرهـا... وجُـلُّ الـخـلقِ... حـارتْ كَـيـفَ تُـتـلَى
وتـازرت عـشـواءُ مـهـلـكـةٌ... واحـشـاهُـنَّ ذهـلا

يـا سـائـراً والـشـوطُ مـلَّ الـدربَ اهـدافـاً وسُـؤْلا
جُـنّـت مـظـالـمُـهَـا وهـذِي الـرُّوحُ حـيـرى كَـيـفَ تُـرْوى
وَزهَـاءُ شَـامَـتْـكَ الـمـذلـةَ فـاسـتـسـغْـتَ الـفـرصَ نَـفْـلا
وَتُـعـقَّـدُ الآهـاتِ زيـفـاً لا تـريـد لـهُـنَّ حَـلّا
يـا بـاسـطـاً كَـفَّ الـسـرابِ بـكـأسـهـا هـيـهـاتِ يُـمْـلا
فـلـسـوفَ تـعـلـمُ أنَّ فـي الآفـاق مـا يُـبْـقِـي الأقـلّا
شـابـهـت حـاضـنـةَ الـسـراب وزدتُـهـا لـونـاً وشـكـلا
لـم تـدرِ ابـعـاد الـمـسـافـةِ مـا اسـتـمـدَّ الـشـوطُ صـهـلا
اغـواكَ حـلـمُ الـعـابـثـيـن وهـمـت فـي الآفـاق سـؤلا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م

مناجاة في السحر(*)

يَا مَنْ إليهِ مآبُ الخَلْقِ يَا أحدُ ... نبِّهْ فؤادي لما يُرْضِيكَ يَا صَمَدُ
وامحُ ذُنوبِيَ وإنْ طَالَ الزّمانُ بِهَا ... فَمَا سِوَاكَ لمحوِ الذّنبِ معتمدُ
وارحمْ عصاةَ عبيدٍ حثّهُمْ أملٌ ... لبحرِ جودكَ أن تعفو وأن يَرِدُوا
وابقِ علينا رغيدَ العيشِ يَا أملِيَ ... فَلَيسَ غيرُكَ يَا رَبِّي لَنَا سندُ
مَنْ لي سِوَاكَ إذا ضَاقَ الزّمانُ بِنَا ... مولًى يبدِّدُ مَا نشكو ومَا نجدُ
ونجِّنَا يَوْمَ تنجي الصَّالِحينَ غداً ... فِي موقفٍ لَيسَ يغنِيْ المالُ والولدُ
يَوْمَ ترى النَّاسَ سَكرى من مخافتِهِ ... والذّنبُ حَاقَ بِهِمْ ويلٌ لِمَنْ جحدوا
كُلٌّ تفرَّدَ فِي آلامهِ وغدا ... يُذْرِي الدُّمُوعَ فَلَا يرثي لَهُ أحدُ
ويرسلُ الزفرةَ الحرَّى لموقفِهِ ... مُصَدَّعاً من جناهُ، القلبُ والجسدُ
يَا نائمينَ أفيقوا من سُبَاتِكُمُ ... واستغفروا رَبَّكُمْ من قبلِ أن تَرِدوا
واستغفروه عساه أن يديل لكم ... من الطُغاةِ فتحيوا عيشَ مَنْ سعدوا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م

(*) كان يقرؤها بعض المؤذنين في أسحار شهر رمضان.

إعتراف

خرجتُ إلى الدُّنيا لنيل لُبانَتِي
فمانعني من أن ألينَ درايتي

فقستُ طريقي أنملًا بعد أنملٍ
وعدت لألوي الدربِ أروي حكايتي

تفتَّحتُ كالزهر العَبُوقِ على الرُّبى
وناضيت أيامي بكأسِ هناءتي

وأفرغتُ عرفاني على كُلِّ بائسٍ
وجشمتُ حلمي ما استطاعتْهُ طاقتي

وأسرجت مصباحي وألقيتُ دونه
صحائِفَ أحلامي لتبدو نزاهتي

وما تمَّ يَوماً مُكرَهاً ما أردتُهُ
ولكِنَّ ما قَدْ تَمَّ مِلءُ إرادتي

وما ملكتْ هوناً عليَّ شبيبتي
لأحجبه أو استخفَّ درايتي

تسامَتْ بِيَ الأفكارُ كهلًا ويافعاً
وأسرجتُ أيامي بِكُلِّ نباهةِ

وأوقفتُ خُلَّاني على كُلِّ لاهثٍ
ومرتدي غيَّاً بِبُرْدِ جهالةِ

وما عبستْ يَوماً لدي حقيقةٌ
وإن أشرفَتْ فازَتْ لديها شفاعتي

هو الحقُّ أُحييهِ لأوقظَ راقداً
من النوم مغموراً بِكُلِّ سفاهةِ

وأفرغتُ كأسي حين تمَّ بي السُّرَى
فأبصرتُ أمراً لَيسَ تقواه طاقتي

تَقَلُّبُ أهواءِ النُّفُوسِ بِمَا ترى
وَلَيسَ لَها أن تستقرَّ لحالةِ

فترفضُ ما قَدْ تَمَّ تنشدُ غيرَهُ
لتُسحرَ دوماً في طريقٍ متاهةِ

فتمحو الَّذي قَدْ حبَّبتهُ عقولُنا
وتُفلِتُ مَا قَدْ وثَّقَتْهُ حبالتي

وتحيا تعدُّ الآه شوقاً لما مضى
من العمر أو ترضى فتزكي حشاشتي

أليس جنوناً أن يقولَ معذَّبٌ
تعذَّبتُ يا ربِّ فقرِّبْ نهايتي

فعاتِبْ إذا ما شئتَ نفسَكَ إنها
تعدُّ لكَ المكروهَ رمزَ بدايةِ

هي النَّفسُ فاحبسها على كلِّ نافعٍ
وإن شئتَها لا تستقيمُ لغايةِ

وهل لبِّتِ الأيامِ صوتاً لحالمٍ
وهل فاقَ من قدْ فازَ غيرُ حثالةِ

وإنَّ سراةَ القولِ ظلَّ رجعَهُ
احابيلُ أفّاكٍ ودربُ خيانةِ

قديماً تعالى صوتُ من ملك الغنى
فتمَّ عطاءُ الخيرِ كأسَ مرارة

متى الحقُّ يَقْوَى أن يقوم بباطلٍ
ليغريَ ملتفاً ببُرْدِ براءةِ

وليس لهُ أن ينظرَ الأمر هيّناً
فلابُدَّ أن أُوليهِ كُلَّ عنايتي

تشابَهتِ الأقدام في باب قُدْسِهِ
فنام على عينيَّ شديدُ الرعايةِ

فلا يدري ما يدري بوارقُ خُلَّبٍ
أم الحقُّ يمليهِ صفاءُ بداهةِ

فيا شاعراً أسدلَ ستائرَ آسِفٍ
إذا أنتَ لم تقرأ بعينِ فراسةِ

فأجنادُك الإنصافُ لو كانَ قائماً
لما أخطأته في السِباقِ رمايتي

فنكِّبْ عن الآلامِ ما أنت واجدٌ
فكل النُّهى تُسقى كؤوسَ مرارتي

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

غنّيت باسمك

(ارتجال جري القلم)

غنَّيتُ باسمك والآمالُ تُبعِدُني ... يَا ذا الجلال وهَذا النائي مضطربُ
امسى فلَايهتدي قرباً ولَا املًا ... إذ لَا حلوبَ بغيرِ القربِ يُحتَلَبُ
وقلّبَ الأمرَ في لحظٍ بِلَا زمنٍ ... ولَا مكان إليه الفكرُ ينتسبُ
فراشَهَا بسهامٍ قلّبَتْ حُقُبَاً ... حمراً وسوداً وقلّ بثوبها قَشَبُ
واحرفٍ من كتاب الله أُعْرِبها ... نوراً تكاد بِهِ الألبابُ تُستَلَبُ
فَلَا امانٍ بغير الحقّ تُحتَقَبُ ... وإنّ عداه خيالٌ زَرْعُهُ تعبُ
أنّ الحياةَ عطاءُ الخيرِ يُرفِدُهُ ... بنو الحياةِ وَفيهِ الشرّ يُجتَنَبُ
ساهم فامسكَ لا يغني به التعبُ ... وَلَا يبينُ على ساحاتِهِ العتبُ
فأنتَ فِي يَوْمك الراضي بِمَا كسبتْ ... فِيهِ يداك وإلّا أسحرَ الغضبُ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

ذكريات وأمنيات

ذكرياتٌ تجنُّ من امنياتي … «بين ماضٍ من الزّمان وآتي»
كم حديثٍ يَئِنُّ حول يراعي … وهو يشكو من صمتِهِ وأناتي
ويثيرُ الشجونَ في مكفهِرٍ … بنجيعٍ يعجُّ بالمخزياتِ
حائراتٍ يحمحمُ الشوطُ فيها … باحتذاء يبينُ في نبراتي
هي شوطُ الزّمان جارَ عليها … مُزهقُ الحقِّ تابع الشهواتِ

ليتني كنت والزّمان فتيّاً … مانحاً صفوَهُ لخيرِ لُداتي
ليتني كنتُ والزّمان مواتٌ … كاشفاً عن صحائفِ الترّهاتِ
أصروحٌ نشيدها بالأماني … وحروفٌ تشتُّ بالأمنياتِ
وحداةُ الأيّام أرهقَهَا الشوطُ قديماً … فليت تقنع ذاتي
سَخِرَ الدّهرُ من حداةِ الليالي … شامخاتِ الصروحِ فوق الرفاتِ
فقصورٌ نشيدها وقبورٌ … ضاحكاتٌ من ذهلِ تلك البناةِ
إيه قيثارةَ الزّمان إلى مَ … تفتنينا بصاخبِ النغماتِ
امتلأ الصرحُ من أنينِ أباةٍ … سِمْتُهَا دائماً بسوط عُتاةِ
وازدهارُ الأيّام لونُهَا الدمُّ … فاحيتْ بنيهِ في اللعناتِ

تعِبَتْ آيةُ النَّهار ولكنْ زادها اللَّيلُ جامحَ النفثاتِ
ليس يدري متى يلين به الشوطُ لتلوي العنانَ كفُّ الأباةِ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م



تنبيه

فَـلَا تـشـقَ بـمـا تـلقـى فـمـا يـشـقـيـكَ لا يـبـقـى
صـحـبـتُ الـكـونَ مـن زمـنٍ رأيـتُ سـكـوتَـهُ نـطـقـا
تـصـارعَ فـي مـديـرِ الـكـأسِ مـن يـظـمـى ومـن يُـشـقَـى
فَـذلكَ تـارةً يـهـوي وَذلكَ تـارةً يـرقـى
فـحـصِّـنْ ساحـةَ الـتـقـوى ودعِ لِلّه مـا تـلقـى
سـتـحـصُـنُ كُـلُّ مَـا تـهـوى إذاً لا تـظـلـمِ الـخـلـقـا
فـهـذي سـنَّـةُ الـبـاري فَـلَا تـأمـلْ لَهُ سـبـقـا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م

.. والكتاب

قلت ارتجالاً:

انــا جـلّسُ بـيـتـي والـكـتـابِ
والـزائـريـنَ بِـلا حـسـابِ
مـن كُـلّ أروعَ مـاجـدٍ
أو مـعـربـيـنَ مـع الـدوابِ
لـولا نـهـايـا لـم أكـن
إلا كـحـامـلةِ الـسـحـابِ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م

كصائد يترقب

دُنْـيـاً تـقـولُ وتـعـجـبُ   فـعـلى مَ أنـتَ مـقـطِّـبُ
أفـمـا عـلـمـتَ بـأنَّ عـمـرك   فـي الـمـسـيـرة يـذهـبُ
مـن عـاشَ أيَّـامَ الـصـبـا   بـةِ فـالـكـهـولـةُ مـركـبُ
ولـسـوفَ يـعـلـو فـوق رأسِ الـ   ـمـرء شـعـرٌ أشـيـبُ
ويـسـيـرُ مـحـنـيَّ الـضـلو   عِ كـصـائـدٍ يـتـرقَّـبُ

جبل عامل / خربة سلم ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م

زوّدتُ قلبي

أُزَوِّدُ القَلبَ بأحكامِهِ ... وأُضرِسُ النابَ على النابِ
مِن خُدَعِ الدَّهرِ وآفاكِهِ ... مَيَّزتُ خِلّاني وأصحابي
فما رأيتُ غيرَ أحجيَّةٍ ... من أجلها أغلقتُ أبوابي
فيَوْمنا الحالي كأمسٍ مضى ... في كل أفراحي وأوصابي
والشَّمسُ تَزحفُ في مسيرتها ... واللَّيلُ يُضحِكُ رائدَ الغابِ
اللهو مرسومٌ على أفقِهِ ... وما أرى عنه بمنجابِ
ركبتُ دهري واصطفيت الهوى ... وأفرغُ الحبَّ بمحرابي
ظلَّ يناجي بناتِ الدُّجى ... ويفرغُ الحبَّ بأكوابي
فَيَا جمالَ اللَّيل إذْ يصطفي ... إخلاصَ محبوبٍ لأحبابِ
والصُّبحَ ما أقبحَ إذْ ينتضي ... سيفاً يفرّق فِيهِ أترابي
كُلٌّ يُغنّي على شاطئي ... أُنشودةٌ ضاعتْ بأعرابي

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م

حسبيَ اللَه

حسبيَ اللَّه معيناً وكفى ... زفراتي لَيسَ مِنْهُ تشتكي
إنما أشكو الذي قَدْ أجحفا ... وأنا ذاكَ الفتى مَنْ مدركي
عشتُ للحقِّ أُدِينُ النصفا ... إنَّ دمعي من جفاهُ وَكَفَا
عجباً من حبِّه كيفَ شَكَا ... من فؤادي وهو مِنْهُ يشتكي
زرع الآهَ بقلبي وبكى ... لفؤادي حيث حبِّي مهلكي
عجباً مِمَّنْ لَهُ الحبُّ صَفَا ... كَيفَ يقسو هل فؤادي مَنْ صَفِي

فاسمعوا قولَ محبٍّ قَدْ حكى ... قائدي قلبي وقلبي مُرْبِكِي
مَا لِقَلْبِي جعلَ الآهَ وفا ... ودمُوعُ الوجْدِ مِنْهُ مضحكي

قَدْ حنى قلبي وظهري مَا انحنى ... ومضى الشوطُ فنالَ الأحسنا
قم خدينَ الوجد غنِّ واسقِنَا ... نُخْبَةَ الشوقِ ولَا تبقي العنا
فَلَكَ الكاسُ صفاءٌ وهَنَا ... لَا تلمني إنَّ فؤادي وَهَنَا
سُبُحَاتٌ فِي مطاوي الفلك ... نفثةُ الجنِّ وصوتُ المَلَكِ
قَدْ جرى مِنْهَا بِذاتِ الحُبُكِ ... نغمُ الحقِّ وإفكُ الأفِكِ

ذا زمانٌ جُنَّ من آفاتِهِ ... وبكى دمعاً كصوبِ المُزُنِ
ليتَ مَن يقرأُ في آياتِهِ ... مُغرِياً غَنَّهُ بِصَوتِ الأحسنِ
رافعاً للحقِّ من راياته ... خالصاً لِلّهِ فيما يَبْتَنِي

كَيفَ يرضى سابحٌ في الحَلَكِ ... خادعُ النَّفسِ بثوبِ النُّسُكِ
شهواتٍ سعَّرَتْهُ في الهوى ... وغدا يشدو بصوت البلبلِ
ويحَهُ كَيفَ طوى ذاكَ اللوا ... موغلاً في فعلِهِ لم يخجلِ
من يلمني صاحبيْ إمَّا انطوى ... في فؤادي نقمة المُسْتَعْجِلِ
التهم اللهوَ على غير طوى ... وغدا ينفث سُمَّ المعتل

جبل عامل/ خربة سلم ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م

ربّاه

رَبَّــــــاه لا كـــــــذبٌ ولا إغـــــراء
يــرقــى إلــيـكَ عــلـى عــرايَ نـداء

وبـخـالـصِ الـتـوحـيـدِ لـوّن حـرفَـهُ
لامّـا تـخـطُّ حـروفَـهُ الـشُّـعـراء

هَـذا هـوى يـرقـى وَذاكَ مـخـادعٌ
والآخـــرون نــداؤهــنَّ هــراء

امّـا أنـا فـكـمـا عـلـمت بِـلا هـوى
لــــولاكَ لا وجـــلّ ولا إغــراء

قَـدْ وحّـدَ الـتـوحـيـدُ بـيـن أصـولـه
وتـضـاءلـتْ فـي غـيـركَ الأهـواء

يقضي الحياة على عسوفِ شبابِهِ
وبــبــابِــهِ تـتـصـارعُ الأنــبــاء

لـم أرجُ غـيـرَ عـلاكَ فِـي أزمـانِـهـا
أمّـا سِـوَاك فـمـن هـوايَ بـراء

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م

يا سميري

يا سميري وألفُ شيءٍ يغنّي — فاستمعني فلستُ أسأمُ لحني
وإذا الأفقُ زفَّ نحوي التمنّي — بثباتِ النُّجومِ في كلِّ فنٍّ
اعربتُ آهتي تحدّثُ عنّي — إنَّ في الآه منيةُ المتمنّي
منكَ رضوى ومنكَ جنّةُ عدنٍ — منكَ لحنُ الحياةِ في كلِّ أذنٍ

لا براحةٍ ولا بحبورِ
كانَ يوماً جبرُ عانٍ كسيرِ

يا سميري وفي الدُّجى نفثاتُ — نشرتْها بأفقنا عاهاتُ
بترامِ الأزمانِ أعربَ ذاتُ — إنَّ في كفّهِ له طعناتُ
لا تلمْهُ إذا حوتهُ سِماتُ — صارخاتٌ بأفقهِ عاتياتُ
هيَ في زحمةِ الدُّجى داكناتُ — ليس يأبى الهوانَ إلّا الاباةُ

فاصطبرْ صبرَ واثقٍ بالأمورِ
وادرك الغايَ في عمى الديجورِ

يا سميري وقدْ قرأتُ كتاباً — سُجنتْ أسطرٌ بهِ أحقابا
وقتلتُ الأحقابَ فيهِ انتخابا — وإذا الحرفُ لا يبينُ جوابا
غيرَ أنَّ البصيرَ ملَّ الكتابا — والجهولُ الغبيُّ منهُ أصابا

موقفاً يجعل اللذاذاتِ صابا حين صاغ الحروف مِنْهُ جِرَابا

ضاعَ جهدُ اللبيب فِي التفكيرِ

وتخطَّى الحياةَ بالتصويرِ

يا سميرِي وما رأيتُ انتصارا غيرَ أنَّ الأُمورَ تبقى جِوارا

إنْ تمادتْ تفاقمتْ اضرارا وطغتْ أنفسٌ تؤجِّجُ نارا

وغدا قائمُ الحياةِ دمارا وأعدْنا الأُمورَ فِيهِ اجترارا

وفقدنَا الثباتَ والاختيارا والغبيُّ القويُّ أضحى منارا

لضعيفٍ مخافةَ التدميرِ

دار فِي أفقِهِ بِلَا تدبيرِ

يا سميرِي ومن يحدُّ جهودا منحتْنا مناصِباً وجُدودا

إنْ طغى شرُّها تُحِبُّ مزيدا غيرَ جهدِ الضعيفِ تأبى وُقُودا

وهو في زَعْمِهِ أقام مُشيدا لبنِي البؤسِ يستحقُّ الخلودا

ليس تجدي الجهودُ إلّا سدودا من تقى اللّه تستبين الحدودا

لترى الحقَّ واحداً فِي الكثيرِ

واتحادُ المصيرِ وحي الضميرِ

يا سميرِي وما ملكتُ خيالا وافترضتُ الطريقَ فرضاً محالا

فترامت تضلُّ الأجيالا كيف ما رمتُها تعزُّ منالا

أو فرضتُ الظلام نور تلالا كي نسوسَ الآباءَ والأنجالا

حسبُنَا أنّنا نُجيكَ مقالا مُحْكَماً لا يبيح مِنْكَ السؤالا

تُتقِنُ القيدَ مُحْكَماً اقفالا والقبيحُ القبيحُ مِنّا جمالا

ونغنِّي لِكُلِّ امرٍ خطيرِ

يا سميرِي صوارخَ التعذيرِ

يا سميري ولفتةٌ لربانا | لترى ما ترى نتاج إخانا
لعناتٌ أصائلًا وهجانًا | حوّلت راسخ الإخاء دخانا
يا سميري وقد ركبنا هوانا | واستسفنا ولوغ أزكى دِمانا
وارتضينا قيادةً ذؤبانا | وهجرنا الإنجيلَ والقرآنا

ورضينا حضارةَ التدميرِ
إيه لبنان بئسَ شرُّ مصيرِ

يا سميري سهرتُ ليلًا طويلًا | وقرأت الأجيالَ جيلًا فجيلا
وعرفت التنزيل والتأويلا | فرأيت القرآن أقومَ قِيلا
لِلَّذِي يبتغي الهُدى تفصيلا | كُلّ شيءٍ أقام فيه دليلا

ليرينا عواقب التقصيرِ
جشّمتْهُ روائع التحذيرِ

(لم تكتمل)

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م

خليليَّ

رسالة إلى ولدي البكر السيِّد عبد الصاحب وزوجه بعد سفره إلى النجف الأشرف.

خُذَا قلبيَ العاني إذا شِئْت واحكمَا ... فهل تَجِدَا فِيهِ عزيزاً سِوَاكُمَا
فكمْ ساعةٍ أقضي من اللَّيل ساهماً ... وقَدْ حُمَّتِ الأفكارُ شوقاً إليكُمَا
إذا نظرتْ عيني مناظر ربعِنَا ... تمنَّيتُ أنِّي في ذُراه أراكُمَا
ألمْ تعلما أنِّي على البُعد لم أزلْ ... أعاني من الآلامِ مُرَّ نَواكُمَا
لَقَدْ كُنتُمَا السلوى لِقَلبِيَ وَأنْتُما ... مقيمانِ وَالبُشْرى تلوحُ عَليكُمَا
إذا راعَ قَلْبِي طائفٌ يستفزُّني ... تبدَّدَ إشفاقاً إذا مَا رأكُمَا
هنيئاً لكُمْ مثواكُمَا عِنْدَ سيِّدٍ ... من اللَّهِ فِي الأسمى مكاناً حَوَاكُمَا
عليٌّ أميرُ المؤمنين فإنْ بِهِ ... تمسكتما دوماً أتمَّ نُهَاكُمَا
أبا حسنٍ يا صنْوَ أحمدَ فاقبَلا ... صلواتِ مولًى دائماتٍ عَلَيكُمَا
فَهَا أنَا أشكو غربةً بين أهلِنَا ... فَهَلْ تسمعا صوتاً ملحّاً دعاكُمَا
أجيبا فَهَلْ عِنْدَ الجَليلِ مشفَّعٌ ... عزيزٌ لَديه يستجيرُ بِعدَاكُمَا
وهلْ من دموعِ العاشقين إذا هَمَتْ ... سِوَى معصراتِ القلبِ نفسي فِدَاكُمَا
دليلٌ على ما يحتوي القلبُ والهَوى ... طرائقَ شتى قَدْ حكاها سناكُمَا

فَلَا تتركا قلبيَ يُصَدِّعُ والدُّجى		بحالكةٍ مَا قَدْ يضيعُ ولاكُمَا
وَمَا هُوَ إلَّا من صنائعِ حبِّكُم		ولحمتُهُ أنتم أعيدوا رضاكُمَا
بِرَبِّكُمَا يا سادتي ومُلَاكُمَا		ألم تسقني كأسَ الغرامِ يداكُمَا
خليليَّ لا أبكي الحياةَ تهالكاً		ولا زفراتي تستبيح تحاكُمَا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م

إلى من حلَّ في قلبي

رسالة إلى ولدي الأكبر على لسان أخيه

إلى من حلَّ في قلبي ... المحلَّ المرتقى الصعبِ
أحيِّيهِ بكُلِّ مُنًى ... تحيَّةَ عاشقٍ صبٍّ
تحيةَ صادقٍ دَنِفٍ ... بِلَا خُدَعٍ وَلَا كَذِبِ
وبعدُ فَإنَّني واللهِ ... ما ألقى من النَّصَبِ
لبُعدِكَ يا شقيقَ الرُّوحِ ... بل يا منتهى إرَبي
ومهما خُطَّ في القرطاسِ ... أو يُتلَى منَ الكتبِ
فهل تحكي وريقاتٌ ... هوى قلب بلَا قلبِ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

شيطان شعري

شيطانُ شعريَ أم أميرُ الخيالْ   يُلقّنني دوماً بأطوارِه
يصدُّ عنّي تارةً كالبغيض   ويُقنِعُ نفسي بأوزارِه
احاولُ منه العطاءَ القليلَ   فأنفرُ منهُ لإصرارِه
اجاهدُ فكريَ في وزنِهِ   كأنّي الجهولُ بأدوارِه
ألحُّ إلحُّ فلا يستجيبُ   ويبقى ملحّاً بأعذارِه
لأستهجنَ الشّعرَ والعاشقينَ   فيجمحُ يُملي بأشعارِه
فيعطيَ العديدَ بِلا كلفةٍ   ويُفنيَ المدادَ بأسرارِه
واختلس الدرَّ من نَهرِه   كأنّي المصبُّ لأنهارِه

أرى رائدَ الشّعرِ لا يستفيقُ   ويَجمَحُ دوماً بأفكارِه
كأنَّ القرائحَ طوعُ يديه   تُسخَّرُ دوماً لأوطارِه
فيأبى الحديثَ بِمَا يستجنُّ   فؤادٌ مقيمٌ على نارِه
ويستعذب الشّعر سبقَ الفؤاد   ويُخفي الجميلَ بأوكارِه
ليعزبَ عنّيَ شيطانُهُ   لِذاكَ ويخبو بأنوارِه
سلامٌ عليه بأيِّ مكانٍ   مقيمٌ سيحلو بآثارِه

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م

لا تلوميني

لا تلوميني على ما أبتغي   أنتِ حيرى في الزّمانِ الأرحبِ
فهبيني أنني كُنتُ نبيّ   كيفَ أحيا بفؤادٍ متعبِ
إيهِ يا نفسُ دعيني والسنا   صرحُ هذا الكونِ ميدانُ غبيّ
ضائعٌ إشعاعُهُ في المنحنى   ما تبنّى خافقٌ طُهرَ صبيّ
فاسقني كأسَ غبيٍّ علَّمَا   يَعذُبُ الوِرْدُ ويصفو مشربي
ذا زمانٌ جُنَّ مِمَّا يحتوي   ليسَ مِمَّا يحتوي من مهربِ
حارَ فيهِ الفكرُ حتّى قد ذوى   ليسَ إمّا اختارَهُ من معتبِ
سبحاتُ الرُّوحِ ضاعتْ مثلما   ضاعَ لُبّي في ظلامِ الكتبِ
ارقَمتْ صوتاً اجشّاً ارعنا   طَالَ فيهِ الشوطُ عبر الحُقُبِ
فإذا تِلكَ وهَذا استسلما   لأمورٍ ليسَ فيها مأربي
فاستساغتْ مكفهراً قاتماً   ورنتْ تبغي مقامَ الشهبِ
اتعبتني صرخةُ الرُّوحِ كما   خدعتني بسرابٍ خُلّبِ
فاجنحي إنْ شئتِ عنّي إنْ دنا   زمنُ اللهوِ وليلُ الطربِ
وذري الوجد على الوجد ولا   ترهقيني بقلوبٍ قُلّبِ
كم صحبناك على أنّ الصفا   مَلَكٌ يزهو بثوبٍ قشِبِ

فَإذا الحَقُّ سقاكِ علقماً وَإذا الصدقُ حكايا الكذبِ

والوفا في افقه قَدْ جشما حمماً تزري بِذاتِ اللهبِ

من صفا حالاً آراه أبكَمَا كم ذوى زهرٌ بروضٍ خَصِبٍ

فتعاليّ فجنى اللّيل السنا وجمالُ الفجر زادُ الثعلبِ

حُبّك القربى كسا القلب عمى تارةً مقتاً واخرى يصطبي

سامحيني زورقي فيه عنا ساقهُ الموجُ بسوط الغضبِ

ودعي موجَكِ يجتاحُ الخنا اترعي كأسَ هواكِ واشربي

في الصِبَا كانَ المُنى لحنُ القنا فطويتيهِ بخطو الأحدبِ

وعذاري الآن قد شاب الا تُلْبسيه ثوبَهُ المُغْتَصَبِ

واغمضي طرفَكِ عَنّي ريثما أبلغُ البرءَ بداء العقربِ

قد حلمنا لم يكُ الحلمُ سوى عاصفٍ دكَّ صروحَ الأدبِ

وسهرنَا ليله حتّى دنا صبحُهُ قَالَ الأذى لَا تغربِ

من تُرَى يُنْصِفُنَا مِمَّا جنا كاسحُ النّاب حديدُ المخلبِ

برسمُ الهَدْيَ يريكَ الأحسنا ثمّ يحياه بطبعِ الثعلبِ

لا تراه مانحاً إلّا الضنا بفؤادٍ كيدُهُ لم ينضُبِ

وَدّهُ يا ودّهُ أينَ الهنا أريك الدربَ جِداءَ اللولبِ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

صفحة التاريخ

قلبنا صفحة التاريخِ نستجدي عطاياهُ
فَكانَ الأمسُ مثلَ اليَوْمِ فِي أخفى خفاياهُ
يصارع صوتُه الثوريُّ مَا جئْتَ حناياهُ
أيسلمُ أمرَه الشَّيْطانَ كي تروى مزاياهُ
وتَقْلُبُ صفحةَ الخيرِ إلى شرٍ نواياهُ
فإنَّ الحقَّ من زمنٍ دعاةُ الخير تنعاهُ
وتبصرُ قاطع الأظفار مزوَّراً... فتخشاهُ
أتشربُ كأسَ ضاحيةٍ وَقدْ عمَّت بلاياهُ

متى يَا عالَمَ الإنصافِ كأسَ الحبِّ تُشقَاهُ
فلولا حبيَّ الإنسان لاستعجلتُ أرزاهْ
فَلِي قلبٌ لَهُ نَغَمٌ بإذن اللّه أحياهُ
سلوني تعلم الأجيال من هادوا ومن تاهوا

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

تناسقي

تناسقي تناسقي ... يا رمز دهر آبق
بما تجودي فاسمحي ... وأوضحي مفارقي
فما قرأت صحفة ... من حسنك المفارق
فكم أرقت أكؤساً ... وكم ندبت خافقي

فالكل فيك واحد ... قديمه والحادث
فمؤمن وجاحد ... فأنت فيه الباعث

تناسقي تناسقي

جنيت وزر من مضى ... وقلت من فعل القضا
أغريته حتى التوى ... وما رأى منك الرضا
بنال منك السافل ... ومن تعالى في الفضا

فمخلص وحاقد ... وتائه وراشد
ومعرض وراصد ... الكل منك واحد

تناسقي تناسقي

فالزهر في أيامه ... يزهو على أكامه
ويذر في أنسامه ... عطراً على أحلامه

جاء الخريف يثرثر فبكى على آثامه
حتى الزهور تمجّد طوراً وطوراً تجحد
والدهر فيما يرفد جمعاً به يبدّد

تناسقي تناسقي

هل فيك عرق الفاسق فلتنفثي مما بقي
قلت التراب بأنه يحيا بكل مضائقي
بل أنت يا أم الغرور ضلّت فيك طرائقي

أصبحت لا أدري الهدى كلا ولا حدّ الظلام
قد طال في ذاك المدى وتحيّرت منه الأنام

تناسقي تناسقي

فالخير فعل الحائك والشرّ فعل الناسك
لولاه يَعمى من يرى عن بين خدع الأفك
وغدا الأنام جميعه لا يستبين بحالك

لكنها قالت لنا هذا الصنيع من الأزل
قل لي فماذا قد جنى من قد أقام ومن رحل

تناسقي تناسقي

فلأنت يا بنت الدجى قهراً تعشّقت الحجى
فسقيتنا كأس التخبّط في المسيرة والرجا
فإذا البسيطة تستغيث لولدها أين النجا

لو كان سعد في نزول فلما استطرت من المقبل

ولَمَّا تغشَّاكِ الظلام ولَمَّا اضطررتِ إلى رسول

تناسقي تناسقي

قد جُنَّ فيكِ العالمُ وجاهلٌ وعالمُ

فالكُلُّ في الأشراكِ شُدَّ محاربٌ ومسالمُ

وتدندنينَ كأنَّ غيرَكِ قد عرتْهُ مآثمُ

ثمَّ ابتديتِ بلا حيا وأخذت في حوكِ الريا

فكأنَّما العقلُ انزوى لتُرى حقيقتُك ضيا

تناسقي تناسقي

لو تَعقِلين لتعرفي كم آهةٍ لا تنطقي

وإذا تحاكمك الأُمورُ تُذيلُ دمعَ الأضعفِ

عَشِقْتُكِ من عهدِ الصِّبا غلَّفتُها بتناسُقي

فلمن تحوكينَ المُنى لحناً أجشَّاً أرعنا

للعالمينَ بلا سنا والخاضعين لما دنا

تناسقي تناسقي

سلْها بربِّكَ ما بها لا تستسيغُ شرابَها

النُّورُ يعبثُ في الظلامِ فلِمَ تبيحُ رحابَها

اقرأتها بصماتِها ووكلْتُها لحسابِها

هلا عشيتِ من السنا فسلكتِ دربَ الحائرِ

وفعلتِ فعلاً أرعنا ونعيتِ فعلَ الجائرِ

تناسقي تناسقي

لِمَتى أردِّدُ من أنا ... هل في حديثك ما يَنِمّ
أسقيتِنا كأس الهنا ... وعشقتِ أفعالاً تُذَمّ
ويلي عليكِ إذا دنا ... وهو البغيضُ لما يَهِمّ

هل تعبثين بمَا مضى ... أم تنفرين من القضا
فاستسلمي هَذا الفضا ... لحناً يجمِّلُه الرِّضا
تناسقي تناسقي
هل تركنين لجاهِهَا ... شعباً تُمثّل حالَها
أم جُلْتِ في أركانِهَا ... فرأيتِ أنّ جمالَها
حبُّ الحياةِ بِمَا لها ... أنشودة بزوالها

يا ليتها فيما ترى ... قد أحكمت فِيهِ الثرى
لا تركنين إلى الورى ... فجليلهم قد قصّرا
تناسقي تناسقي
ما حمتُ حولَ صفاتِها ... حتّى انتهيتُ لِذاتِها
سلْهَا بربِّكَ مَا بِهَا ... قَدْ أجفلت أترابَهَا
اقرأتُها بكتابِهَا ... وأريتُها أنجابَهَا
والنّاسُ فِي آفاقِها ... قَدْ عمّمت أخلاقَهَا
تناسقي تناسقي

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

يا دعاة الإسلام

يا دعاة الإسلامِ قد أجهد الحقُّ أناسٌ عن الحقيقة تعدو
تملأ الدرب بالصراخ ولكنْ نغمَ الحاقدِ المضلِ تشدو
وتقول الضَّلالُ أنشودةُ الضعف وليس في الحقِّ للنُّور حدُّ
فكذا تزدري الضِّياء لنروي أنَّ فوضى الحديثِ للحقِّ زندُ

يا دعاة الإسلام كيف رضيتِ المجدَ رخيصاً هل ليعذبَ وِرْدُ
هل لشوطِ الحياةِ معنًى إذا ما كانَ للزيفِ فيهِ رأيٌ اسدُّ
فاللهاثُ المرير خلفَ بناء المجد يوحي بأنَّ للقوم قصدُ
أن يقيموا معالماً تلفتُ النَّاسَ وإنْ أسخط اللهَ في الدربِ جهدُ

يا دعاةَ الإسلام هل تُولدُ الظلمةُ نوراً فيستبينُ الدخيلُ
والدياجي تُزيلُهَا بحكاياتٍ عجافٍ فيُستباحُ الخميلُ
نغمٌ حالمٌ وحلمٌ جميلٌ أن نرى الحقَّ ليسَ إلا المَقُولُ
زُلزلتْ قصةُ الَّذِين أضاعوا الحقَّ قديماً وأهملَ التنزيلُ

يا دعاةَ الإسلامِ أتعبَكِ الشوطُ فأينَ أين المقيلُ

والدَّياجي وإن أضاءتْ نجوماً إنَّ في الصُّبح ضوؤها مستحيل
إنَّ في القادةِ الهُداةِ عليّاً وبنيهِ على الضِّياءِ دليل
لَيس هجر الضلالِ فيهِ إذا داعبكِ الحلمُ للنجاح سبيل

يا دعاةَ الإسلامِ هل في نصرة الحقِّ دعاوى نقولها باقتضابِ
ونغنّي للقولِ ما أمرع الحقل وأنمى بالدعاوى الكِذَابِ
شطحاتٌ قد شُتِّتَ الرأيُ منها وترضى النجاح كأسَ سرابِ
وتحدي الرأي إن صدقتِ إدعاء انقذي الرُّوحَ من ظلامِ التُّرابِ

يا دعاةَ الإسلامِ هل في ظلمةِ الرُّوحِ ارتفاع لرايةِ الإسلامِ
أهناك الأحرارُ جذَّذتِ العزمَ وأرست قواعد الأحكامِ
تثبت النُّورَ ساطعاً في جبينِ الدَّهرِ فتمحو مصادرَ الأظلامِ
يَا لَهَا صورةٌ تجاوزَتِ الوهمَ اتساعاً وريشةَ الرسّامِ

يا دعاةَ الإسلامِ ما عُرِفَ الدِّينُ هوًى مشابهاً لِهَواكِ
فمتى كَانَ داعي الحقِّ هو الحقُّ وأنَّ الدِّينَ مَا أرضاكِ
انعيش الغرورَ أو بانخداعٍ وَبِهِ تحسبي كمالَ نُهَاكِ
دائماً همّك انتقاص بني الحقِّ كأنَّ الإنصافَ من أعداكِ

يا دعاةَ الإسلامِ طَالت خطاكِ أين خَطُّ الإسلامِ من مَسْراكِ
العزوفُ الرهيبُ عن سُنَّةِ اللّه اكتفاء بمنصبِ اغواكِ
ام مجاراةُ كُلِّ من رفضَ الدِّين انطلاقاً إلى بلوغ مُنَاكِ
وانهزامٌ أمام كُلِّ جديدٍ ابه اللّه ـ جَلَّ ـ قد أوصاكِ؟

يا دعاةَ الإسلام نحنُ مع النَّاسِ شربنَا بكأسِها وانتشينَا
أيُّ شيءٍ يُميِّزُنا غير أنَّا قد أثرنَا الطَّريقَ ثمّ التوينا
حاشا أن يَكشِفَ الضِّياءَ ضبابٌ هل عيينا عن كشفِهِ أمْ رضينا
فلنقسْ خطوَنَا على الدربِ دوماً بِهوى قادة بهم قد هُدِيْنا

يا دعاةَ الإسلامِ هل من جديد غيرَ ما خطَّه رسولُ السَّلامِ
خطَّةٌ خطَّها تفيض على الدَّهرِ ضياءً بناصع الأحكامِ
يُبلِغُ النَّاس فوق ما يدرك العقل كمالَ كُلِّ تسامي
كيفَ نَستطيعُ أن نماشي طغاةً شدَّها إفكُها بِكُلِّ رغامِ

(لم تكتمل)

بيروت ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

عتاب

أطبقتُ جفني واسترحتُ لخاطرٍ يحنو عليك
وحلمتُ أنك بالشبابِ تكونُ آمالي لديك
وحملتُ عنكَ المريكاتِ منعتُها تسري إليك
وأذبتُ قلبي في هواك جعلتُهُ في راحتيك
وحملتُ جرحَ مشرَّدٍ من ذائبٍ من مقلتيك
وزرعتُ دربَكَ مُذْ درجتَ عليه نسرينًا وأيك
وأشدتُ مجدَكَ ضاحيًا وشددتُ فيهِ ساعديك

«أصبحتَ ثالثَ ناظريَّ فكيفَ أُقذي ناظريك»
هل اكتفي بمؤنبٍ خجلٍ يندِّي عارضيك
يا سادرًا عمَّا اكنُّ رواهُ في وجنتيك
إن أُنكِرَتْ منكَ الفعالُ جزاؤه ويلي عليك
اخشى عليك الموبئاتِ لما يَعجُّ بجانبَيك
فلَكَمْ ترضَّيتُ الهُدى ورجوتُهُ يُنمى إليك
لكِنْ نفسكَ ما ظلمتَ الخلقَ لا تسمو لديك

اخلفتَ ظنّي «يابن أُنسي» مُذْ خفقتَ بجانحيكْ
سيّانَ مَا بثَّ اللّسا ن نتانةٌ أوحالبيكْ

جبل عامل/خربة سلم ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م



آهة

زَرَعتَ فِي القَلبِ آهة ... لَيتَنِي عِشتُ بلاهة
قبلَ مَا شَابَ عِذاري ... لَيتَ لِي قلبٌ سلاهة
لَيتَنِي لم أعرفِ العطفَ ... ولَم أرحم صباهة
لا تسلنِي عن فؤادي ... إنَّ قَلبِي فِي متاهة

ناشدِ الصُّبحَ ليُجلي ... زهرتي فوق رُبَاهَة
فدموعي ملُّها السيرُ ... ولَم تبلغ مناهة
وليالي اللُّواتي ... ضيَّعتنِي فِي متاهة
اربكتْ دربي ولكنْ ... فِزتُ مِنهَا بالنزاهة
إيهِ مَا أحلى الأمانيْ ... إيهِ مَا أحلى النباهة
جملًا وزعتها في الدرب ... فلا تملُّ خُطَاهَة
استلبتْ بِكْرَ الأماني ... من فؤادي مَا ارتضاهة
واستجار الصمتُ اخلاقي ... ولَم يُنقِض أذاهة
حرتُ واللّه بامري ... مِنْ بَهُوتٍ في سفاهة
اصبحَ التانيبُ عمريْ ... كَيفَ لَم افصِم عراهة

فـي زمـانٍ كَـانَ لـلـهـوِ | مـسـاريـب نـزاهـهْ
إنَّ مـن أغـرق فـيـهـا | عـاش يـهـوى مـبـتـداهـهْ
فـخُـذِ الـنُّـصـحَ وعـاجـل | صـبـوةً فـيـهـا الـفـراهَـهْ

بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م



هجرت قلبي

لم أتخِذ بعد يَوْمي قطُّ صاحبةً ... ولا صديقاً ولا شيئاً أُرَجّيهِ
هجرتُ قلبي ومنَّيت الصِّبا حقباً ... فاستنطق الدمعُ عمَّا كُنتُ اخفيهِ
خدعتُ قلبيَ بِمَا استصفى مدامِعَنَا ... شوقاً إليه فآهاً من تجنِّيهِ
يا سالكاً دربه في القلبِ متخذاً ... منه مَداه الا رفقاً بحاويهِ
مَا كُنت احسبُ أنَّ الحبَّ يخدعنيَ ... فيرسل القلبُ دمعاً من مآقيهِ
يا نغمةً كُنتُ أهواها فأحلمُ في ... زوارقِ الحبّ تنجيني شواطِيهِ
قطعتُ عمري على فُلْكٍ يؤمِّلني ... بنيلِ قلبي بِمَا قَدْ كَانَ يوحيهِ
فخانني الأمر لمَّا خِلْتُ منخدعاً ... برِيْضِ الخلقِ أنّى سوف أحويهِ
سلْنِي عن الحبّ واسمح في تعزِّيهِ ... فالوصلُ يُعْدِمُهُ والهجرُ يحييهِ
يا سائلي عن هواه كَيف يُبعدُهُ ... أحلى من الحبّ أن تُبقِي تناجيهِ
هَذِي نواصعُ احلامٍ يُحَاكُ بِهِ ... ثوبٌ مِنَ الحُسْنِ قَدْ رقَّتْ حواشِيهِ
امَّا الهَوى فَلقَدْ جدَّت ليالِيهِ ... لبِّيهِ يَا مِنيَةَ الأحلام لبيهِ
اقسمتُ بالحبّ أنَّ الحبَّ مهزلةٌ ... مَا دَام لَا يصطفي إلَّا اضاحيهِ

بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م

بلبل الأيك

بلبلٌ في الأيكِ بينَ الجبلينْ   صادحاً يحكي حكايا النشاتينْ
نغمٌ حلوٌ ولكنْ حولَهُ   شجرٌ ذاوٍ وزهرٌ بَيْنَ بَيْنْ
وحسانٌ زانها ما شانها   حمرةُ الخدِّ بلون الشفتينْ
وتعرَّتْ من بقايا حشمةٍ   فضحَ السرَّ نفورُ الناهدينْ
وتمايلْنَ كما شاء الهوى   وتخاصرن بزندٍ كاللُّجينْ
وإذا البلبلُ في أجوائِهِ   فَزِعاً يَسْفِرُ مِمَّا قدْ جَنَيْنْ
كُلَّما ترجَمتْ من ألحانِهِ   سوفَ تغدو خَبَراً من بعدِ عينْ

غادتي مهلاً فما أنتِ سوى   نغمةُ الرحمنِ فلتقضينَ دينْ
جسمُكِ البضُّ وما جمَّلَهُ   سلَّماً للمجدِ، مرمى الناظرينْ
لا تكوني سلعةَ الإفكِ ولا   وتراً أنغامُهُ من كُلِّ شَيْنْ

بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م

دَلّلْتُهُ حَتّى مَلَكْ

يا سادراً ما أجملك　　دلّلته حتى ملك
قلبي وما قد أعجلك　　في الهجر حتى قد سلك
دربا توطّن فيه قلبي
دربا أقمت به زمانا　　وتوثقت فيه عرانا
دلّلته آنا فآنا　　وذخرته كنزا مصانا
ووهبته عقلي وحبي
وبقيت مع قلبي ملك　　متلحفا داجي الفلك

(مجهولة التاريخ والتتمة)

غنِّي مع المجد

غنِّي مع المجدِ بنتَ المجدِ قافيةً ... فالدربُ مفروشةٌ شوقاً وتحنانا
وأبقِ ليَ الدمعَ نشواناً ليحرقني ... قدْ آن يا مُنتهى الأحلامِ لقيانا
إن فاتنا من ربيعِ العمرِ خادعةٌ ... من السرابِ سَخِيٌّ روضُهُ الآنا
ليسَ الشبابُ الَّذي نحيا بضيعتِهِ ... إنَّ الشبابَ الَّذي يُبْقِي عطايانا
في زورقِ الحبِّ نُسقَى نخبَ مركَبِهِ ... كأساً من السِّحرِ يُبْقِي الحبَّ نشوانا
يا نغمةَ الحبِّ أنتِ الخلْدُ في خَلَدِي ... لا تتركي قلبكَ الولهانَ ظمآنا

(٠٠)

حوراء

فتثنَّتني بخصرِها حوراءُ ... فإذا القلبُ في عيوني نداءُ
فتلفتُّ نحوها فإذا الوجهُ ... منها يحيطُهُ الإغراءُ
شعرُها المُسْدَلُ الجميلُ حواليه ... وأعينٌ وسنانةٌ حوراءُ
وتهاوتْ بمشيِها وهو يملي ... ليس في قربِها الحياةُ خواءُ
حاكها الحسنُ هيكلاً من حياءٍ ... من رأى النُّورَ يرتديهِ الحياءُ
أسرَتْني ببسمةٍ من شفاهٍ ... حارَ في وصفِ حُسْنِها الشُّعراءُ

(٠٠)

صفحة من حياتي(١)

صارعتُ دهري ولمّا ... صرعتُه باقتدارِ
قد كنتُ طفلاً صغيراً ... أصليتُه شرَّ نارِ
وقمتُ أعبثُ فيهِ ... بليلتي ونهاري
فاربدَّ وجهاً وأصلى ... سيفاً بغير شفارِ
قد حيّرتْه شؤوني ... فزاد منه احتقاري
فشدتُ رغماً عليه ... مجداً بأعلى الصواري
لم يثنني منه فقرٌ ... وما أبهتُ لزارِ
أكملتُ شوطي بعزمٍ ... وعزّة وافتخارِ
كم أتحفَ الصحبَ فعلي ... بنظرة الإكبارِ
وكُلُّ ما كانَ منّي ... بقدرة الجبّارِ

طلبت مجداً وعمري ... ستٌ وعشرُ سنينِ
وليسَ لي من كفيل ... سِوى زمانٍ خؤونِ
قصدتُ أرضَ الأماني ... لرحبِ ركنٍ مكينِ

---

(١) صفحة من حياته، خَطَّطَ لأن تتلوها صفحات، فتروي سيرته، لكنّها قصيدة لم تكتمل.

لصنوطةَ عليّ   ومعدنِ التأمينِ
فقامَ حولي ضجيجٌ   من مشفقٍ يثنيني
وحاسدٍ في فعلِهِ   محاولاً يغريني
فما أبهتُ ولكنْ   خطوتُ خطوَ رصينِ
وما استتبّ انتصاري   إذْ الهوى يدعوني
لِذاتِ حسنٍ ودلٍّ   وعفةٍ ودينِ
نبّهتُ قلبيَ عنها   إذا بِهِ يَعْصيني

فعدت أجمع رأيي   مذللاً كُلّ صعبِ
وقُلتُ للقلبِ حسبي   بِهِ سأوضحُ دربيَ
فقمتُ أسعى إليه   مع رفقتي وصحبيَ
حيّيْتُها وهيَ تدري   بِمَا حواه قلبيَ
وما استتبّ كلامي   في المورد العذبِ
ارختْ جفونَ حياءٍ   وذاكَ للصبّ يصبي
وتمتمتْ بحديثٍ   عن خالصِ الحبّ يُنْبي
فعشتُ أعذبَ يَوْمٍ   فِي معطياتِ الحبّ
تبسّمتْ ثمّ قالتْ   يا مُنيةَ القلبِ حسبيَ
أن نلتقي في خلاءٍ   أو في فضاءٍ رحبِ

حُنُى أحدُث عَمّا   أخافُهُ مِن هوانا
وأدفنُ السرّ فيهِ   كي لا يُسرّ عدانا
ثمّ استدارت وقَالتْ   هُنَا يتمُّ لقانا
فقمتُ فِي الصُّبحِ أسعى   إلى مقرّ مُنَانَا

حتى التقينا وقلبي ... به وجيب صبانا
ففاجأتني وقالت ... يا ضيعة لهوانا
أني وأنت بوضع ... لا نستوي فيه شانا
هل خامل المجد مثلي ... يلقى لديك مكانا
هذا شذوذ البرايا ... مذ كنت فيه وكانا
كم مزقوا من فؤاد ... من ذا بذاك رمانا

اجبتها في حياء ... وقلت حبي مهلا
أنت المنى والأماني ... سأجعل الصعب سهلا
فالحب أعلى مكاناً ... من كل شيء وأعلى
لم يعرف الشجو يوماً ... من في حماه استظلا

فبت أسهر ليلي ... أسائل الله حلا
رباه إهد البرايا ... وألهم الناس عدلا
قد جن فيها فؤادي ... وناء بالحب حملا
أزمعت أمراً ولكن ... قد أسخط الفعل أهلا
لم يبق قلبي ملكي ... فكيف للقلب يسلى
أني سأرسم خطاً ... كي أجعل القول فعلا

أصغي لصوت ضميري ... محققاً أحلاميا
بينا أنا مع فكرتي ... مغالباً آلاميا
ففاجأتني لما ... تمثلت أماميا
بقولها يا منيتي ... قد حددت أياميا

بالأمس جاء خاطبٌ رأوا بِهِ إرغاميا
إنْ لم تُعاطني المُنى افرغتُ مِنْهَا جاميَا
أعيش في قلبٍ بِهِ جرحٌ توطّن داميا
تعيشُ أنتَ على الضفافِ مردّداً أنغاميا
أهلي وعطف الأهل غنّهُ هل ملكت تعاميا

يا نغماً في خاطري ترجمتُهُ في أدمعي
إنْ لمْ تلبّني المُنى فتُحرقي وتوجعي
سأقولُ للحلمِ الجريحِ بخافقي هيّا معي
ادلجتُ أحملُ آهتي وطويتُهَا في أضلعي
بطفولةٍ واليتمُ ضلّلها لتقفر أربعي
وحططتُ رحليَ في طريقٍ للمعارفِ مهيعِ
وأنا البريءُ كما يشاء الطُّهر ليس كمدعِ
وبسمتُ للمجد العريض وقلت للأنفس اهجعي
فعساكِ أن تضعي المسيرةَ في المحلِّ الأرفعِ

قلّبتُ أمري واستجرت بخالقي وطلبتُ مخرج
فعلمتُ أنّ مواهبي شتى تسيرُ بكُلِّ منهجْ
وأخذتُ أفحص ما استبدُّ بأفقه حتّى تأرّجْ
هل فيهِ إكسير الحقيقةِ من ترى فيهِ تتوّجْ
رحماك يا ذا العرش فكري لا يسيرُ بخطو أعرجْ
أنرِ الطّريقَ ولبّني مولايَ ما يُبقي ويُنتجْ
ألهمتُ أنّ الخير كُلّ الخير في حقٍّ توهّجْ

فأخذتُ أصقل ما استدقَّ بأفقه حتى تبلَّجَ
والحائراتُ الشاردا تُ صهرتُها حتى تُمَنْهَجَ
وَغَدَتْ تقارع من معارفه كبحرٍ قد تموَّجَ

وإذا نطاسيُّ العلومِ يروم أن أسمو الخليقه
فأجبتُهُ مهلًا فَذا تشقى بِهِ نفسٌ شفيقَهْ
إنِّي لأخشى أن تساومَني الحياة تروم تفقدني السليقه

لَكِنْ مَلكتُ زمامَهُ وغدوتُ أحلم بالأماني
اقرأتُهُ بصحيفتي بكرَ المطالبِ والمعاني
فأبى عليَّ قراءة الإنصاف من خللٍ جفاني
صارعتُهُ فصرعتُهُ ثمَّ استبدَّ بِهِ عِنَاني
هيَّمتُهُ فيما يريد فراغ مسحورَ الجنانِ

الحقتُ ركبيَ في مسيرة من تصاحبه الحقيقَهْ
وغدوتُ أسمو في نواديها واسقيها رحيقَهْ
اجتاز منها كُلَّ مرسومٍ لمسألةٍ دقيقَهْ

ثمَّ ابتليتُ بآفةٍ جعلت فؤادي في هبا
وغدت تلوذُ بخافقٍ العطفُ فِيهِ مُسهَبا
ورضيتُهُ متفائلًا أن لا أعيش مذبذبا
حينا يبادلني هواه وتارةً مُستَصعَبا
وَبِهِ أطلت الدربَ مرتاضا بِمَا قَدْ انجبا

لـكـنّـمـا فـكـري تـلبـدَّ مـن أذاه وأغـربـا
وغـدا يـغـازلُ آهـة مـتـعـابـثـا او مـهـربـا
مـا كـل مـن رام الـحـقـيـقـة صـادقـاً قـد أوجـبـا

(لم تكتمل)

بيروت ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م



أيامي الصالحة

ناديتُ أيامي الصالحهْ
ما أقربَ اليومَ من البارحهْ
فلذّةُ صبريَ قد نلتُها
وأدبرتْ أيامي الكالحهْ
فابقَ مع الله يا خافقي
ولا تفوِّتْ فرصةً سانحهْ
فإنَّكَ في زمنٍ كالحٍ
لا تدري زلفاهُ من النازحهْ
فلا تخفْ لفتةَ أيامنا
ما دامَ تُمليها خطًى صالحهْ
فاهنأ فقد خلّد أنغامُها
ما شدَّ أخراها إلى الفاتحهْ
اليومَ يمضي ولكنَّ الفتى
يُلقي الأماني بالهدى ناضحهْ

ولا تـقـل أنـفـسُ أهـل الـتـقـى
عَـبْـرَ الـلّـيـالـي أنـفـسٌ كـادحـه
فـجـوهـرُ الـحـقِّ... وهـل يـرتـضـي
ألا نـفـوسـاً لـلـهـدى طـامـحـة

بيروت ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م



رسالة... وجواب

أرسلتُ لسماحة العلّامة الحجّة الشّيخ محمّد تقي الفقيه شيئاً من الدُّخان، فشكرني بِهٰذِهِ الأبيات:

دخانُكُمْ يُغرِي بشربِ الدُّخان ... لِذا اقبلوا شكري والامتنانْ
إنّ العطايا من بني هاشمٍ ... ينالُها الطالبُ قبل البيانْ
آلُ رسول اللّه ومن مثلُهُمْ ... إذا أردنا ذكرَهُمْ في اللّسانْ

فأجبته جريَ القلم:

بأيِّ مقام بأيِّ بيان ... بأيِّ عيارٍ تُراه يُزانْ
مديحي منكُمْ وَقَدْ جاءني ... لَهُ نغمُ الشاردات الحسانْ
بآل النَّبِيِّ وإنْ أنتمي ... إلَيهِم فلستُ بِذاك المكانْ
فمَا قيمةُ التبغِ أهديتُهُ ... ومَا قيمةُ التِّبْرِ والصولجانْ
ولكِنَّ ذاتكَ لم ترتضِ ... بغيرِ التسامي بِكُلِّ معانْ
تقبَّلْ سلامي من خافقٍ ... يكُنْ لكَ الودُّ عبرَ الزَّمانْ

بيروت ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

يا بنة الوادي

هبيني يا بنة الوادي ... صدى للعاشق الصادي
وغنيني على وتر ... وصدّي زاجر الحادي
وردّي من حديث الأمس ... ألحاني وإنشادي
البكي الأمس في ولهٍ ... وأبقى رائحاً غادي
قطعنا زهرة العمر ... بكفٍّ واثقٍ راجي
فهل تدري بما يجري ... بلا خوفٍ وإحراجِ
فهذا النائي في أملٍ ... يُردّد فيه إنشادي
بوقعٍ لحنَ ولهانٍ ... فهل في الحيِّ من شادي
أزوّده بكلِّ رضا ... بآي الحبِّ يا حادي
سلِ الوادي بما يجري ... فهل في الحيِّ من نادي
أعيدي صفحة الماضي ... مصابيحي وأعيادي
به أخلدتُ ما ترجين ... من عزٍّ وأمجادِ

دعيني ربة الوادي ... فما في الحيِّ قيثار
سوى ما يخدعُ الإنسان ... لا نورٌ ولا نار
فهذا ديدن الشذّاذِ ... إرجافٌ وإعصار

ومـا يُـبْـنَـى عَـلَى الأرجـاسِ	آثــــــــــــام وأوزارْ
أجـيـبـي يـا بـنـةَ الـواديْ	فـهـل فـي تـلـك أفـراحـيْ
فـكـفّـي عـن هـديـل الـشـجـوِ	إمـسـائـي وإصـبـاحـيْ

وردِّي مـن حـديـثِ الأمـسِ	الـحـانـي وإنـشـاديْ
فـإن غـوليـتُ فـي أمـلي	فَـلِي فـي الـحـب مـيـعـاديْ

دعـيـنـي يـا بـنـةَ الـوادي	فـكـم راقـبـتُ أنـفـاسـيْ
وكـم غـنّـيـتِ لـلإخـلاصِ	فـي بـحـبـوحـة الـيـاسِ
وكـم غـنّـيـتِ فـي وَلَهٍ	لأحـيـي مـيِّـتَ الـنَّـاسِ
فـلـم أجـنِ سِـوَى الإرهـاقِ	أو أحـنـي لَه راسـي

فـحـسـبـي مـنـكِ شـكـرانٌ	لأعـلـمَ أنّـنِـي الـنـاجـي
وأبـسـمُ مـن دمـوع الـخـوفِ	مـا ثـوّرت الـبـاجـي

دعـيـنـي يـا بـنـة الـوادي	أُتـرجِـمُ حـيـرتـي أمَـلا
وازرعُ فـي طـريـق الـمـجـدِ	أحـلامـاً لـهـا مُـحَـوِّلا
وأرشـفُ مـن كـؤوسِ الـكـبـتِ	مـا أروي بـه الـغـلـلا
فـقـد أحـيـا لـمـا تـحـيـا	ولا أخـشـى بـهـا زلـلا

هـبـيـنـي يـا بـنـةَ الـواديْ	أُلـمـلـمُ آهـةَ الـجـانـي
لأصـلِحَـهـا بِـمَـا أقـوى	وأُشـغِـفـهـا بـإحـسـانـي

لها البشرى بِمَا أهوى وهَذا الدهرُ عنواني

دعيني يا بنةَ الوادي فكمْ أسحر في جهدي
كذوبٌ يفتري ودّي ولم يثنيه ما أُبدي
علامَ يطرح الآهاتِ في دُنيا بِلا رَغدِ
وامحضهُ الهوى حباً لأثنيه بِلا حدٌّ

فقد ثيمتِ أيّامي وقد أزبدتِ أمواجي
فكفّي دمعكِ المسفوحَ يا نفسي بإسراجِ

أجيبي يا بنةَ الواديّ عَلامَ تندبي الماضي

ألم ترضَ بِهِ نفسي فهل للنَّفس أبعاضُ
تسامتْ في تقلُّبِهَا ولو قرُتْ لما اعتاضوا

فَهذا بعض إدلاجي يجشّمُ لامعَ التاج
يرضُعه بأوضارٍ ويحسب أنه الناجي

بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م

فواهاً عليه

أبـيـتُ ومـلءُ عـيـونـي الـسُّـهـادْ
لـذكـرى حـبـيـبٍ قـديـمٍ سـلا
وظـنَّ بـأنّـي نـسـيـتُ الـعـهـودْ
وأنَّ سـواهُ بـعـيـنـيَ حـلا
فـواهـاً عـلـيـه إذا مـا قـرأتُ
فـؤادي عـلـيـه أمـام الـمـلا
سـأقـسُـو عـليـه بـجـمـرِ الـدُّمـوع
ويـحـيـا حـزيـنـاً لـمـا أهـمـلا

بيروت ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م

أراوغ قلبي

أراوغُ قلبي ويحَ قلبي من الأذى
إذا لم يُعنّتْهُ صاحبٌ وخليلُ
أروِّضُهُ بالصّبر يوماً وارتدي
رداءً عليه للهداة دليلُ
حلمنا إذا بالحلمِ ساق عطاءَنا
إلى موقفٍ فيه يُقالُ ذليلُ
وما سامت نفسي من الحلم ويحكمْ
ولكنّني للباقياتِ فعولُ

بيروت ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م

يا غزالاً

يا غزالًا صادَ قلبيَ وانثنى
رامحاً في طرفِهِ
فغدا قلبيَ مريضاً مُكلَمًا
والرضا من خلفِهِ
فاعذلوه في ملامي علَّما
نارُ وجدي تنطفيْ
حارَ عقلي في سناهُ مثلما
جنَّ فيما يصطفي
يا بنات الكون ما هذا العمى
عن وبال الصحفِ
تبتنيْ الأمرَ على غير سنا
فاسرعي أو فقفي
وتناغيْ في جمالٍ ترفا
واسلكيْ دربَ الوفي
ليس ينمو الحبُّ في وصل الجفا
فاخضعي واعترفي
سنَّةُ الكون على هدي الصفا
فاعقلي واستوصفي

بيروت ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

غرني زمني

يا سائلي قد غرّني زمني
لا لا تسلني فعلَ مغتبنِ
أنا إن حلّقتُ في آفاقِها
مُعلمُ الجاه عظيمُ المننِ
واحتضنتُ النُّورَ من صغرٍ
ورويتُ الحقَّ في العلَنِ
وبدتْ كالحةً في خاطِري
صدُّها أنّ الهدى من سُنني
لا تخادعني بما لوّنتَها
ربَّ أمرٍ جاء لم يكُنِ
أتراني ضاحكاً من بَلَهٍ
مُسلماً أمرَ ألذي لم يَكُنِ
فاخدعي إنْ شئتِ غيري واعلمي
أنّني اغليتُ فيكِ ثمني

زادنـــي فـــيـــكِ ائـــتـــلاقـــا أنّـــنـــي
عـــشـــتُ أيّـــامَ الـــهـــدى فـــي إحَـــنِ

وغـــدتْ شـــامـــخـــةً نـــفـــسـي بـــمـــا
قـــد حـــوتـــه فـــي ظـــلام الـــفـــتـــن

فـــاقـــنـــعـــي إنْ شـــئـــتِ فـــيـــمـــا قـــد بـــدا
وانْـــخُـــلـــفـــي الـــســـوءَ وإلّا فـــاعـــلـــنـــي

لـــيـــس بُـــرْدُ الـــحـــقِّ مـــا حُـــمّـــلـــتِـــهِ
بـــانـــحـــرافٍ وهـــنـــاتٍ وهـــنِ

حـــقـــبـــةُ الـــحـــق ألّذي أعـــددتُـــهـــا
مـــن قـــديـــمٍ.. مـــنـــك عـــدلُ الـــزمـــن

ســـوف تـــمـــلـــيـــهـــا اغـــتـــبـــاطـــاً عـــنـــدمـــا
يـــســـتـــبـــيـــن الـــحـــقُّ عـــنـــهُـــمْ وعَـــنِـــي

كـــيـــف تـــمـــلـــي صـــفـــحـــةَ الـــحـــقِّ بـــمـــا
نـــعـــلـــم الـــلّـــه بـــهِ لـــم يـــأذنِ

حـــلّـــقـــي مـــا شـــئـــتِ فـــي آفـــاقـــهـــا
هـــل ســـمـــا رأيٌ لـــغـــيـــر الأفـــن

هـــذه الـــدُّنـــيـــا فـــشـــدّيـــهـــا لـــمـــا
شـــاءه الـــحـــق لـــهـــا إنْ تـــكُـــنِ

جبل عامل/خربة سلم ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م

أبحتُ له دمعي

ولمّا تلاقينا وجدّ بيَ الهوى
أبحتُ لهُ دمعي أذيبُ لهُ قلبي
فقمتُ لهُ والدمعُ يَلْسَمُ خافقي
على باب عرفانٍ تَعَرّفه لُبّي
حلمتُ بِهِ شوطاً من العمرِ طامحاً
بكلّ عطاءِ القرب... نبّاذةِ السلبِ
وأترعتُ كأساً لو أنّني بمثلها
لرويتُ آمالي مِن الموردِ العذب
ولكنّني والنّاسُ شتّى مشارباً
تضلُّ عن الإنصافِ في الموطنِ الرحبِ
وأسلمتُ من يهوى الحماة زمامَها
وجانبته سخطي لينعم في حبّي
لعلمي بأنّ الدرب يعطبُ أهله
إذا ما تخطّاه بعاديةِ الوثبِ

وما ضرّني ما دام ربّي بمرصدٍ
ألم يكفني أنّ الحقيقةَ من دأبي

أفي أدمعِ التمساح تُنْقَذ بأسنا
بربك قل لي... أم بسانحةِ الكذب

ومن منهج الإلحاد تبلغُ مأرباً
فتُبّاً لأحلامٍ ترجّى من الذّنبِ

سلوها فهل أمست تحقّقُ حلمها
أما حان منها لفتة لرضا الربِّ

أنرضى بأنصافِ الحلول تعنُّتاً
متى الشاة تحمى بين ضارية الذئب

سبيل الهدى ما لاح إلّا لينضوي
به الظلم... لا يخشى من الموطن الجدبِ

مَحضتُهُمُ نصحي بكلّ ثنيةٍ
فلم يُجدِهِمْ نُصحي.. وما حُدْتُ عن دربي

بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م

مهما يا دهر

مهما يا دهر عليّ كنت جبّاراً عصيّا
سوف أحيى فيك آهاتي جمالاً أبديّا
ليس تُغري رشفاتٌ لالنهى شيئاً فشيّا
قفزةٌ في سُلَّم الآهاتِ تبقيك نديّا
اقرأتني نفثاتي للعلا رمزاً خفيّا
لم يزلْ شوطيَ فيها مُنبتاً زهراً ذكيّا
حبّذا لو نلتُ منها كان شوطاً علويّا
لرأيتُ النُّور فيه معرباً عمّا لديّا
كيف آخاني انجذاباً بهداه أتفيّا
سُحُبٌ من جوده المعطاءِ يبقيك رويّا
أنْ تسلْني كيف تمّت ثمراً حلواً جنيّا
قلتُ فالإسلام نورٌ ما به دمت حفيّا

بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م

عتاب إلى أخٍ جليل

أيا مُعرِياً امرأً بعيداً عن القصدِ
أما كان أجدى أن تنمَّ بما يُجدي

أُعيذك بالرَّحمن أن تُسلِم النُّهى
وأن تحلو في عينيكَ آسنةُ الوِرْدِ

وكيفَ يصافي القلبَ من لم يكن لَهُ
من اللَّه إلا لعنة الخزي والبعدِ

وهَبْ شَجَرَتْ بيني وبين معاشرٍ
قوارضُ تنبي عن سفاهتِهِمْ عندي

وعهدُك بي أنِّي مع الحقِّ توأمٌ
ولا أنا أعدوه فكيف بِهِ تبدي

فكيف تساوي بين حق وباطلٍ
لتصبح حيراناً فتلبسه بُرْدي

ترفَّقْ وكُنْ فِيمَا تُرِيدُ نوالَه
لجوؤكَ لا يعدو عن الواحد الفرد

وانت جديرٌ أن تجشَّمَ للورى
لطائفَ مولًى ليس تُحصَى لدى العدْ

ونفسكَ صُنها واستعِنْ بإلهها
وباعِدْ بِهَا ذُلَّ الخضوعِ إلى العبدِ

عهدتُك مولًى من قديمٍ تشامخت
بِكَ النَّفسُ لا ترضى سوى المورد الرغِدِ

فكم لكَ في جنحٍ من اللَّيل موقف
تبدَّدُ فِيهِ كُلُّ كالحةٍ تُردي

حنانكَ فارجعْ عن قريبٍ فإنني
أكُنْ لكَ الإخلاص منتظمَ العقدِ

سلوتُ فؤادي إن سلوتُ ولاءه
وسالمتُ أعدائي واضرعتهم كدِّي

إذا لم اكن صوتَ العذاب على العِدا
فإمَّا انتصاراً أو ذهاباً إلى الخلدِ

يكيدوننا والكيدُ ملءُ إهابنا
بتقوى إلهِ الخلق أوري بهم زَنْدِي

وعفواً إذا ردَّدتُ قولةَ ذي نُهى
على أنَّ قربَ الدَّارِ خيرٌ من البعدِ

على أنَّ قربَ الدَّار ليس بنافعٍ
إذا كَانَ من تهواه ليس بِذي ودِّ

جبل عامل/خربة سلم ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

سوح الكفاح

شـــدِّي فـــؤادكِ فـــي جـــراحـــي
واســـتـلـهـمـي سـوحَ الـكـفـاحِ
يـــا أُمَّـــةَ الـــهـــادي الَّـتـي
نَـهَـجـتْ مـع الـحـقِّ الـصُّـراحِ
كـيـفَ اسـتـعـضـتِ عـن الـحـقـيـقـة
دربَ شـــرذمـــةٍ وقَـــاحِ
شـدِّي الـمـسـيـرةَ بـالـطـمـاحِ
يـشـدُّهـا بـيـضُ الـصـفـاح
فـالـنـسـرُ مـا فَـضَـحَ الـفـضـاءَ
بِـخَـفْـقِ مـكـسـورِ الـجـنـاحِ

جبل عامل/خربة سلم ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م

تسائلني

جاءَتْ تُسائلني أيامَنا الأولى
فقلتُ كفِّي فلا أقوى على العذلِ
ولتعلمي مُذ نأتْ عنّي ديارُكُم
لم يحتوِ القلبُ إلا ثاقب الشُغلِ
فصرتُ أرضى بما يرضى العليلُ به
فاكتفي أن أُديمَ الحبَّ في غزلِ
أنْ كُنتِ جاهلة عمّا ألمَّ بنا
فاستنِطقي الليلَ عن أخبارِه وسلي
كم قمتُ فيه أناجيكُم على أملٍ
وأرسل الدمعَ مدراراً من المقلِ
وما نسيتُ صباحاً قطّ موقفنا
بين الجداول نرجوا فسحة الأجلِ
نغازل الحب نشواناً فيبعثنا
إلى التصابي بلا خوف ولا وجلِ

جبل عامل/خربة سلم ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

صرخة الحق

شدَنا لحنٌ طروبٌ وانثنى
في زمانٍ معجمٍ أو معرِبِ
ورقمناه فكانَ الأحسنا
فاستوى طيِّعُهُ كالمذنبِ
وتسابقنا عليه زمنا
فطغى فيه سرابُ الخُلَّبِ
وإذا الحقُّ ينادي معلنا
قد ظللتمْ في الطَّريق الأرحبِ
قمْ نديمَ الوجدِ غنِّي واسقنا
من كؤوسٍ تصطفيها تصطبِ
ليسَ من يبكي كمن عاشَ الهنا
سطعتْ أنوارُه في الغيهبِ
كالخمينيِّ ألذي قد أعلنا
ثورةَ الحقِّ على المغتصبِ

ثـــورةٌ شــعّـــت بـــأنـــوارِ الـــســـنـــا

فـــإذا مـــشـــرقُـــهـــا كـــالـــمـــغـــرب

جبل عامل/خربة سلم ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م



كأس اللذاذة

تحدثتُ عنها وهي عنّي غريبةٌ
وما انا عنها في الحياةِ بمعزلِ

واقرأتُها ما لو تُذانُ ببعضِهِ
لقيلَ لها سيرني على غير محملِ

ولو جادتِ الأيّام مثلي لمثلها
لقيلَ لراجي المجدِ هيا بِهِ انزل

فهيهات هيهات الحياةُ بمثلها
تطيبُ على شوهاءَ ذاتِ تحوُّلِ

اختبرتُ النُّهى فيها فأفرخ روعه
وكل ألذي لاقيته سوف ينجلي

بعون إله الخلقِ سبَّبَ لي المُنى
بذات نُهى جادت عليَّ بِمِقْوَلي

وجدتُ بها كأس اللذاذةِ صافياً
فغذَّيتُ قلبي في صفاءِ التجمُّلِ

حرامٌ عليَّ النومُ إن لم أُقِمْ بها
مصابيحَ هَديٍّ للزمانِ المؤمَّلِ

هواها تبنَّى من فؤادي مكانَهُ
له المثلُ الأعلى بأرفعِ منزلِ

ابقى على ما يستقرُّ فؤادُهُ
ويحنو عليها مثلَ طفلٍ مدلَّلِ

تخاطبني والقلبُ يطفحُ بشرُهُ
فأنتَ فؤادي من فؤادي فاقبلِ

جبل عامل/خربة سلم ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م

زفرة في خاطري

بالسنا بالهوى بربيعِ الشباب
بأمانِ الطُّهرِ في الحقل الطروب
أُنشد الحبَّ كما يبغي الرِّضا
وأُبينُ الحقَّ في أفقِ الغروب
لستُ أهواك كما أهوى الحياة
راشفاً من كأسِها رشفَ مريب
والروابي خافقي لا تصطفي
غيرَ أزهارٍ لها نفحٌ وطيب
وإذا ما استافها ريحُ الحيا
أُلفتُ القلب إلى أمرٍ غريب
رَبِّ والنفس ألتي توجتها
من جمالِ الصفو في وقتِ المغيب
أنهكتها زفرةٌ في خاطرٍ
تزرعُ الآهة في كلِّ الدروب

مـن تُـرى يـنـقـذهـا عـنـد الـلقـا

إنْ تـعـدَّاهـا حـسـيـبٌ ورقـيـبْ

يـا لأيَّـامٍ مـضـتْ فـي شـوطـهـا

يـنـطـوي فـي طيِّـهـا مـعـنـى الـمـغـيبْ

وتـنـاغـتْ لـحـنـةُ حَـتَّـى غـدا

نـغـمـاً يـعـشـقـه أفـقٌ رحـيـبْ

طُـويـتْ صـفـحـتُـهُ فـي كـنـهـهـا

وغـدا يـسـبـحُ فـي شـاطـيءٍ رهـيـبْ

صـيَّـرتْـهُ مـوجـةُ الأفـلاك لا

تـسـعـف الـعـانـي ولا تُـشـفـي الـنـدوبْ

(..)

تاريخ ميلاد ولدي السادس(١)

يَا مَنْ تربَّعَ فِي قَلْبِي لَهُ نغَمٌ ... مُنْذُ القديمِ يَغِذُّ السير محتلما

وَاللّه مِن فضله مَا زَال يرفدني ... مَا يعجز الفكر عن شكر الّذي اغتنما

يَا قلبُ فاهنأْ بمولود حُبيت بِهِ ... نفلًا يُنَوِّرُ مَا أوتيتُهُ كَرَما

يُنمَى إلى الدوحة العُليا الّتي انبثقت ... مِن الرَّسُولِ الّذي فوق السَّماءِ سما

أُعيذُ طلعتَهُ الغرّى بمبدعها ... وعين حاسده تُرْمَى بداءِ عمى

بوركتِ دُنيا بِيَوْمٍ أتيتِ بِهِ ... أنفَ الحسود فأرِّخ عَزَّ من رغما

خربة سلم ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م

---

(١) السيد محمد مهدي.

سألتك ربي

أبيات قلتها جريَ القلم:

سألتُكَ ربّي أن تُديم حياتي
بكلّ ألذي يُرضيك يومَ وفاتي
وتلبسني ثوباً من العزّ ضافيا
يكونُ بِهِ مِمّا جنيت نجاتي
لقد حُمّت الآهات والقلب واجفٌ
أغثني بما أعريتُ من عبراتي
فأنتَ ألذي عوّدتني اللطفَ دائماً
وأرفدتَ ما أرفدتَ من حسناتِ
وهل يُرتجى إلّا أنتَ يوم لقائنا
لدى العرض بالأعمال والحسراتِ
بموسى وعيسى والنبي محمّد
وأبنائِه الأنوارِ في الظلماتِ
بكلّ ألذي يرضيك إرحمْ تَضرُّعي
فقد حُمّت الأحشاء بالزفرات

جبل عامل/خربة سلم ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

يا غضيض الطرف

يا غضيضَ الطرفِ قلبيَ مُكْلَمْ
فاسقني كأسَ شفائي من يديكْ
ليتَ قلبي عالماً ما يجتني
من أُمورٍ كُلُّها تُنْمَى إليكْ
يا لقلبيَ حينَ يشكو ضرَّهُ
كيفَ يقوى أنْ يجاري لاحظيكْ
حبَّذا لو أغتدي في مأمنِ
لأُريكَ القلبَ معقوداً عليكْ
حرتُ فيما أجتني في الدجنِ
حينَ غنّى الحب مخموراً لديكْ
يا زماناً كنتُ فيه أقتني
بلبلَ الأيكِ يغنِّيني بأيكْ
لم ترعني ماخراتُ السفنِ
حينَ هامَ السيرُ ما بينَ يديكْ

فـاعـذنـيَ فــي اضــطــرابِ الــفــتــنِ

صــانــعُ الــرُّوحِ فــصــنــعــي مــن يــديــكْ

(...)



تمرُّ بنا الذكرى

تمرُّ بنا الذكرى فأنسابُ نحوها
كما انسابَ ريحُ الصبا في المَهْمَةِ القفرِ
وأجريتُ دمعي حين جشّمنيَ النُّهى
فأعريتُ فيه الآسفات بمن تجري
له الصورةُ المعطاء في النفس ليتها
تقرُّ على أمرٍ يتمُّ بهِ عذري
ترددها الآهاتُ والفكر حائرٌ
وقد فاقَ ماضيه على فائق الصبرِ
اناجيه والآهاتُ لبُّت وعلُّها
تُعيد لنا الماضي لأجلو به عصري
فكمْ قمت فيه أزرع الحبَّ طائعاً
وإنْ ضلَّ مَنْ اهوى يسدده فكري
اناغمه شتّى من الحب فائقاً
فيرتاد روضاً فائق اللون والعطر

سهرنا لياليه وللعمر أوبةٌ
يصافحُ فيها كلَّ ميمونةِ الذكرِ

نُسامِرُنا فيما ينير مصيره
ويحلو على مرِّ العصورِ بما يُغرِي

سلامٌ عليهم كُلَّما لاحَ شارقٌ
وشوقي إليهم ما أحاط به صَبري

تيامنتُ فيما يمُمُوه فأنجبت
محاسنُهم ما لا يزول مع الدَّهرِ

فكان شعاعاً للحياة وسرُّهُم
تعالى على مرِّ الدُّهور عن الحصرِ

فصافحتُ من تبكي الحياة لقربه
فصبحي مساءٌ قد أحيط بما يزري

متى بارئ الأكوان تحيي مواتنا
لأشفي فؤادي من زبانية الكفرِ

وأُعلي حسامَ الحقِّ في الأفق صارخاً
على كل من باع الحقيقة بالتبرِ

فأغراهم وهجٌ من الأرض زائلٌ
وأعماهُمُ ما قد جنَوهُ من الوزرِ

(٠٠)

رأيت الحق محموداً

هـفـا قـلـبـي ومـا أحـلا — مـصـابـيـحُ الـدُّجـى فـيـهِ
أضـاءَ الأفـقَ أنـواراً — وقـد غـنَّـت نـواديـهِ
أدارَ الـكـأسَ ذو ألـقٍ — لـيـسـقـيـنـي وأسـقـيـهِ
سـلِ الـمـاضـي فـقـد أرخَـتْ — مـصـابـيـحـاً لـيـالـيـهِ
فـكـانـتْ زهـرةَ الأيّـام — قـد سـادت بـمـن فـيـهِ
وعـمَّ الـكـونَ أضـواءٌ — تـعـالـى الـلـه مـعـطـيـه
وعـزَّ مـنـالُ مـا نـبـغـي — وكـانَ الـشـوقُ يُـمـلـيـهِ
ونـرسـم مـنـه مـا يـبـقـى — مـدى الأيّـام تـمـلـيـهِ
عـلـى مَ تـعـشـق الأدنـى — بـأحـلام تـزكّـيـهِ
الا يـا سـائـق الأظـعـان — زد رفـقـاً بـحـاديـه
سـلِ الأيّـام مـا تـبـغـي — بـمـا أبـدت خـوافـيـه
رأيـتُ الـحـق مـحـمـوداً — مـدى الأيّـام تـحـفـيـهِ
فـعـرِّج فـي سـنـى الـمـاضـي — وحـيِّـي فـيـه هـاديـهِ
سـطـا فـي أفـقـه قـمـرٌ — الا لِلّهِ مـاضـيـهِ
صـحـبـنـاه عـلـى مـهـلٍ — وعـشـنـا فـي روابـيـه

ولم نعبأ لمغريةٍ ... ولا من كان يرويهِ
سحائبُ كلها خِدَعٌ ... وأرصادٌ لحاديهِ
ولم تنبتْ مرابعه ... سوى بالإفك يمليهِ
فصفّق يا أخا الآهات ... ما جادت نواديهِ
فما نجني سوى الحسرات ... يوم الحشر ترويهِ

(٠٠)



تاريخ ميلاد ولدي الأصغر(١)

يـا قـلـب بـعـد تـشـتُّـتِ الأحـلامِ ... أيـقـظـتَ فـي قـلـبـي قـديـمَ غـرامـي

ولـهـانَ أرجـو أن أكـونَ بِـهَـا ... روضـتُ قـلـبـي واسـتـعـدتُ زمـامـي

وأريـتـنـي أنَّ الـحـيـاة تـفـاؤلٌ ... مـن عـاش فـيـهـا لـم يـعـش لـسـقـامِ

كـم وافـدٍ فـذٍّ حـبـيـتُ بِـهِ ... وكـشـفـتُ فِـيـهِ دامـسَ الأظـلامِ

يـا مـبـدعَ الأحـلامِ طـوعَ خـواطـري ... الشُّـكـر لا يـوفـي الـنـعـيـمَ الـطـامـي

أولـيـتـنـي نـعـمـاً فَـلَا أقـوى عـلـى ... حـصـرِ الـحـقـيـقـة فِـي فـصـيـحِ كـلامـي

والـفـعـلُ لَا يُـجـزي إذا قـابـلـتُـهُ ... بـعـظـيـم مـا أولـيـتَ مـن إنـعـامِ

هَـذا قـراري مـا سـمـحـت رقـمـتُـهُ ... فـاقـبـلـه مـشـكـوراً عـلـى إكـرامـي

يـا واهـبَ الأحـلام فـي تـاريـخـهِ ... أنـبـتَّ فـي قـلـبـي جـنـيَّ غـرامِ

بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م

---

(١) السيد جعفر.

سلامٌ عليها

سـلامٌ عـلـى تـلك الـلّيـالـي ألّتـي مـضـتْ
وشـوقـي إلـيـهـا مـا مـلكـتُ مـن الـدّهـرِ
فـكَـمْ قـمتُ فـيـهـا أرقـبُ الـنـجـمَ سـاهـراً
أنـاشـدهـا حـبّـي إلـى مـطـلـعِ الـفـجـرِ
سـلامٌ عـلـيـهـا كُـلّمـا لاحَ شـارقٌ
ومَـا هِـي ألّا سـانـحـاتٌ مـن الـعـمـرِ
أيـا مـنـيـةَ الأفـكـارِ رحـمـاكِ إنّـنـي
إذا ابـتـدرتْ عـنـدي يـصـارعـنّي فـكـريْ
فـكـفّـي عـن الأفـكـار وارخـي سـتـائـراً
عـلـيـهـا وإلّا سـوف تـخـلـو مـن الـصـبـرِ
جـمـيـلٌ بـأنْ تـأتـي الـحـيـاة بـخـافـقٍ
لـه وجـبـاتُ الـخـوف مـن طـائـش الـذكـرِ
لـتـحـيـي أُمـوراً شـامـخـاتٍ يـثـيـرهـا
يـتـمُّ بـهـا حـلـمـي ويـعـلـو بـهـا ذكـريْ

وارفعُ فيها رايةَ الحقِّ صارخاً
تعالي أقرائي فكري إذا كنتِ لا تدري

صحبتُهُمُ دهراً من العمرِ ناصحاً
الا ويلَ من قاضى الحقيقةَ بالهذرِ

تخيَّلتِ الأوهام أن تصطفي بها
لها حلبات السبق في مطلع الفجر

أريحي ركاب المجد في ساحة الوغى
وأعلي حُساماً ذو غرارٍ به تفري

وقام الّذي لا يستريح لغايةٍ،
سوى موقفٍ ينهي الأنامَ إلى الكفرِ

فخلّي نهاك واستريحي بمعبرٍ
به حاكماتُ الأمر جوّابةَ القفرِ

خلوتُ بها دهراً من العمر سائلًا
عن الغاية القصوى وما جدَّ في خُبرِي

اليست ترى خِلّا يزين طريقَها
ويعلو بها شأناً إلى غاية الفخر

الم تبتني أنّي ضللتُ مسيرها
وأنّي على إتيانها مزمعٌ أمرِي

بيروت ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

إيه يا ليل

لبستُ الهوى يا ليلُ لمّا تركتني
اناشدُ احلامي ببثِّ شجوني
وقلتُ اصطفِ ما شئتَ إنّي على الوفا
مقيمٌ بها ما أسعفتني سنوني
فلولا الهوى ما جنَّ شوقي لمربعٍ
لديهِ تعاطينا بكلِّ ثمينِ
هبِ اليومَ لم يأت بامرٍ تحبُّهُ
ألم تسبقِ العقبى بكلِّ ضنينِ
حرامٌ عليَّ النومَ إن لم أُصبْ بهِ
سحائبَ فضلٍ لم يصبه خديني
فهذي ألتي قد أنكرتني اريتُها
معادنَ علمٍ لم تمل لقرينِ
ستبقى مع الأيام تُرفدُ هادياً
ذخائرَ علمٍ أُرصدتْ بعرينِ

فسلْهُ إذا ما جنَّ ليلٌ بما اصطفى
بأيِّ مضبٍ كانَ منه معيني

رماني هواه بالَّتي ما مللتُها
فكان عطائي ما يحيط يميني

فزوَّدتُهُ بالناصعاتِ من الألى
ستبقى مع الأيَّام رهنَ أمينِ

فخذها ولا تعدُ سواها فإنَّها
فرائدُ قومٍ أُحكمتْ بفنونِ

ستحيا بها إمَّا ملكتَ شعوبها
وتأتي بما لم تصطفيه ظنوني

وتحظى بها والنَّاس في هجعة الكرى
وتوضح رواد الهوى بسكونِ

بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

منية القلب

يا منيَةَ القلبِ قد تيَّمتني فخذي
مِنِّي فؤادي بأخلاقي أُدثِّرُهُ

وما تشائي أطلبي حُبَّاً أُنفِّذُهُ
لم يبقَ لي زمنٌ حتَّى أؤخِّرُهُ

لا تنظريني بعينيَّ خائفٍ وأنا
أحنو عليكِ بما قد كنت أذخِرُهُ

وسائلي قلبكَ الولهانَ وابتعدي
عن التردُّدِ لا يرديك أصغرُهُ

ما نمَّ غيرَ ابتسامٍ منكِ أمَّلَنَا
ثمَّ انصرفتِ بلا وعدٍ نقرِّرُهُ

يا دفقةً من فؤادِ الخلدِ أرسلها
منك التشكِّي إلى أمرٍ سأذكرُهُ

هل تركنين إلى حبٍّ يكون به
سلطانُ حبِّك مشبوباً يؤطِّرُهُ

آقرِيَ فؤادي من بوحٍ أكزُزُهُ

مدى حياتي قد عزّت نظائرُهُ

فأنتِ وحدَكِ قد هيَّجت كامنَهُ

وما لغيرك من حبٍّ يسامرُهُ

كيف استطاع ومن عهد الصِّبا دِنِفٌ

أن يستبيح حماهُ وهو آسِرُهُ

لولا الصبابةُ ما جادت محاجرُهُ

بما استباحَ هواه وهو آمِرُهُ

إيهٍ لقلبك كم عانى لقسوتِهِ

مُرَّ الصبابةِ صادتني خواطرُهُ

يا حاملًا مهجةَ الأحلام من زمنٍ

رفقاً بنفسك لا يفضحك حاضرُهُ

حيران من بلهِ الأيامِ منتحلًا

لوناً من الحبِّ ماتملي محاجرُهُ

إيهٍ على زمنٍ حلو محاضره

لو كان يقرؤه من ليس ينكرُهُ

يا غادةً لو سقتني كأسَها لغدتْ

رمزَ الخلود فلا تفنى غدائرُهُ

من ذا يسامر قلباً في توحُّدِهِ

والوجدُ يأسره والشوق يسعرُهُ

حيرى تجشَّمُ من أحلامها أملًا

ليلهبَ القلبَ ما أملاه ناظرُهُ

وجـنّ شـوقـاً وارخـى طـرفـه خـجـلا

يـا مـالـكَ الـقـلـبِ مـهـلًا لا تـفـطّـرُهُ

فـهـام يـحـكـي حـكـايـاه بـلا وجـلِ

ويـح الـمـؤلـهِ إمـا حـار خـاطـرُهُ

يـحـوي الـهـوى مـديـة تـفـري حـشـاشـتـه

ويـسـتـقـيـم عـلى مـا كـان يـخـفـرُهُ

زُفّـتْ مـحـاسـنـه الـبـلوى إلـى كـبـدٍ

يـا ويـح مـن يـرتـدي مـنـهـا مـآزره

بيروت ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

سؤال الفراق

ثلاثة أبيات وجدت على ورقةٍ بخطٍّ مرتعش، وهو في مرضه العضال، الَّذي أصابه عام ١٩٩١م، فأقعده عن الحركة حَتَّى وفاته والظاهر أنَّها جري القلم، وهي آخر ما نظمه:

رجــوتُــكَ ربِّــي أن تُــديــم شــفــائــي
فــهــل حــالَ ذنــبــي أن تــجــيــبَ دعــائــي

فــأســألــكَ الــغــفــرانَ يــا ربُّ إنَّــنــي
مــقــرٌّ مــنــيــبٌ مــذعــنٌ لــرجــائــي

فــقــد حــمَّــت الآهــات يــا ربُّ إنَّــنــي
صــريــعُ الــهــوى لــولا تــجــيــب نــدائــي

بيروت ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

لا تلوميني على ما أبتغي — أنتِ غيري في الزمانِ الأرحبِ

فهبيني أنني كنتُ نبي — كيفَ أحيا بفؤادٍ متعبِ

إيهِ يا نفسُ دعيني والسنا — صرحُ هذا الكونِ ميدانُ غبي

ضائعٌ إشراقُهُ في المنحنى — ما تمنّتْ خافقُ طهرَ عجبي

فاجنحي إنْ شئتِ عني إننا — زمنُ اللهوِ وليلُ الطربِ

وأذري في دمعكِ آلاماً ولا — ترهقيني بقلوبٍ قُلّبِ

كم صحبناكِ على أنَّ الصفا — ملكٌ يزهو بثوبٍ قشبِ

فإذا الحقُ سقاكِ العلقما — وإذا الصدقُ حكايا الكذبِ





دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧، ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٠١/٥٤١١٩٩
ص.ب: ٢٥/٢٨٦ الغبيري - بيروت لبنان
E-mail: daralhadi@daralhadi.com
URL: http://www.daralhadi.com